الجمهوريّة الجزائريّة الدّيمقراطيّة الشّعبيّة

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد –تلمسان–

كليّة الآداب و اللّغات

قسم اللّغة العربية وآدابها

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه تخصص الصّوتيات العربيّة ومستويات الدرس اللغوي

صوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري

–دراسة صوتية تركيبية–

إعداد الطّالبة: بلغيتار حليمة

إشراف: د. عباسية بن سعيد

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم و اللّقب	الرّتبة	جامعة الانتساب	الصّفة
أ. د. عبد النّاصر بوعلي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيساً
د. عباسية بن سعيد	أستاذ محاضر "أ"	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقرّراً
أ. د. عبد الحكيم والي دادة	أستاذ التّعليم العالي	جامعة تلمسان	عضواً مناقشا
أ. د. لخضر حشلافي	أستاذ التّعليم العالي	جامعة زيان عاشور الجلفة	عضواً مناقشا
أ. د. بلقاسم بودنة	أستاذ التّعليم العالي	المركز الجامعي البيض	عضواً مناقشا

السّنة الجامعيّة: 1444هـ–1445هـ / 2023–2024

شكر وعرفان

ما كان هذا العمل ليتمّ لولا فضل الله تعالى ومساندة أهل الخير وأوّلهم أستاذي الفاضل الدّكتور "عبد الحكيم والي دادة" الذي تابع هذا البحث ولم يبخل بملاحظاته وتوجيهاته، وأيضا الشّكر موصول للأستاذة المشرفة الدّكتورة "عباسية بن سعيد" التي شرّفتنا بإشرافها على الأطروحة فجزاها الله عنّي وعن العلم وعن اللّغة العربية خير ما يجزى به عباده.

الشّكر موصول أيضا إلى:

- زملائي و زميلاتي في العمل.
- كلّ من جمعتني بهم الدّراسة.
- حبيبتي نسيبة رفيقتي، مليكة وصليحة حفظهما الله.
- الدّكتور "كمال قرين".
- أخي "عبد الباسط ماحي" الذي أمدّني بيد العون حفظه الله ووفّقه.
- أعضاء اللّجنة المحترمين والدّكاترة الأفاضل.

شكرا لكم جميعا وجزاكم الله خير جزاء وصادق الثّناء.

حليمة وفاء

إهداء

أهدي هذا العمل إلى:

- من حملتني وهنا على وهن أمّي نور حياتي شفاها الله.
- من تكبّد المشقّة ليصل بي إلى ما أنا عليه ولم يتعب أبي العزيز شفاه الله.
- أخواتي أمّ هاني. فاطمة وفتيحة وإخواني محمد، إبراهيم، مصطفى وسنوسي وعائلاتهم.
- الكتاكيت: رزيقة، رزان، سيف الدّين، خليل، طارق، قادة، وإلى الغالية حبيبتي وفاء إخلاص.
- رفيقتي و مؤنستني فاطمة الزّهراء نسيبة، وإلى صديقتاي صليحة ومليكة.
- زميلاي عبد الباسط ماحي و مروان مزواري.
- صديقي وأخي الدّكتور "كمال قرين".
- زملائي في العمل بثانوية "باقي الطيب" تيارت.
- صديقتي الغالية "خيرة شيايدي".

حليمة وفاء

مقدّمة

الحمد لله وكفى والصلاة و السلام على المصطفى أما بعد:

أفرز امتداد العالم تنوعا لغويا و جغرافيا على مر العصور ساهم في نشأة اللهجات التي تعد الشاهد على مراحل التطور الإنساني. لذلك فلا يكاد يخلو الوطن العربي من هذه اللهجات فكل لهجة عامية تختلف قليلا أو كثيرا عما جاورها أو بعد عنها من اللهجات العربية من حيث الأصوات و المفردات و التراكيب ومن هنا اهتم الباحثون اللغويون القدماء و المعاصرون باللغة و أولوها عناية تامة، فانصب ذلك الاهتمام على المكتوب منها والمنطوق. إلا أنهم ركزوا جلّ عنايتهم على المنطوق نظرا لكون الوسط الأساسي للغة هو الصوت وليس الكتابة فالأصوات اللغوية قد تتعرض لتغيرات يظهر أثرها على النطق الفصيح.

و حظي الجانب الصوتي باهتمام اللغويين كون للصوت دور رئيس في اكتمال النظام التواصلي بين أفراد المجتمع البشري، والصوت اللغوي عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصاحبها أثار سمعية معينة تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن بين الأصوات التي يحسب لها تغيرات كثيرة في اللهجات العربية "صوت القاف". شهد هذا الصوت اللغوي عبر العصور عدة صور نطقية كان العامل فيها إما البيئة أو العنصر الثقافي أو العامل السياسي.

يرتبط تعدد اللهجات بالمستوى الصوتي ارتباطا وثيقا ذلك أننا نميز كل لهجة من خلال نطق أصواتها وصوت القاف صوتا مميزا عن باقي الأصوات اللغوية إذ نجده يتبدل إلى أصوات أخرى قريبة منه مخرجا أو صفة فنجده مرة همزة ومرة أخرى كافا خالصة ومرة جيما قاهرية أو ما يطلق عليها الكاف الفارسية. هذه التبدلات الصوتية لصوت القاف تشهدها جميع اللهجات العربية منها اللهجة الجزائرية و خاصة الجهة الغربية وهو موضوع دراستنا "**صوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري دراسة صوتية تركيبية** " هذا الموضوع الذي أثار قريحة العديد من الدارسين سواء العرب أو

المستشرقين فراحوا يبحثون في هذا الصوت وحقيقته وما الأسباب التي جعلته يتبدل إلى أصوات أخرى.

ومن هنا جاءت رغبتنا في البحث عن هذا الموضوع وخاصة أنه من أكثر الأصوات التي تشهد تغيرات في اللهجة الجزائرية.

طرحنا عدة تساؤلات منها: ما الأسباب المتحكمة في تبدل هذا الصوت في لهجة سكان الغرب الجزائري؟ ما هو المنطوق الفصيح لهذا الصوت في الغرب الجزائري؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، وحتى تخرج هذه الدراسة بنتائج محددة، ولا تتشعب بها السبل، آثرت أن أوظّف المنهج الوصفي الذي يعتمد التحليل، باعتباره الأنسب لهذا النمط من الدراسات التي تعتمد على وصف الظاهرة وتحليلها ومناقشتها وعرضها على المحك، واستنطاق النصوص نفسها لاستخراج ما يهدف إليه الموضوع. كما اعتمدت مناهج اخرى لا يمكن أن يتخل عنها بحث أكاديمي جاد نحو المنهج التاريخي و المنهج الإستقرائي و المنهج التقابلي الذي أفادنا في الكثير من محطات هذه الدراسة .

أمّا الخطة التي اتبعتها في انجاز قضايا هذا البحث فتتألف من مقدمة، مدخل، ثلاثة فصول، خاتمة، وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس لمواد البحث.

فالمدخل كان تمهيدا لما ورد في البحث بحيث عرضت فيه أهم المصطلحات، أولا مفهوم اللهجة و علاقتها بعلم الأصوات، ثانيا اللغة المنطوقة.

أما الفصل الأول فخصصته لخصائص العادات النطقية في لهجة الغرب الجزائري وقد تضمن ما يلي: أولا اللهجة في الغرب الجزائري، ثانيا: فقد تحدثت فيه عن المستوى الصوتي. ثم يلي بعدها الفصل الثاني والذي خصصته لدراسة: أولا: دراسة الاختلاف في مخارج الحروف وصفاتها، ثانيا

صوت القاف دراسة صوتية توقفت فيه أولا عند: التعريف بصوت القاف، ثانيا كيفية حدوثه، وثالثا: صفاته أما الفصل الثالث والأخير فكان للجانب التطبيقي حيث عالجت فيه التبدلات الصوتية لصوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري، بعدها كانت الخاتمة التي حوصلت فيها بعض النتائج التي توصلت إليها.

وقد اعتمدت في بحثي هذا مجموعة من المصادر والمراجع أذكر منها: كتاب علم الأصوات كمال بشر، و دروس في علم الأصوات العربية جان كانتينو، إضافة إلى كتب أخرى ومعاجم للغويين القدامى كالكتاب لسيبويه، الخصائص لابن جني.

وككلّ بحث أكاديمي الذي لا يخلو من الصعوبات التي لم تنقص من عزيمة البحث، فقد واجهتني في مسيرتي البحثية بعض الصعوبات قد تبدو في الظاهر ليست بعائق لكنها فعلا كانت عقبة صعّبت علينا القيام ومنها تشعب الموضوع و شساعته، الأمر الذي صعب عليّ تناول الموضوع كما ينبغي، فعلى الرغم وفرة المصادر والمراجع في هذا الموضوع إلا أنني لم أسطع التحكم في المادة العلمية.

وختاما أرجو من الله أن يوفقني في الإخلاص بالبذل والعطاء من أجل خدمة لغتنا العربية. وأطلب من الله أن يجعله ذخرا في العاجل وأجرا في الأجل.

وصلّ اللّهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تيارت يوم: 10 نوفمبر 2023م

الطّالبة: بلغيتار حليمة

مدخل:

التعريف بمصطلحات اللسانية الرئيسية

تمهيد:

تعد اللهجات سمة جلية في اللسان العربي، ولم تكن وليدة عصرنا بل لها امتداد زماني عبر أرجاء المعمورة، فقد تحدث فقهاء الألسن عن ظاهرة اللهجات منذ أمد بعيد فوصفوها بـ: تعدد اللغات، وكان المجتمع العربي عبر أطوار حياته يمر بهذه الظاهرة، فكل قوم يتخذون لأنفسهم طرائق متنوعة للتعبير عن أغراضهم.

يجمع الباحثون في المجال اللغوي و خاصة ما تعلق باللغة العربية أنها قديما في العصر الجاهلي من قبل الإسلام كانت على مستويين: مستوى رفيع يتمثل في أدبية الفصحى، ومستوى شعبي يتمثل في لهجات الخطاب السائد بين أبناء الجزيرة في بيئات مختلفة، فالمستوى الأول هو لغة إشعارهم وخطبهم، أما المستوى الثاني فهو اللهجة التي يتداولها أفراد بيئة معينة فيما بينهم.

أولا: علم اللهجات:

أ- مصطلح اللهجة:

اللهجة لغة يقال لغة: لهج بالأمر لهجا... ويقال فلان ملهج بهذا الأمر، أي مولع به... واللّهج بالشيء الولوع به، واللّهجة واللهجة: طرفا اللسان... واللّهجة واللهجة: جرس الكلام ، ويقال فلان فصيح اللهْجة واللهَجة و هي لغته التي جبل عليها فاعتداها ونشأ عليها.[1]

ويقول ابن فارس في مقاييس اللغة: «لهج: اللام والهاء والجيم أصل صحيح يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، وأصل آخر يدل على اختلاط في الأمر، وقولهم: هو فصيح اللّهجة واللّهجة: اللسان بما ينطق به من الكلام، وسميّت لهجة لأن كلا يلهج بلغته وكلامه».[1]

[1] أبو الفضل جمال محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط 1، 1993، ج 5، ص: 323 مادة لهج.

من خلال التعريفين ندرك أن اللهجة هي لسان قوم من بين الأقوام يعبرون بها ويتواصلون بها فيما بينهم واللهجة باشتقاقها لها وجهين: الأول أنها مأخوذة من لهج الفصيل يلهج أمه، إذا تناول ضرع أمه يمتصه و لهج الفصيل بأمه يلهج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لاهج. والثاني أنها مشتقة من لهج بالأمر لهجا ولهوج و ألهج يعني أولع به واعتاده أو أغرى به فثابر عليه، واللهج بالشيء الولوع به[2].

فاللهجة إذن هي لغة الإنسان التي فطر عليها و اعتادها فسارت على لسانه، وأُطلقت كلمة اللسان على اللهجة في كتب الأقدمين، كما نجد أن كلمة اللهجة تطلق على طرف اللسان أو كلّه وذلك كون اللسان الأداة التي يستعملها الإنسان في التحدث.

واللهجة هي طريقة معينة في الاستعمال اللغوي اتفق عليها أفراد بيئة معينة من أجل التواصل «وهي العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة، وكل من اللغة واللهجة يتصلان بالصوت، فاللغة ترتبط من حيث إفادة المعنى، واللهجة من حيث صورة النطق وهيئته»[3]، إذن اللهجة هي عادة كلامية متصلة بالصوت و من ذلك قالوا مثلا في لهجات العرب القديمة قلب الهمزة عينا في لغة تميم فمثلا في قولهم: "أنك: عنك"، وفي معاني اللهجة أيضا ما نجده معبرٌ عنها بلفظة اللسان و الكلام و اللغة، وفي معظم تعريفات اللهجة أو اللغة نجد كلمة اللسان إذ هو الوسيلة الأولى والمباشرة في حدوث عملية التلفظ واللسان، اللغة: «يقال فلان يتكلم بلسان قومه، و اللّسْنُ اللغة يقال لكل قوم لسن أي لغة يتكلمون بها».[4]

---

[1] أبو الحسين بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، د ت، (مادة لهج)، ص: 15.

[2] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة و تطور، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 1، 1993، ص: 31.

[3] المرجع نفسه، ص: 3،31.

[4] أبو الفضل جمال محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، ص 345 مادة لهج.

وقد ورد في القرآن الكريم لفظة اللسان بدلا من كلمة اللغة أو اللهجة قال تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾.[2] و في تفسير لفظة اللسان يقول ابن كثير: «هذا من لطفه تعالى بخلقه أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم»[3] ويقصد باللسان: لغة القوم التي يتواصلون بها فيما بينهم ، يقول صاحب التحرير و التنوير:« وما أرسلناك إلاّ لتبيّن لهم بلسانهم ،وما أرسلنا من رسول إلاّ ليبّن لقومه بلسانهم ....و اللسان :اللغة وما به التخاطب ،و أطلق عليها اللسان من اطلاق اسم المحلّ على الحالّ به »[4] ،فالقرآن الكريم عبر عن اللغة بلفظة اللسان ، و مجمل التفاسير أشارت إلى أن لفظة اللسان تعني اللغة و اللهجة التي يتحدث بها القوم.

ب- اللهجة اصطلاحا:

للهجة عدة تعريفات أبرزها تعريف إبراهيم أنيس: «اللهجة هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ويشترك في هذه الصفة جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات، لكل منها خصائصها ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيّسر اتصال أفراد هذه البيئات».[5]

ويشير إبراهيم أنيس إلى أن اللهجة جزء من الكلّ فهي ظاهرة لغوية انتشرت في بيئة معينة اختلفت عن اللغة الأصل في بعض الأصوات فقط أو تسميات الأشياء المصطلح عليها بالوضع

[1] سورة إبراهيم: الآية 04.

[2] سورة النحل: الآية 103.

[3] ابن كثير أبي الفراء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة ،ط1، 1997، الرياض ، السعودية، ج4،ص477.

[4] محمد الطاهر عاشور، التحرير و التنوير، الدار التونسية، تونس، 1984، ج13، ص186.

[5] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة أنجلو مصرية، القاهرة، ط 8، ص: 15.

والاتفاق «فاللهجة عادات كلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلم لغة واحدة»[1]، ويقول فيرجيسون Alex Ferguson: «اللهجة مجموعة من تنوع لغوي أو أكثر تشترك في سمة أو مجموعة من السمات تبعدها عن التنوعات الأخرى للغة وتعامل على أنها وحدة على أسس لغوية أو غير لغوية»[2]، فاللهجة تنوع لغوي سبب في جعل اللغة العربية ثرية من ناحية المفردات.

فاللهجة من خلال هذه المفاهيم هي لغة أو لسان قوم يعبرون بها عن مقاصدهم، واللهجة فرع من اللغة استقلت عنها لعامل طارئ قد يكون ثقافيا أو سياسيا ولكن تبقى اللهجة لغة لها أسس معينة وهي بوجه عام تغير يطرأ على مستوى أصوات الكلمة الواحدة قد يكون هذا التغير ناتجا عن تفاعل صوتي بين أصوات الكلمة الواحدة، نتيجة هذا التفاعل يبدل حرف مكان حرف، أو قلب المكاني، وغيرها من ظواهر التفاعل الصوتي كالمماثلة والإدغام والمخالفة.

ج- علم اللهجات:

يعد علم اللهجة من علوم اللغة، وإن لم يذكره القدماء ضمن علومهم، إلا أنه يحتوي من المقومات ما يحتويه أي علم آخر، وهو حسب قول محمد أحمد خاطر: «علم يدرس الظواهر والعوامل المختلفة المتعلقة بحدوث صور من الكلام في لغة من اللغات».[3]

يهتم علم اللهجات بتناول الظواهر اللغوية التي تحدث في لغة من اللغات بسبب اختلاف اللهجات أو التي يكون اختلاف اللهجات سببا رئيسيا فيها، فيهتم بدراسة ظاهرة الادغام أو القلب، الإبدال وغيرها من الظواهر اللغوية، كما يدرس ما اتصل بالمستويات اللغوية كالمستوى الصوتي.

د- صفات اللهجات:

[1] أثر اللهجات العربية في القراءات السبع دراسة وصفية، (بحث مقدم من قبل مخلصين، قسم اللغة العربية وآدابها ،كلية العلوم الانسانية و الثقافة، جامعة مالانج الإسلامية و الحكومية، 2008، ص: 18.

[2] المرجع نفسه، ص: 18.

[3] محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية، مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، 1979، ص: 5.

إن الناظر فيما وصل إلينا من لهجات يجد أن الاختلاف الحاصل فيما بينها يكون على المستوى الصوتي سواء تغيير الحركة الاعرابية أو تغيير أصوات الكلمة الواحدة، والتغيير الصوتي منحصر في الصوائت و الصوامت فمثلا «قبيلة تميم كانوا يقولون في **فزت** = **فزد** كما كانوا ينطقون الهمزة عينا و يرون أن **الأجلح** وهو **الأصلع** و ينطق بها **الأجله** في لغة بني سعد».[1]

ويمكن تلخيص حالات اللهجات في النقاط التالية:

- اختلاف في مخرج بعض الأصوات اللغوية.
- اختلاف في وضع اعضاء النطق مع بعض الأصوات.
- اختلاف في مقياس بعض الأصوات اللينة.
- تباين في النغمة الموسيقية للكلام.
- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض.[2]

4- العلاقة بين اللغة و اللهجة:

كان العرب قديما قبائل متفرقة في الجزيرة العربية وكانت كل قبيلة مستقلة عن الأخرى، مما يعني أنه كان لكلّ قبيلة كيان خاص بها جعلها في عزلة عن الأخرى، وقد عملت كل قبيلة على ترسيخ عاداتها وتقاليدها وأسسها مناضلة ومكافحة، ومن بين تلك الأشياء التي جاهدت في المحافظة عليها لهجتها أو نقول لسانها كما كان سائدا في تلك الآونة، وتعتبر اللهجة بطاقة الهوية للقبيلة في صفتها الكلامية فعند سماع شخص يتكلم بطريقة معينة نقول هذا من قبيلة كذا والآخر من قبيلة كذا، فالقبائل التي كانت منتشرة آنذاك كانت معروفة بلهجاتها فنقول هذه بلهجة بني أسد و هذه لهجة بنوطيء والأخرى بلهجة بني تميم، ومما هو مما معروف أيضا أن العرب آنذاك كانت تتسابق في كتابة

[1] إبراهيم أنيس، اللهجات العربية، ص: 15.

[2] انظر إبراهيم أنيس ،اللهجات العربية ،ص 17.

القصائد والخطب فقد كان لسانها فصيحا وهذا لا ينكر وجود اللهجات بسبب الاختلاط الأجنبي بفعل الفتوحات الإسلامية.

وفي عهد التدوين عندما قرر علماء العرب الفصحاء والبلغاء تدوين علوم العربية بدأ الجمع من بادية القبائل كون هذه المناطق لم تشهد اختلاطا بالعجم وانّصب الاهتمام باللغة الفصحى فقط ناسين بذلك اللهجة، لذلك لم يرد لنا من القدماء دراسات شارحة حول اللهجات إلا ما نجده في ثنايا الكتب والأبحاث في المجال الأدبي أو التاريخي، ويعتبر ما ورد لنا في سياق البحث حول اللهجة ناقصا ومبتورا لا يعدو أن يكون مجرد اشارات متفرقة، بل كان علماء العربية القدماء لا يفرقون في تعبيرهم بين اللغة و اللهجة فنجد الفراء (ت 207 هـ) في باب اللغات (اللهجات) العربية من خلال القرآن الكريم ،و ابن جني (ت 392 هـ) الذي يقول في باب اختلاف اللغات وكلها حجة: «اعلم أن سعة القياس تبيح لهم ذلك، ولا تحظره عليهم إلا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال "ما" يقبلها القياس و لغة الحجازيين في اعمالها كذلك... وليس لك أن ترد إحدى اللغتين بصاحبتها»[1]، ابن جني يعبر عن اللهجة بكلمة اللغة و كان لزاما قوله لهجة لا قوله لغة كون القبيلتان تتكلمان اللغة العربية و بما أنها لغة واحدة فإن ما يتفرع عنها يسمى لهجة، وقد سار على نهجه أيضا وابن فارس (ت 395 هـ) في الصاحبي في باب اختلاف لغات العرب والسيوطي (ت 911 هـ) في المزهر، كل هؤلاء استخدموا لفظة اللغة للتعبير عن اللهجة، واللهجة التي كانوا يقصدون دراستها كانت تقتصر على التغيرات الصوتية واختلاف دلالات الكلمات من قبيلة لأخرى.

أما المحدثون فرأوا أن العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة الخاص بالعام، ذلك كون اللهجة مجموعة من الخصائص والصفات اللغوية التي تنتمي إلى بيئة واحدة، وتكون هذه الخصائص على مختلف المستويات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية تميز كل لهجة عن الأخرى، يقول عبد الصبور

[1] ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة، ج 2، ص: 10.

شاهين: «تلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح علي تسميتها اللغة، فالعلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص».[1]

فعلماء اللغة المحدثون فرقوا بين اللهجة واللغة كون اللهجة فرع من اللغة تولد لسبب من الأسباب وشبهوا ما حدث بين اللغة واللهجة بما حدث للغة السامية الأم التي استقلت عنها العربية والعبرية والآرامية وغيرها...[2]

5 – أسباب ظهور اللهجة:

أعاد إبراهيم أنيس أسباب ظهور اللهجات إلى عاملين أساسيين وهما:

العامل الأول: وهو الانعزال بين بيئات الشعب الواحد، فحين تتسع رقعة لغة من اللغات، ويفصل بين أجزاء أراضيها عوامل جغرافية أو اجتماعية، فهو من الممكن جدا أن تتشعب هذه اللغة الواحدة إلى لهجات عدة، ويتبع هذا أن تتكون مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية المنعزلة وزيادة على هذا الانعزال فهناك انعزال اجتماعي، واختلاف في الظروف الاجتماعية بين البيئات المنعزلة، فتختلف ظروف أبناء البيئات الزراعية على ظروف أبناء البيئات الصناعية أو التجارية ومثال ذلك تلك اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب قبل الإسلام: فالصفات التي تتميز بها اللهجات تكاد تنحصر في الأصوات وطبيعتها وكيفية صدورها والذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان، كما أن الظروف الاجتماعية في البيئة الواحدة قد تولد أنواعا من اللهجات الخاصة كتلك التي نراها بين أصحاب حرفة من الحرف أو بين اللصوص وطريدي القانون أو بين طائفة من الناس قد انعزلت عن المجتمع لسبب ديني أو سياسي.

أما العامل الثاني: فهو الصراع اللغوي الذي ينشب عن غزو أو هجرات إلى بيئات معمورة فيقوم صراع عنيف بين اللغتين الغازية والمغزوة.[1]

[1] عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1980، ص: 225.

[2] انظر: إبراهيم أنيس ،في اللهجات العربية، ص: 17.

ويعرفها بعضهم بأنها العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس، تتكلم لغة واحدة. كما تجدر الإشارة إلى نقطة مهمة جدا وهي أنه قد تجتمع عوامل عديدة على استقلال اللهجة وصيرورتها كلغة قائمة بذاتها، وهذه العوامل يمكن لكل منها أن يقوم بهذا الدور في استقلال اللهجة على النحو السابق وهي:

1- العامل العسكري السياسي.

2- العامل الديني.

3- العامل الأدبي.

4- العامل الاجتماعي الطبقي كما يمكن أن يتداخل عاملان أو ثلاثة في تكوين هذه اللهجة ومثالنا على ذلك اللهجات الروسية والبلغارية، التي أصبحت لغات رسمية معترف بها عندما استقلت هذه البلدان عن روسيا.[2]

كما يؤدي الاختلاف الصوتي دورا مهما في اختلاف اللهجات و تنوعها والذي يرجع بدوره إلى ما يلي:

- اختلاف في مخارج بعض الأصوات اللغوية: "**كالجيم**" في العربية من وسط اللسان وفي المصرية من أقصاه مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى.
- اختلاف في مقاييس بعض الأصوات اللين، إذ أن أي انحراف يصيب تلك الحروف و التي تعرف بحروف المد عن الأقدمين، يؤدي إلى اختلاف في نطقها.
- اختلاف في قوانين التفاعل بين الأصوات المتجاورة حيث يتأثر بعضها ببعض، فالجمهرة من العرب تقلب الواو تاء عند وقوعها فاء، ولكن الحجازيين لا يقلبونها تاء، فتتأثر بالحركات

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص: 17.

[2] محمد أبو الفرج، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 01، 199م، ص: 93.

السابقة عليها فتقلب حسب الحركات واو بعد الضمة، وألفا بعد الفتحة، وياء بعد الكسرة، فيقولون: **ايتصل، ياتصل، موتصل**.[1]

5- اللهجة بين الماضي والحاضر:

بخلاف علماء العرب القدامى، لم ينظر الباحثون الغربيون، قبل أواخر القرن التاسع عشر إلى دراسة اللهجات المتفرعة عن لغاتهم، بل حالوا أن ينشروا بين الناس الاتجاه إلى الفصحى، ونبذ العاميات ففي الفصحى ما يحافظ على كيانهم الحضاري والأدبي، وبحفاظهم على الفصحى من لغاتهم يستطيعون الحفاظ على وحدتهم الثقافية والقومية.[2]

ويبدو أن اتساع استخدام معنى الفصاحة، هو الذي دفعهم إلى ذلك، فتباين مفهومها من غرضٍ إلى غرضٍ، ومن عالمٍ يشتغل في حقلٍ مختصٍّ إلى عالمٍ مهتم بحقلٍ آخر، إذ مفهومها في وجهة نظر الباث أو المستعمل هي ليست ذاتها في وجهة نظر المستمع أو المتقبل للرسالة.[3]

وعلى هذا الأساس مضى الباحثون ومعهم الحكام، إلى ابتكار الطرق والوسائل التي تؤدي إلى منع انتشار العاميات، ومن ذلك أن الجمعية الوطنية الفرنسية عهدت عام 1794م إلى الأب جريجوارGrégoire بأن يضع تقريرًا يوضح فيه الوسائل المساعدة للقضاء على اللهجات الشعبية ومنع انتشارها ونشر الفصحى،[4] وقد ساعدت عدّة عوامل على نشر هذا الاعتقاد في تلك الحقبة من التّاريخ، فتوجّه العلماء إلى البحث في الفصحى، مردّه إلى سهولة البحث فيها، لأن الفصحى معبدة الطرق واضحة المسار مستقرة النظم، ممتدّة عبر التاريخ بسمات يمكن تحديدها والنّظر في أمرها، على

[1] أحمد نحا، اللهجات العربية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1997م، ص: 07.

[2] ينظر: عبد الغفار حامد هلال، علم اللّغة بين القديم والحديث، ط 1، 1986ص: ،97- 98.

[3] ينظر: عبد الجليل مرتاض، دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة، أطروحة دكتوراه في اللسانيات مخطوط ، جامعة تلمسان، معهد اللغة والأدب العربي، 1414هـ-1994م، ص: 92.

[4] ينظر: عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ، ص: 98.

العكس من اللّهجات الشعبيّة الّتي يحتاج تحديد مسارها ونظمها إلى دراسة دائبة تكاد تنطلق من العدم، وجهود جبارة يتجسمها الباحث فيها، ويحتاج معها إلى أزمان طويلة لاستخلاص حقائقها.

كما أن الباحثين وقتذاك، كانوا يحبون الدعة، والهدوء، ودراسة الفصحى توفر لهم ذلك، لأن سماتها واضحة معلومة لا تستدعي الأسفار ولا مشقات الانتقال، خلافًا للهجات الّتي تحتاج إلى بحثٍ دائمٍ، ونقصٍ متواصل لتتبّع خصائصها والتعرف على ظواهرها[1] غير أنها؛ أي اللهجات فرضت نفسها عليهم، إن طوعًا أو إن كرهًا إلى دراستها، وتتبّع مناحيها، لأنّ التطوّر سنّة الحياة، وكما يقول المثل: "الذي لا يتغير يموت" والتغير والتبدل من سنن الكون المقررة، واللغات خاضعة فيما تخضع لهذه السنّة، إذًا هي عرضة لذلك على مرور الزمن واختلاف الأحوال، وسبحان من لا يتغير[2]، لذا وعلى الرّغم من كلّ المحاولات، وجدنا سيل هذه اللهجات يتدفّق في كل مكان ورأينا انشعاب اللّغات الفصحى إلى عديدٍ من اللّهجات الشعبيّة، تبعًا لسنّة الطبيعية، وعوامل الاجتماع، في الداخل والخارج، فلم يستطيعوا أن يحسروا الموجات المتتابعة منها، فاضطروا إلى التّسليم بالأمر الواقع، والاتجاه إلى تلك اللهجات الناشئة، حتى يعرفوا خطّ سيرها، فبدأوا في أواخر القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين في الاهتمام بتلك اللهجات ودراستها.

وقد استعانت هذه الدّراسات بكل الوسائل العلمية الحديثة حتى استطاعت أن تضع قوانين لحياة اللغات، وما يعرض لها من انقسام إلى لهجات وأسباب ذلك ونتائجه، فحياة اللغات مرهون باستعمالها على ألسنة أهلها، وقد تموت لانقراضها من الاستعمال، أو تغيّرها، واضمحلالها وليس معنى موت اللغة أن يُقضى عليها نهائيًّا بحيث لا يبقى لها أثر، لأنّها عندما تموت، تكون قد تركت آثارًا في خليفاتها، فاللغة اللّاتينية لم تمت في الحقيقة من الناحية التاريخية، بل أصابتها تغيرات عميقة

[1] ينظر: عبد الواحد وافي، علم اللغة، مطبعة نهضة مصر، 1382هـ1962م، ص: 49.

[2] ينظر: أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958، ج: 01، ص: 25.

أنتجت أشكالاً حديثة لها، كالبرتغالية، والقشتالية والفرنسية، والإيطالية، وقد أدّى هذا التطور إلى إدراك بعض الفروق التي توحي لنا بأنها لغات مختلفة.[1]

غير أن الأمر يختلف في بعض اللغات فالناظر في أمر اللهجات العربية، سواء القديمة الحديثة منها، في مختلف البلاد العربية، يدرك ويجد أنها اللغة العربية الواحدة، من الجزيرة العربية، مع ما طرأ عليها من تحريف لألفاظها وأصواتها، نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية، ونتيجة لتحريف عامّة الناس وخروجهم عن أعراف اللغة وقوانينها وأنظمتها.

وإذا تأملنا مؤلفات الباحثين في اللغة واللهجات، نجد أنهم أطلقوا مجموعة من المترادفات على اللهجة منها:[2]

- اللغة المحكية.
- الشكل اللغوي الدارج.
- اللهجة الشائعة.
- الكلام الدارج إلى غيرها من الاصطلاحات.

ثانيا: علاقة علم اللهجات بعلم الأصوات:

علم اللهجات علم قائم بحد ذاته وهو من علوم اللغة الحديثة، يقوم بدراسة الظواهر الصوتية و الصيغ التعبيرية للكلام في اللغة الأم، يقول محمد أحمد خاطر «علم يدرس الظواهر المختلفة المتعلقة بحدوث صور الكلام في لغة من اللغات».[3]

[1] عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ص: 99-100.

[2] رياض قاسم، اتّجاهات البحث اللغوي في العالم العربي، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط: 01، 1982م، ص:25-26.

[3] محمد أحمد خاطر في اللهجات العربية – مقدمة الدراسة، ص: 5.

فهذا العلم يهتم بالظواهر اللغوية التي تحدث في اللغة بفعل تعدد اللهجات واختلافها كالإبدال، والادغام، المماثلة، المخالفة، التبسيط اللغوي «كما يتناول علم اللهجات انقسام لغة ما إلى عدة لهجات مرتبطة بها، قلّت أو كثرت، والأسباب التي تؤدي إلى ذلك، والصلة بين اللغة الأم وبين ما تفرع عنها من لهجات فرادى ومجتمعة، وبين كل لهجة وشقيقتها وخصائص كل هذه اللهجات في مستويات التحليل اللغوي، من أصوات وبنية وتركيب ودلالة وما يعرض لهذه اللهجات في صراعها وتفاعلها من قوة أو ضعف، وانزواء أو انتشار، وموت واحياء، ما يكون من سيادة إحداها على سائرها كما حدث للهجة قريش مثلا وبيان أسباب تلك السيادة».[1]

في تفسير قول أحمد خاطر للنقاط التي يتناولها هذا العلم نجد أن هذا العلم واسع جدا ذلك أنه يدرس النشأة الأولى للهجات ومواضع اختلافها وتشابه فيما بينها وبين اللغة الأم – الأصلية- وتنوع مواضيع الإختلاف والتشابه على عدة مستويات لغوية: الصوتي، الدلالي، التركيب، الصرفي، كما يدرس ويفسر في الوقت نفسه ويعقد مقارنة في بعض الظواهر كالإبدال و المماثلة والإدغام والمخالفة والنبر والتنغيم والإمالة والقلب والحذف وغيرها من الظواهر اللغوية.

وعند تتبع نشأة هذا العلم نجده وُلد عند الغرب أي أن الغرب هم من أصلوا لهذا العلم ليظهر للعلن على أنه علم له قواعد وقوانين ومواضيع خاصة به «علم اللهجات غربي أفرزه... ذاك التقدم الواسع الذي أحرزه الغربيون في مجال الدراسات اللغوية»[2]، لكن إذا عدنا إلى الدراسات العربية القديمة وجدنا لهذا العلم إشارات توقفوا عندها الغرب القدامى أبرزهم سيبويه (ت 180 هـ) والجاحظ (ت 255 هـ) ، وابن جني(ت 392 هـ) وعبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) .

ويجدر الإشارة إلى نقطة مهمة وهي أن هذا العلم لم يعرف بهذا الاسم قديما –علم اللهجات- بل كان يدرس كظاهرة لغوية وذلك كون اللغة العربية عند العرب شيء مقدّس فلم يهتموا كثيرا

[1] المرجع نفسه، ص: 5.

[2] المرجع نفسه، ص: 7.

باللهجات خوفا منهم أن تطغى لهجة على اللغة العربية الفصحى فهي عندهم خلقت كاملة بالوحي و التوقيف.[1]

ويندرج علم الأصوات ضمن علوم اللغة الحديثة فهو أحد فروعها، ولدراسة لغة ما أو لهجة ما ننطلق من أصواتها والظواهر الناتجة عنها سواء عبر سير التاريخ أو اختلاف الموقع الجغرافي، وعلم الصوت ليس بعلم حديث بل هو متجذر في الأبحاث العربية القديمة فقد تحث عنه الكثير من العلماء أبرزهم الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت 175 هـ) ، ولأن النطق مرتبط بالسمع وجب على الأذن اكتساب مزايا لمعرفة طبيعة الصوت ومخرجه.

فالخليل بن أحمد اعتمد على السمع في اكتشاف صفة الصوت، واعتمد على اللسان وأعضاء النطق لمعرفة المخرج الأصلي للصوت، وهنا معادلة ذات ثلاث أطراف هي السمع والصوت والنطق، هؤلاء الثلاث كل مرتبط بالآخر فلا يوجد أحدهم دون الآخر ولذلك نجد الصم يلازم البكم والعكس، هذا التلازم يجعل منهم عنصرا واحدا ولا ننكر أن للأذن دور كبير في تمييز الصوت وعلى ذلك وجب عليها أن تتمرن على الصوت لمعرفة طبيعته «وقد تكون مسألة المران في السمع والنطق أمرا ثانويا إذا اعتبرنا مسألة الأخطر شأنا وهي تعليل كثير من المظاهر الصوتية والاعرابية فإنها يمكن أن تكون عند التحليل الأخير إما تطورا صوتيا أو انحلالا صوتيا فكثير من قواعد الإعلال والإدغام وسقوط الإعراب يمكن أن تفسر فونتكيا، فعلم الفونتيك إذا أمر لا مفر منه في كل دراسة لغوية»[2]، وعلى ضوء هذا فإنه لا يمكن أن تكون دراسة لغة ما أو لهجة ما عن غنى دراسة أصواتها وأنظمتها الصوتية، فاللغة سلسلة من الأصوات وهذه اللغة لا تتأتى إلا بالكلام الذي هو صورة اللغة أو اللهجة والدارس للغة أو اللهجة يأخذ عينة من الكلام ويحلله من الوحدة الصغيرة إلى الوحدة الكبيرة بالوصف والملاحظة فبنية الكلمة والجملة لا يمكن دراستها دراسة علمية بحتة إلّا إذا تحقق الدرس

[1] ينظر: مصطفى صادق الرافعي تاريخ آداب العرب، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاري و مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان المنصورة إمام جامعة الأزهر، المجلد 1، ص: 117.

[2] أنيس فريحة، اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1989م، ص: 115-116.

الصوتي فيها وذلك لمعرفة العناصر المكونة للكلمة والجملة، فالدرس الصوتي يراعي عدة أنظمة على مستوى الكلمة والجملة كالتنغيم والنبر والإدغام وحتى الدراسة الدلالية لا يمكن جنيها إلا إذا ارتوت بدراسة صوتية «وعلم الأصوات اللغوية لا يقتصر على خدمة الدراسة اللغوية الوصفية أي لا يقتصر على وصف الأصوات والأنظمة الخاصة بلغة ما في فترة معينة من تاريخها بل، يخدم الدراسة اللغوية التاريخية والدراسة اللغوية المقرنة كذلك».[1]

وعلم الأصوات شأنه شأن علم اللغة يخضع للمنهج التاريخي لدراسة تطور الصوت عبر حقب تاريخية ثم إلى المنهج الوصفي الذي اهتم بوصف الأصوات وتحديدها، ثم إلى المنهج المقارن حيث يقوم بدراسة مقارنة لأصوات في لغتين مختلفتين.

إن الدارس للغة ما أو لهجة ما، لا يستغني عن علم الأصوات لأن «هذا الفرع الذي يتعلق بدراسة اللهجات يحتاج إليه دارس الفونتيك والسيمانتيك على سواء، بل إن أي باحث في اللغة بجميع فروعها لا يستغني عنه فهو يحوي دراسة أصوات اللهجات واتجاهاتها ودلالة الألفاظ والاختلافات الطارئة عليها، كما يتناول بالبحث نظمها التقعيدية والأسلوبية وغيرها من الظواهر اللغوية المتعلقة بها وأسبابها ونتائجها وهي تجري بمثابة بحوث مقارنة عن أوضاع اللغات واللهجات الحية منها والميتة».[2]

إن علم الأصوات الذي يتناول الفعل الكلامي أو ما يسمى باللغة الانجليزية (speeck event) الذي يخضع للملاحظة الدقيقة والتحليل والتجريد «يقوم بدراسة الصوت الحي للإنسان و هو يؤدي نشاطه اللغوي، وتحليل السلسلة الكلامية الى عناصر التي يمكن تجريدها ثم وصف الطريقة التي يتكون بها كل عنصر من هذه العناصر و بيان كيفية انتقالها في الهواء وذكر الخصائص لها ثم تصنيفها على

[1] السعران محمود، علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، دار الفكر، القاهرة، ص: 133.

[2] عبد الغفار حامد هلال ، اللهجات العربية نشأة وتطور، ص: 105.

أسس معينة، ومن هنا كان هذا العلم ذا أهمية جوهرية بالنسبة لسائر فروع اللغة إنه حجر الأساس لأي دراسة لغوية أخرى كالنحو».[1]

إن ما نتكلم به ونصدره ليس أصواتا قائمة بحد ذاتها بل هي عبارة عن كلمات وجملا وفقرات كل هذا يخضع للدراسة الصوتية كوحدات مستقلة فعلماء اللغة يدرسون التطور اللغوي أو التغيير اللغوي عند الانسان إذ أن هناك قوانين لغوية تتحكم في اللغة ومصيرها ومن بين هذه القوانين:

- التغيرات في لفظ الحروف المصوتة أي ذات حركة سواء طويلة أو قصيرة.
- التغيرات في نطق الحروف غير المصوتة.
- التغيرات في المفردات من ناحيتي المعنى والمبنى.
- التغيرات من ناحية التركيب.[2]

وعليه نقول إن علم الأصوات له دور كبير في دراسة اللهجات فهو الإنطلاقة الأولى في سير عملية الدراسة و لذلك له علاقة متشابكة مع علم اللهجات ولا يمكن الاستغناء عن هذا الفرع المهم في كل دراسة لغوية.

ثالثا: مصطلح المنطوق:

لكل لغة من لغات العالم شكلان: الشكل المنطوق والشكل المكتوب، وقد ظن قديما أن اللغة المكتوبة هي انعكاس اللغة المنطوقة، لكن الدراسات اللسانية الحديثة كشفت بأن لكلّ لغة مكوناتها ومميزاتها وأن تطور أي لغة في جانبها الصوتي أسرع وأكثر تنوعا من تطورها في جانب الصيغ والنحو والأساليب، وهذا إن دلّ فإنه يدل أن الجانب المنطوق في لغة ما يمارس بحرية تامة أكثر من الجانب المكتوب «إضافة إلى أن اللغة تصادف في تركيباتها الصوتية ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام

[1] المرجع السابق، ص: 104.

[2] ينظر: فريحة أنيس، اللهجات و أسلوب دراستها، ص: 90.

المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته ويتطور دونه، وخير دليل على هذا ما نشاهده في كثير من اللغات من مخالفة النطق للكتابة، مما يعني تطور النطق وبقاء الهجاء القديم»[1]، ورغم هذا يوجد فرق عظيم بين ما ينطقه المتكلم وما تسجله جملة من الظواهر والوظائف النطقية العام المعروفة في علم الأصوات كالنبر والاستفهام والتعجب والنفي.[2]

يقول أنطوان مييه Antoine Meyeh: «إن معظم الاختلافات في النطق التي تتميز بها اللهجات المختلفة والطبقات الاجتماعية المتباينة لا تظهر في الكتابة... والكتابة لا تملك ما يملكه المتكلمون من مناسبة وحركات و نغمة في الصوت، وتوضح الكلام المنطوق ونحن نكون فكرة خاطئة عن لغة ملفوظة عندما نحكم عليها بصيغتها المكتوبة فقط... فاللغة المكتوبة كثيرا ما تكون لغة خاصة لا علاقة لها باللغة المنطوقة»[3]، إن اللغة المكتوبة خاضعة لنظام له خصائص وهي تختلف عن اللغة المنطوقة ولا اعتراض على ذلك وأبسط مثال على ذلك ما نجده في القرآن الكريم: «نرى الرسم المصحفي لكلمات مثل (الصلوة، الزكوة ، مشكوة) بالواو مع أننا نطق هذه الواو فتحة طويلة (ألفا) ولا نجد في ذلك غرابة، فالأداء القرآني بخاصة سنة متبعة، ورواية تتلقى المشافهة، مع التسليم للرسم العثماني بأحكامه التاريخية الثابتة».[4]

لا يمكننا اعتبار أن المنطوق يجب أن يتطابق مع المكتوب وذلك أن المنطوق «متغير دائما من جيل إلى آخر، فإذا طابق اليوم منطوق جيله برموز معينة كان حتما أن يحاول أحلافه هذه المطابقة في الجيل التالي على نحو مختلف».[5]إن نظام الكتابة له خصائصه مخالفة تماما للعادات النطقية لأن هذه الأخير متغيرة ، فقولنا: الصلاة و الزكاة بالفتحة الطويلة ليس منافيا لكتابتها في المصحف الشريف بالواو الصلوة و الزكوة ، يبقى المعنى واحد والاختلاف في الكتابة فقط.

[1] تمام حسان، مناهج البحث اللغوي في اللغة، دار الثقافة، القاهرة، ط 1، 1974، ص: 99.

[2] ينظر: عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، 1950، ص: 10.

[3] المرجع نفسه، ص: 10.

[4] المصدر نفسه، ص: 10.

[5] المصدر نفسه، ص: 11.

1 ماهية المنطوق:

إن المنطوق من الكلام هو الأداة الأساسية والطبيعية للغات الإنسانية وقد ارتبط ظهوره بوجود الإنسان على وجه الأرض، فلا يعرف في التاريخ البشري الطويل أنه وجد تجمع بشري لا يتواصل أفراده بلغة منطوقة، والصورة المنطوقة هي الأهم والأولى بالدراسة لأنها أصل كل الوسائل الأخرى التي تتحقق بها اللغة واللغة نظام من الرموز الصوتية العرفية[1]، أو هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، إذ لا تزال وإلى يومنا هذا عديد لغات العالم لا تتوفر على صورة مكتوبة.[3]

ولقد أولى المعجميون القدامى العناية القصوى في عرض موادهم اللغوية وعلى ضبطها بالنطق الدقيق خوفا منهم على الانحراف الصوتي من جانب مستعمل اللغة، وقد أعانهم ذلك على الحديث من المشترك اللفظي، والقلب المكاني في اللغة العربية. وقد حذر علماء اللسان المحدثون من إهمال الاعتبار الصوتي في الكتابة بحكم أسبقيته على المكتوب، وأنه حي ومتطور، إذ رأى **دي سوسير** بأن موضوع اللسانيات لا يتحدد في كونه نتيجة الجمع بين صورة الكلمة مكتوبة وصورتها منطوقة، وإنما ينحصر في الكلمة المنطوقة فقط.[4]

ويتسم الكلام المنطوق بطابع التضارب بينه وبين الأنظمة اللغوية، وبالتالي عند ظهور مشاكل تطبيق الأنظمة على الكلام تعمد اللغة إلى تقديم طائفة من الحلول تسمى الظواهر الموقعية أو المعالم السياقية[5]، والتي لا يمكن درسها درسا دقيقا إلا بالعودة إلى الدرس الصوتي في ضبط هذه المسائل الموجودة في العرف العربي.[6]

---

[1] أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1998م، ص: 12

[2] ابن جني، الخصائص، ص: 33.

[3] الكلام المنطوق والعمل المعجمي، مجلة دراسات أدبية، العدد 06، 2010، الجزائر، ص: 117.

[4] فرديناد دي سوسير، دروس في الألسنة العامة ، ترجمة: صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، لبنان، د ط، 1985م، ص: 64.

[5] تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998م، ص: 47.

[6] كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000، ص: 609.

2 اللغة المنطوقة و المكتوبة:

إنّ ازدواجية اللغة واقع تشهده كل لغة وفي كل لغة هناك اختلافات وإذ كانت بشكل بسيط إلا أنها حقيقة لغوية يجب أن نعترف بها بين اللغة واللغة والمنطوقة، فاللغة المنطوقة هي اللغة المحكية وهي: «الكلام التلقائي المصوغ صياغة حرة في مواقف تبليغية طبيعية، إذن هي بمعنى الاستخدام اللغوي لا النظام اللغوي»[1]، إذ أن اللغة المنطوقة هي اللغة التي لا تخضع لقانون لغوي يضبطها فهي فيما يقابلها من مصطلح "اللهجة" فاللهجة هي اللغة المنطوقة التي لا تخضع لضوابط لغوية معينة، بل تخضع لنظام مجتمعي باعتبارها وليدة المجتمع وقصدها التبليغ، فهي حوارية بالدرجة الأولى، وهي سريعة التفلت من القيود «من سننها التطور والتبدل ومن طبيعتها أن تختلف في كل عصر عن الحالة التي كانت عليها في العصر السابق له، ولأنها لا تسير في تطورها هذا وفقا لإرادة الفرد أو تبعا لأهوائه وإنما وفقا لنواميس ثابتة صارمة لا يستطيع الأفراد سبيلا إلى تعويضها أو التغلب عليها أو تغيير مجراها»[2]، فاللغة المنطوقة متغيرة وغير ثابتة، عكس اللغة المكتوبة الثابتة التي تخضع لضوابط لغوية، واللغة المكتوبة في مفهومها هي: عبارة عن رموز واشارات وحروف وكلمات مصطلح عليها بين مجموعة من الأفراد، تخضع هذه اللغة لضوابط لغوية تجعلها مقيدة فهي تتسم بنظام نحوي، صرفي، صوتي ودلالي لا يمكن لها أن تتجاوزه، وهي تختلف عن اللغة المنطوقة اختلافا بيّنا، ويكمن هذا الاختلاف في ناحية الكم، إذ أن اللغة المنطوقة لها أصوات أكثر من اللغة المكتوبة التي تضم تسعة وعشرين حرفا، وإذا أردنا الحديث عن الأسبقية نجد اللغة المنطوقة أسبق من اللغة المكتوبة من ناحية الوجود فاللغة المكتوبة ظهرت في عصر التدوين بعد جمع القرآن من عقول العرب، وتعتبر اللغة المكتوبة صورة تجسيدية للغة المنطوقة بعلامات كتابية.[3]

[1] عبد الله اللحياني، بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1990م، ص: 61.

[2] عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر، القاهرة، ط 1، ص: 159.

[3] ينظر: معجم اللسانيات و علوم اللغة، دار اروس، فرنسا، 1996، ص: 666.

كما نجد في الآونة الأخيرة اهتماما كبيرا باللغة المنطوقة وقد يتساءل الكثير لماذا هذا الاهتمام بهذه اللغة التي لا تخضع لضوابط؟ والإجابة عن هذا بسيطة وهي أن اللغة المنطوقة احتلت مكانة لم تشهدها سابقا وهذا راجع إلى ما شهده العالم من اختراعات تعمل بالمجال الصوتي أكثر مثل الهاتف المذياع وغيرها من أجهزة التسجيل، هذه الأشياء جعلت اللغة المنطوقة تأخذ الحيز الكبير في دراسة اللغويين أكثر من اللغة المكتوبة، يقول بازيل بانشتاين bazil benstein عن اللغة المطوقة: «والتي تظهر فيها خصائص وطريقة النطق الخاصة بالمتكلم وكثيرا ما نعرف المستويين الاجتماعي و الثقافي والقطر الجغرافي للمتكلم، ويقال أن لغويا بارعا يستطيع أن يعرف الشخص من لهجته أي أن يحدد الشارع و العمارة التي يسكن فيها... المقصود هو أن لغة الشخص تدل على لهجته الاجتماعية أو على لهجته الجغرافية أو على مستواه الثقافي».[1]

ويمكن من خلال ما سبق أن نستخلص الفروق الموجودة بين اللغتين:

- اللغة المنطوقة أسبق وجودا من اللغة المكتوبة.
- المنطوق فضفاض متسع أكثر مما ينتجه المكتوب.
- اللغة المكتوبة موحدة متجانسة تخضع لنظام لغوي عكس المنطوقة التي تفقد التوحد والتجانس في متغيرة و غير ثابتة.
- اللغة المنطوقة تخضع للكم عكس اللغة المكتوبة.
- المنطوقة أصلح لشؤون الحياة اليومية، والمكتوبة أصاح للاتصال الرسمي و التعليمي.
- اللغة المنطوقة غالبا لغة انفعالية تساعدها الإشارات والإيماءات، أما اللغة المكتوبة لغة منطقية.

[1] محمد على الخوالي، الدراسات اللغوية، دار العلوم، 1998، ص: 51.

- الإرسال الشفهي في اللغة المنطوقة إرسال متواتر مألوف ومستمر أما الإرسال الكتابي في اللغة المكتوبة فنادر متقطع إذ تقتضي الكتابة تعمدا أكبر للقيام بها وجهودا أعظم للتكليف على موقف مقيد نسبيا.

الفصل الأول: خصائص العادات النطقية في لهجة غرب الجزائر

المبحث الأول: اللهجة في غرب الجزائر

اللغة كائن حي يتطور عبر الزمن ويتماشى مع ما يحيط به من ظواهر اجتماعية و ثقافية وسياسية وكل ما يشهده المجتمع اللغوي من تطورات. فاللغة تنمو بنمو الأفكار وتنوع الحاجيات، واللغة العربية من أكثر اللغات تأثرا بما أحاط بها من ظروف كثيرة ومتنوعة، فهي لغة ثرية بمفرداتها وألفاظها ومعانيها، تولدت منها عدة لهجات عُرفت لاحقا بالعامية، والعامية ظاهرة لغوية مهمة جدا تطرق لها العديد من اللغوين و وتوقفوا عند أهم الظواهر الصوتية والنحوية والصرفية والدلالية التي تتميز بها، ومما يسلّم به الناس أنّ اللغة العامية أو ما يعرف باللهجات تختلف من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، ومن بين اللهجات العربية لهجة الجزائر هذه اللهجة التي يراها عرب الخليج والمشارقة أنها صعبة وغير مفهومة، لكنها في الواقع لهجة قريبة من اللغة الفصحى كون معظم الجزائريين ينطقون الأصوات العربية بطريقة صحيحة بغض النظر عن بعض المناطق الجغرافية في الجزائر التي يوجد فيها تغيرات لبعض الأصوات كصوت القاف الذي نجده بعدة صور نطقية في جهات متعدد من الجزائر وخاصة في منطقة الغرب الجزائري. هذه الجهة تتميز لهجتها بخصائص صوتية نحوية وصرفية ودلالية.

عرفت الجزائر اللغة العربية بعد قدوم الفتح الإسلامي إلى منطقة شمال إفريقيا. هذه المنطقة التي استوطنها البربر وبالتالي كانت اللهجة البربرية هي لسان المنطقة، فعندما أتى الإسلام إلى أرض الشمال الإفريقي واختلط سكان المنطقة بالفاتحين تواصلوا فيما بينهم باللغة الفاتحة —اللغة العربية– فكان من الطبيعي أن ينال هذه اللغة شيء من التغير والتحريف فظهرت لهجات جديدة جرت على ألسنة سكان المنطقة الذين لم يتعودوا على اللسان العربي وأصواته وطريقة نطقه، وبعد هذا تأثر العرب بهذا اللحن حتى سار على ألسنتهم وتعودوا عليه وصارت عادة لغوية يقول ابن جني: «اعلم أن العرب تختلف أحوالهم في

تلقي الواحد منها لغة غيره، فمنهم من يحف ويسرع فيقول ما يسمع، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ومنهم من إذ طال تكرار لغة غيره عليه ألصق به و وجدت في كلامه».[1]

وهذا ما حدث بالضبط في لغة سكان الجزائر جراء تأثر العرب بالبربر وتأثيرهم فيهم وأيضا لا ننس ما تعرضت له الجزائر من وجود الرومان والبيزنطيين والفنيقين والإسبان والفرنسيين كلّ هذه الاستعمارات أكسبت سكان الجزائر طابعا ثقافيا ولغويا متنوعا يمكن اعتباره ميراث وجزء لا يتجزأ من شخصيتها يقول المقديسي (ت 380 هـ): «في المغرب الافريقي عامة لغتهم عربية غير أنها منغلقة مخالفة لما ذكرناه في الأقاليم ولهم لسان آخر يقارب الرومي»[2]، يلمح المقديسي في حديثه هذا أن لغة المغرب العربي لغة منغلقة ومختلفة عن بقية المناطق التي عرفها، و وصفها أنها لغة مخالطة وقريبة للغة الروم وهنا نجده يقصد لغة البربر لغة سكان الأصليين للمنطقة. كان للفتوحات الإسلامية و توجه العرب نحو شمال إفريقيا في أواخر القرن السابع ميلادي، بقيادة عقبة بن نافع الذي عهد إليه بفتح إفريقيا في خلافة معاوية، وتداول العديد من المماليك الحكَم على شمال إفريقيا من موحدين ومرابطين، وبانتشار الإسلام في المغرب الأوسط خاصة فضلا كبيرا في نشر اللسان العربي ، حيث أصبحت العربية هي لغة التفاهم بين الناس بمختلف فئاتهم، في البوادي والمدن، حيث انتشرت انتشارا واسعا بعد أن كانت الأمازيغية هي لغة التخاطب اليومي بين السكان، وبعد تداول الاحتلال بأنواعه على الجزائر من إسباني وتركي وفرنسي تسربت لغات المحتل إلى اللسان الجزائري، وترك أثرا واضحا في اللغة العربية، سواء بلغة المغزو، أي: اللغة العربية باللغة الأمازيغية، أو بالغازي، وهي اللغة الاسبانية واللغة التركية واللغة الفرنسية[3]، ولا شك أن عامل الاحتلال أدى ذلك إلى ظهور لهجات محلية مختلفة في الجزائر، وذلك بحسب الاحتكاك اللغوي الذي مسّ اللغة العربية مع غيرها

[1] ابن جني، الخصائص، ج 1، ص: 383.

[2] : محمد بن أحمد المقديسي ،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، حررها شاكر العيبي، دار السويدي، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، 2003، ص: 8.

[3] ينظر: سعاد محمد خضر، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة المعاصرة، بيروت، 1967، ص: 16.

من اللغات، وبهذا الاحتلال والغلط اللغوي نتجت اللهجات المحلية في الجزائر، فتولدت فيها لهجة الجنوب، ولهجة الغرب، ولهجة الشرق، ولهجة الوسط، أو لهجة الشمال، أو لهجة العاصميين، ويقصد بها لهجة عاصمة الجزائر. ومن مميزات اللهجة الجزائرية بصفة عامة اتصافها بالإبدال، وبالقلب، وبالحذف وبالتسهيل والتحقيق الصوتي، ولاشك أن هذه المميزات هي صفات لهجية عامة في الشعوب كلّها.

إن بعض العامية الجزائرية تسهل الهمز، لسببين هما: أولهما: إن المتكلم في الجزائر لا يسهل الهمز عادة خلال عملية النطق، وله في الوقت نفسه من القدرة على التحقيق. ثانيهما: إنّ من تعودت أوتاره الصوتية تسهيل الهمز يصعب عليه بعد ذلك التحقيق، ومثال هذه الظاهرة ما نلاحظه في أصوات أخرى، كالذي يحدث بين الهمزة والعين، كإبدال الهمزة عينا في: القرآن، فيقول: القرعان، أو إبدال الهمزة قافا، أو عكسها، مثل نطق كلمة القسم: الاسم، أو نطق كلمة الاسم: القسم، ومنها أيضا نطق القهوة: الأهوة، والمسؤول: مسعول، ومثل ذلك كثير.[1]

إن الخصائص التي تميز لهجة الغرب الجزائري كثيرة ومتنوعة، سيما في قضية النبر والتنغيم التي تحظى بها الجملة أو المقطع اللغوي في هذه اللهجة المتميزة، والتي تسترعي جمهور الجزائريين، وتلفت أسماعهم إعجابا بها لاختلافها عن اللهجات الجزائرية الأخرى ، ولا سيما في العادات النطقية التي انفردت بها، وقد نزيد البحث إثراء إذا ضربنا أمثلة بنصوص لغوية من سكان ولاية تلمسان.

إن العادات النطقية في لهجة سكان الغرب الجزائري كغيرها من اللهجات لا يمكن الحديث عنها ووصفها وصفا علميا إلا إذا اعتمدنا الجانب النطقي أو الصوتي من اللهجة، إذ لابد من الحديث عن ظواهر صوتية وصرفية لتوضيح مواطن الاختلاف اللهجي. تتميز الجزائر بتنوع اللهجات نظرا لتوافد العديد من القبائل والأجناس جرّاء الفتوحات الاسلامية وتعاقب الدول المستعمرة، فيوجد فيها اللهجة الغربية وتشمل مناطق غرب الجزائري وهي قريبة وتقتبس من لهجة المغرب الأقصى، لهجة الشرق وهي تشمل المناطق الشرقية للجزائر وهي القريبة من تونس، اللهجة القبائلية وهم .كما تشير الكتب التاريخية . السكان

[1] عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، دار الغرب، وهران، 2004، ص: 60.

الأصليين لهذه الأرض، اللهجة الترقية المنتشرة في الجنوب الجزائري، اللهجة الشاوية المنتشرة في المناطق الشرقية الداخلية كـولايتي: باتنة، خنشلة.

ومن بين اللهجات المنتشرة في الجزائر لهجة الغرب، وتعد منطقة الغرب للجزائر إحدى أهم حواضر الجزائر، عرفت بتاريخها العريق و تراثها المتراكم لمرور مختلف الحضارات و توارثها المتعددة من ألفظ وشعر خاص بها وتشمل الجهة الغربية للجزائر على المناطق التالية: وهران، معسكر، تيارت، مستغانم، تلمسان، عين تموشنت، سيدي بلعباس، سعيدة، عين الدفلى، تسمسيلت، البيض، بشار، النعامة، مستغانم، شلف، وتتميز هذه اللهجة كونها تحمل عدة تغيرات على المستوى الصوتي والنحوي والصرفي والدلالي، فلهجة الغرب تضيف لاحقة للكلمات الأفعال منها وهذه اللاحقة هي صوت "ه" وهي منتشرة بكثر في إقليم وهران وبلعباس و مستغانم في حين تضاف لاحقة أخرى "و" في كل من تيارت سعيدة ومعسكر على سبيل المثال: "قتلهْ، قتلو"، نجد أيضا ظاهرة صوتية أخرى وهي الإبدال، كإبدال بعض الأصوات نجد هذا في ولاية تلمسان حيث تنتشر ظاهرة ابدال القاف إلى همزة و إلى كاف مثل: "قلب، ألب/ قهوة، أهوة".

كذلك ظاهرتي النبر والتنغيم التي تميز لهجة الغرب عن باقي اللهجات الأخرى . فهي تلفت الانتباه وتجذب السمع ،لاختلاف طريقة النطق عندهم، ولا يمكن رصد والتكلم عن عادات نطقية للغرب الجزائري إلا إذا وصفت صوتيا وصرفيا لأنها لهجة لها مميزات وخصائص تنفرد بها عن باقي اللهجات الأخرى الجزائرية، لكن تبقى اللهجة الجزائرية لها ميزة خاصة وذلك اتصافها بظاهرة الإبدال والقلب والحذف والإمالة والنبر والتنغيم والتسهيل والتحقيق الصوتي، فالتسهيل في لهجة الجزائر يحدث لسببين أولهما: المتكلم الجزائري لا يسهل الهمز عادة خلال عملية الكلام (النطق) وله في ذلك القدرة على تحقيق الهمز.

أما الثاني: فهو التعود على تسهيل الهمز، فمن تعود على تسهيل الهمز يصعب عليه التحقيق ومثال ذلك إبدال الهمزة عينا كقولنا: "آمين = عامين، مسؤول = مسعول، أو إبدال القاف همزة في قولنا: "قلب = ألب.[1]

1- الأفعال في لهجة الغرب الجزائري:

ما نجده في تصريف الأفعال في الأزمنة الثلاث ومع مختلف الضمائر في لهجة الغرب هو أن عملية التصريف لا تخرج عن القاعدة العربية إلا في بعض الأحيان في الحركات الاعرابية أثناء نطق الكلمة مع زيادة أو حذف، و علم الصرف يهتم بالحركة و الزيادة فيفصل وزنا على مقاسها، فمثلا الفعل الثلاثي المجرد – كتب – راه يَكْتَبْ، كْتَبْ، كْتُبْ / اكْتُبْ.

والجدول التالي يوضح التصريف مع مختلف الضمائر.

الضّمائر	الضّمير في لهجة الغرب الجزائري	الفعل في زمن الماضي	الفعل في زمن المضارع	الفعل في زمن الأمر
أنا نحن	آنا/أنايَا حنا/حنايا	كْتَبْتْ كْتَبْنَا	نَكْتَبْ + الفعل المساعد نكتبُوا + الفعل المساعد	/
أنتَ	نْتَ/نتايَا	كْتَبْتَ	تَكْتَبْ + الفعل المساعد	كْتَبْ/أُكْتَبْ

[1] ينظر: عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، ص: 60.

أنتِ أنتما أنتم	نْتِ/نتِيَا نْتُومَا نْتُومَا	كتبتي كْتَبْتُو كتبتو	تكتبي + الفعل المساعد تَكَتْبُو + الفعل المساعد تكتبو + الفعل المساعد	كَتْبي/أَكَتْبي كَتْبُو/أَكَتْبُو أَكَتْبُو
أنتما أنتن	نتوما نتوما	كتبتو كتبتو	تكتبو+الفعل المساعد تكتبو+ الفعل المساعد	كَتْبُو كَتْبُو
هو هي	هو هي	كْتَبْ كْتَبْتْ	راه يَكْتَبْ راهي تَكْتَبْ	/
هما هم	هوما هوما	كتبو كتبو	راهم يكتبو راهم يكتبو	/
هن				

جدول تصريف الفعل (كتب) في لهجة غرب الجزائر

تحليل الجدول:

مع الضمائر: نجد في الضمائر تغير بزيادة أصوات أو حذف فضمائر المتكلم المفرد نجد اضافة الياء في آخره و فنقول: أنايا. أما ضمير الجمع فتحذف النون الأولى و تسكن الحاء فنقول: حْنَا وعند البعض يقال: حْنَايَا بإضافة الياء.

ضمائر المخاطب: في المخاطب المذكر المفرد تحذف الهمزة فتصبح "نْتَ" بتسكين النون أو تضاف اليها الياء فتصبح "نتايا" و هناك من يثبت الهمزة فيقول": أنتايا"، أما مخاطب المؤنث فيقال: "نْتِ" أو أنتيا، وفي مدينة تلمسان نجد "نْتِينَا" تحذف الهمزة و نضاف نونا في آخر الضمير و تنطق: "نْتِينْ" بتسكين النونين. أما مخاطب المثنى فنجدهم يوحدون الضمير بين المؤنث والمذكر ويشيرون اليهم ب ضمير "أنتوما"، كذلك بالنسبة للمخاطب الجمع المذكر و المؤنث نجد نفس الضمير: "أنتوما".

ضمائر الغائب: لا يوجد تغيير في ضمائر الغائب المفرد المذكر و المؤنث، لكن التغيير الوحيد في ضمير الغائب المثنى: "هما" فيستعمل للجمع و للمؤنث و ينطق: "هوما".

1- **تصريف الأفعال**:

نجد في تصريف الأفعال تغيرات لا تخرج عن حذف أو زيادة أو حذف، ففي ضمائر المتكلم نجد الفعل "كَتَبَ" في عامية الغرب نجده بتسكين الكاف، أي فاء الفعل وزنه: "فْعَلْ".

مع ضمائر **المتكلم المفرد و الجمع** في:

الماضي: "كْتَبْتْ" على وزن فْعَلْتْ"، "كْتَبْنَا على وزن فْعَلْنَا".

المضارع: راني نَكْتَبْ على وزن نَفْعَلْ"، "رانا نكتبو على وزن نَفَعْلو".

ما نلاحظه في تصريف الفعل في زمن المضارع مع ضمائر المتكلم هو زيادة الفعل المساعد "راني، رانا" كما هو شائع في اللغة الفرنسية l'auxiliaire ، كذلك نجد أن الفعل تخلى عن علامة رفعة في المفرد و الجمع.

ضمائر المخاطب: نلاحظ تسكين آخر الفعل في الماضي مع المخاطب المذكر المفرد: "كْتَبْتْ" على وزن فْعَلْتْ". ومع مؤنث المخاطب: "كْتَبْتِي" على وزن "فْعَلَتِي" باتصال ضمير المخاطبة الياء.

مثنى المخاطب و الجمع المخاطب: نجد الفعل مع المثنى على وزن "فْعَلْتُو" "كْتَبْتُو" وكأن الكلام موجه للجمع، فالفعل تخلى عن علامة البناء و ألف الاثنين. بالإضافة إلى أن هذا النطق موجه للمؤنث و المذكر على حدّ سواء، أما مع ضمير الجمع فهو على نفس الوزن و العلامة الإعرابية نفسها البناء على الضم كما هو في قواعد النحو، الشيء الوحيد المختلف هو أنه يستعمل للتعبير عن مخاطب الجمع المؤنث.

أما المضارع: فنجدهم يستعملون الفعل المساعد فمع المخاطب المذكر و المؤنث يقولون: "راه يَكْتَبْ، رها تَكْتَبْ" على وزن "يَ/تَفْعَلْ" بتسكين لام الفعل فعلامة الرفع غائبة في زمن المضارع في لهجة الغرب.

مع ضمير المخاطب المثنى و الجمع المؤنث و المذكر يقولون: "راكم تَكَتْبُو" على وزن "تَفَعْلُو" هذا التعبير صالح للمثنى و الجمع، للمذكر و المؤنث فلا اختلاف في ذلك، وعلامة الرفع غير موجودة في جميع الضمائر و لا وجود للضمير المتصل الدال على هيئة الفاعل ما عادا الجمع "الواو".

الأمر: الأمر في لهجة الغرب مع ضمير المخاطب المفرد على وزن "أَفْعَلْ" مع ضمير المخاطبة "أَفْعَلِي" مع المثنى و الجمع المذكر و المؤنث على وزن "أَفْعَلُوا".

ضمائر الغائب: وزن الفعل في الماضي مع ضمائر الغائب في لهجة الغرب: "فْعَلْ "فَعْلُو"

في المضارع نجد أيضا حضور الفعل المساعد **"راه، راها، راهم"** والفعل على وزن **"يَفْعَلْ، تَفْعَلْ، يَفَعْلُو"**.

صيغة اسم الفاعل:

صيغة اسم الفاعل موجودة في لهجة الغرب لكن قليلة الاستعمال لكنها لا تخرج عن الصيغة الصرفية في الفصحى "فاعل" يقولون: في الفعل الثلاثي "كتب = كَاتِبْ"، شرب = شارب، قْرَا بمعنى قرأ = قَارِي، صام = صايم، وقف = واقف.

أما صيغة اسم المفعول فهي غير موجودة إلا نادرا ما تصادفك كلمة، مثل كلمة مستور على وزن مفعول.

اتساع مجمع وتفرعه وتشعبه سيوجد لهجات ولغات تتصل بالأصل و تدل عليه و لا تنبت عنه بشكل قاطع.[1]

2- الأسماء الخمسة و علامة اعرابها في لهجة غرب الجزائر:

من بين الأسماء الخمسة الأكثر استعمالا في لهجة غرب الجزائر "أب، أخ"، والمعروف في القواعد النحوية أن الأسماء الخمسة ترفع بالواو وتنصب بالألف وتجر بالياء:

وَسِتَـــــةٌ تَرْفَعُـــهَا بِالْـــوَاوِ فِي قَـــوْلِ عَـــالِـــمِ وَ رَ اوِي

وَالنَصْبُ فِيهَا يَا أَخِي بِالْأَلِفِ وَ جَرُهَا بِالْيَاءِ فَاعْرَفِ وَ اِعْتَرِفِ[2]

وقال ستة لأن أصل الأسماء الخمسة هي ستة وهي: أبو، أخو، فو، ذو، حمو، هنو.

[1] ينظر: محمد ديب عبد الواحد جمران، معجم من اللهجات العربية و ما وافق منها القراءات القرآنية، مكتبة العيبكان، الرياض، ط 1، 2000، ص: 06.

[2] أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الأجرومية، دار الأصمعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1998، ص: 30.

فالرفع فيها «ترفع بالواو نيابة عن الضمة نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ**﴾[1]، وتنصب بالألف نيابة عن الفتحة نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ**﴾[2]، وتجر بالياء نيابة عن الكسرة كقوله تعالى: ﴿**قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ**﴾[3-4]، ويجملها ابن مالك في قوله:

وَارْفَعِ بِوَاوٍ وَانْصِبَنَّ بِالْأَلِفِ وَاُجْرُرْ بِيَاءٍ مَا مِنْ الأَسْمَا أَصِفِ[5]

لكن في لهجة الغرب لا يلتزم ناطقوها بهذه القاعدة فهم لا يرفعونها ولا ينصبونها ولا يجرونها حسب موقعا في الجملة، بل يلتزمون حركة إعرابية واحدة وهي الرفع في كل حالات موقعها في الجملة مثل قولهم:

اللهجة	ما يقابلها في الفصحى
روح مع خوك	اذهب مع أخيك
ضربتَ خوك	ضربتَ أخاك
كلاه خوك	أكله أخوك

3- أسماء الإشارة:

يكمن دور أسماء الإشارة في لغة التواصل بيان المقصود بعينه كقولنا: هذا الرجل أي نقصد الرجل بعينه دون سواه، وبما أن اللهجة فرع من اللغة الأم فهي إذن تحمل نفس الخصائص.

[1] سورة يوسف، الآية 94.

[2] سورة يوسف، الآية 08

[3] سورة القصص، الآية 35.

[4] محمد فاضل السامرائي، النحو العربي أحكام و معان، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 2014، ج 1، ص: 45.

[5] أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ألفية بن مالك في النحو والتصريف، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط 1، 2014، ص: 123..

وأسماء الإشارة لا تقتصر على الفصحى فقط بل هي موجودة في اللهجات عامة ولهجة سكان غرب الجزائر كذلك، إذ نجدهم يستخدمونها في كلامهم باختلاف طفيف أما بالحذف أو زيادة.

وأسماء الإشارة المنتشرة بين سكان الغرب هي هذا، وينطقونها بالدال، هذي بحذف الهاء، **هذو** للدلالة على الجمع والمثنى وهناك من يضيف لها الميم فتنطق: **هذوما**.

أما أسماء الاشارة للأماكن فهم يشيرون لها بـ: -**هنا**- بتسكين الهاء وهذا للدلالة على المكان القريب وهنا نقطة مشتركة مع اللغة الفصيحة، للمكان البعيد -**لهيها**-، بدلا من هناك، و -**هذيكا**- للدلالة على الشيء البعيد، وهي كالآتي:

- هذا = هادا/ هدايا مثل: هادا كتاب.
- هذه = هاذي / هذيا مثل: هاذي مرا بمعنى هذه امرأة.
- هؤلاء = هذوما / هذوكا مثل هذوكا الجماعة مناس أي من الناس، هنا هذوكا دلالة لبعد الجماعة مسافة، أما هذوما الجماعة، فهنا الجماعة قريبة من الدال عليهم.
- ذلك = هذاك / ذاك مثل: هذاك الرجل معلم / ذاك الراجل معلم.
- تلك = هذيك / ذيك مثل هذيك اللوطو شابة / ذيك اللوطو شابة.
- أولئك= هذوك / هذوكا. مثل هذوك للمثنى و الجمع معا يقال: هذوك زوج رجالا، هذوك الرجال.
- هناك = لهيك / ثماك / ثما / التم. مثل: ثما تلاقيت بالأستاذ.
- هنا = هنايا مثل: هنايا المسجد.

4- الأسماء الموصولة:

الأسماء الموصولة في لهجة الغرب الجزائري تعوض بكلمة "اللي" فبدل من قولهم: الذي أو التي أو صيغة المثنى والجمع يقولون:«اَلِيْ» وحين ننظر إلى تركيبة هذي الكلمة نجدها تأخذ القسم الأول من الاسم الموصول الفصيح أي "ال" التعريف و الأصل في الألف واللاّم هو للتعريف و الدليل «أنك تقول:

الذي قام زيد، فهذا التشديد الذي في الألف و اللام لأنهما دخلتا على نفس الكلمة »[1]، جاءت لتبين وتعرف من قام، ومن هنا حافظ سكان الغرب على ألف واللام الزائدتين على الاسم الموصول زيادة لازمة، من أجل البيان والاثبات والتأكيد، فالألف واللام قامتا مقام الاسم الموصول وهذا دائما طلبا للتخفيف في عملية النطق.

5- العلامات الإعرابية:

لا يحترم أحيانا سكان الغرب العلامات الإعرابية في الأزمنة الثلاث، بل إنهم يقتصرون على علامتين هي السكون والضم، ويستعملون في حديثهم في المضارع الفعل المساعد "راه" كقولهم: راه ياكل، أي هو يأكل، فهم لا يعملون حروف الجر في الأسماء ولا يثبتون الرفع والنصب في الجملة الإسمية، إذن فهم لا يحترمون الحركات الإعرابية ولا الترتيب في عناصر الجملة، لكن هذا لا ينفي توافق لهجة الغرب مع اللغة الأصل في بعض الأمور إذ تعتبر اللهجة فرع من اللغة الأصل مهما تطورت فهي متشبتة بها رغم كل ما يحيط باللغة الأم، ثم إن التطور الذي يهز المجتمعات لابد أن ينعكس على لغتنا فيحل ألفاظ محل ألفاظ وتراكيب وجملا محل غيرها.

كذلك علامة الجمع والمثنى فهم لا يفرقون بين الجمع والمثنى في حديثهم ويبقى الرفع و الواو دلالة على المقصود بالحديث، كقولهم مثلا: أمين و مصطفى راهم ياكلُو، أهم هما يأكلان.

ثم إنهم لا يحترمون العلامات الإعرابية، فوقوع الحركات القصيرة في آخر الكلمة جعلها في الغالب عرضة للسقوط وحل محلها السكون، وفي ذلك تيسير واقتصاد، وهذه الظاهرة تمس جميع اللهجات العامية المتشعبة عن الفصحى: «انقرضت هذه الأصوات جميعها سواء في ذلك ما كان علامة الإعراب وما كان

[1] الرشيد عوض الكريم محمد نور، أسماء الموصول في سنن أبي داود – دراسة نحوية دلالية ، أطروحة دكتوراه، إشراف: عبد الجبار بلال منير، جامعة أم درمان الإسلامية، 2010، ص: 104.

منها حركة بناء فينطق الآن في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة الأواخر فيقال: رْجَعْ عُمَرْ لَلْمَدْرَسَة بَعْدْ مَا خَفْ عْيَاهْ، بدلا من رَجَعَ عُمَرُ إلى المدرسة بعدما خَفَّ مِن أَعيَائِهِ».[1]

إن تلاشي علامات الإعراب والوقوف بالحرف مسكنا فيه تيسير، وقد أدرك علماء اللغة أهمية الساكن فوقفوا به على نهاية الألفاظ ووَقَفُوا به على نهاية الفعل في حالة الأمر والنهي. فالنطق بالساكن قد ساعد المتحدث على سرعة تعبيره بطريقة من طرق الاختصار في الجهد العضلي قصد إظهار المعاني وسرعة النطق بها.[2]

إن هذه القوانين الصوتية التي تَحَدَّثَ عنها علماء اللغة ما هي إِلَّا مُيُول أو اتجاهات تحكم الأنظمة الصوتية، فهم لا يقصدون من وراء هذه القوانين سوى رصد ظاهرة صوتية معينة وتسجيلها ورصدها في صيغة من الصيغ دون أن يُضمِنوا قانونهم هذه الحتمية التي يتضمنها القانون في العلوم الدقيقة.

إن سكان الغرب الجزائري لهم لهجتهم تميزهم عن باقي اللهجات المنتشرة في الجزائر إلا أنهم لا يختلفون عن هذه اللهجات في استعمال الحروف في حديثهم إذ أنهم لا يعملونها.

6- الحروف:

يستعمل سكان الغرب حروف الجر لكن دون إعمالها في الكلمة أي لا تثبت عملها، وأكثر الحروف المستعملة هي "في، عن، اللام، من".

أما حروف النصب فهي نادرة في لهجتهم وإن وجدت فإنها لا تكون للنصب بل للدلالة للتأكيد على شيء ما، أو للتبرير و التعليل ، وفي الموالي حروف وما يقابلها في لهجة الغرب الجزائري:

لكن= بَصْحْ.

[1] علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، ص: 138.

[2] ينظر: عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب: تطوان وما حولها دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م، ص: 66.

أنّ= بَّلي.

أم/أو= ولا.

ثم = منبعد / أومبعد.

لكي= باش/ باه.

كأن /كما/ك التشبيه= كِلِي/ كيما/ كي شغل.

عندما/ لما= كي/ مين.

إذا/إذن= مالا.

إمّا= يا مثل يا هكا يا هكا.

حتى = حتى.

لو = لوكان.

و= و/ مع.

إلى= لْ.

في= في/ فْ.

أما النفي فهم لا يستعملون بكثرة أدوات النفي بل يكتفون بـ "ما" و إلحاق زائدة على الكلمة هي حرف الشين، كقولهم ما قريتش، ما رحتش، ما شفتش، أو بالنفي مع الفعل المساعد كقولهم مرانيش ناكل، مرانيش مليح.

يتصل هذا المستوى بالمفردات ودلالتها، وتنوع معانيها من منطقة إلى أخرى بل حتى في منطقة واحدة، وهذا ما نجده في لهجة الغرب الجزائري، إذ تتعدد الكلمات لكن المعنى واحد وهذا راجع للحضارات الوافدة على هذه المنطقة، فقد شهدت الجزائر عدة أجناس خلفوا وراءهم كم هائل من عادات اجتماعية ولغوية، لهذا نجد المجتمع الجزائري غني بألفاظ متعددة.

ومن خلال هذا المستوى سنتحدث عن: الترادف، التضاد في لهجة غرب الجزائري.

7- الترادف:

يعد الترادف ظاهرة لغوية تتميز بها اللغة العربية عن باقي اللغات، وهو يعني أن تجمع لفظين مختلفين على معنى واحد يقول بالمر balmor (ت 2019 م): «تستخدم كلمة الترادف في معنى (تماثل) المعنى semences ومن الواضح أن كثيرا من مجموعات الكلمات بالنسبة لمصنف المعجم تحمل المعنى نفسه فهي مترادفات أو ترادف كل منها الأخرى».[1]

ونلاحظ أن هذا النوع من المصطلحات ينتشر بكثرة في وسط لهجات مناطق غرب الجزائري، بحيث إن سكان هذه الجهة يختلفون في التعبير عن معنى واحد بألفاظ متعددة، وفيما يلي نذكر الألفاظ المتداولة في لهجة غرب الجزائري مختلفة لكنها تحمل نفس المعنى.

بزاف: تعني "كثيرا" في الفصحى، تستعمل هذه اللّفظة في جل مناطق الغرب تقريبا باستثناء بعض مناطق تيارت يستعملون كلمة "ياسر" كسكان قصر الشلالة، و كلمة "عَيْطاَ" عند أهل فرندة.

أرواح: بمعنى: تعالى، يقابلها لفظ "آجي" لدى سكان بلعباس و مستغانم و وهران، وتستعمل أيضا كلمة "أربح عندي" بمعنى تعالى في غليزان و تيارت و البيض .

[1] ف، ر، بالمر، علم الدلالة، تر: مجيد المشطة، مطبعة الجمال المركزية، بغداد، 1985، ص: 92.

نزعق: بمعنى "أمزح" وهي لفظة متداولة بين سكان تيارت و بلعباس ومستغانم، أما وهران فيستعملون لفظة "نضحك" أو "نقصر" بالجيم القاهرية، وفي منطقة قصر الشلالة و رشايقة فيقولون "نقجم" بمعنى أمزح.

يا ويلتاه: هي عبارة تستعمل للتفجع من طارئ ما، و تختلف العبارات و الألفاظ التي تستعمل للتفجع في مناطق الغرب، ففي تيارت يقولون: يا عيتي، يا عيي، يا حوجي، يا كيتي. أما قصر الشلالة و رشايقة فيقولون "يا ويلي"، بلعباس ومستغانم و وهران يتلفظون بـ "أ حوجي"، أما تلمسان ومغنية: يا حي عليا، يا بردي، أحوجي.

وقتاه: كلمة تلفظ للسؤال عن الوقت، يستعملها سكان تيارت اضافة إلى لفظة: قيساش و وينتا "وهران ومستغانم وبلعباس وغليزان: "قيساش، و وينتا، وعلى قداه" أما تلمسان فيلفظون "قيساش، أيساش".

طفل: هو طفل الصغير، في تيارت يقال له "بَزْ، طفل، شير، ذَرِ"، وهران "شير، دري، غريان" بلعباس و مستغانم غليزان الكلمات نفسها.

حَيّد: أي ابتعد، يستعمل أهل تلمسان هذه الكلمة بينما وهران وبلعباس ومستغانم وغليزان تيارت فيستعملون: "لِزْ لْهيه" و كلمة "وَخَرْ" و "بَعَدْ".

خَفْ: أي أسرع، يستعمل سكان تيارت وغليزان وبلعباس ومستغانم هذه اللفظة "خف، أَنْدَهْ" إضافة الى كلمة "ازرب" وأطلق روحك التي تستعمل في وهران وتلمسان.

نَصْفَى: أي أذهب، تقال هذه الكلمة في منطقة تيارت خاصة المناطق القريبة من الأغواط والجلفة، أما تيارت وسط فيقولون "نروح"، وهران "نشَوَرْ" بلعباس و مستغانم "نَغْدَى"، نروح.

أرجى: بمعنى انتظر، يستعمل كل من سكان وهران بلعباس ومستغانم هذه الكلمة، بينما سكان تيارت وغليزان و تلمسان فيقولون "قارع " أو "أَسْتَنَى".

أقعد: بمعنى اجلس، تستعمل هذه اللفظة في كل من تيارت وبلعباس و مستغانم و غليزان، و كلمة "ريح" في وهران، وهناك كلمة أخرى هي "قَحْمَزْ" التي يتداولها سكان قصر الشلالة و رشايقة و عين الذهب، هذه المناطق قريبة من الجلفة والأغواط. تلمسان يستعملون لفظة" اقعد، و اجلس".

8- **التضاد:**

ويعني أن تكون مفردة عكس مفردة في المعنى، ويطلق و عليه لفظ التخالف «وتستعمل لفظة التخالف للتضاد للترادف، وإلا أن حالتيهما تختلفان كليا».[1]

ومن المصطلحات المتضادة في لهجات بعض المناطق الغربية (وهران، تيارت، بلعباس، غليزان، مستغانم، تلمسان) والتي لا نجد فيها اختلاف مع باقي المناطق في الجزائر ومع الفصحى في حدّ ذاتها، والجدول التالي يوضح ذلك:

الرقم	المضادات في العامية	ما يقابلها في الفصحى	بعض الاختلافات في اللهجة في ولايات الغرب
1	جيب/ أدي	أحضر/ خذ	في تيارت: هات
2	حط/ أرفد	ضع/ أرفع	
3	أقعد/ أوقف	اجلس، اقعد/ قف	في وهران وبلعباس: ريح
4	ديما/ ساعات	دائما/ أحيانا	

[1] ف، بالمر ، علم الدلالة، ص: 109.

5	قليل/ بزاف	قليل/كثير	في تيارت: ياسر، شوية
6	دخل/ خرج	دخل /خرج	في تيارت: خش
7	زعفان/ مش زعفان	غاضب/ راض	بلعباس: مغشش
8	بغي/ نكره	أحب/ أكره	تيارت: نشتي، نبغي
9	البرد/ السخانة	البرد/ الحر	تيارت: الحمان
10	يخف/ بشوي	يسرع/ يخفض	تيارت: يغصب وهران وبلعباس: يزرب

جدول المضادات في العامية

المبحث الثاني: المستوى الصوتي في لهجة الغرب الجزائر

1- القلب المكاني:

هي ظاهرة صوتية تحدث على مستوى (ترتيب) أصوات الكلمة، للغويين العرب تعاريف للقلب المكاني، ومنها تعريف الإسترأباذي: «القلب هو تقديم حروف الكلمة على بعض»[1]، أي أنه التغير في موقع أصوات الكلمة الواحدة فيتقدم الصوت الثاني ويتأخر الصوت الأول كقولنا: قلب = لقب.

يقول أحمد بن فارس: «ومن سنن العرب القلب و ذلك يكون في الكلمة... فقولهم: جذب و جبذ و بكل ولبك، وهو كثير»[2]، وقد ذكر السيوطي بعض نماذج القلب المكاني نذكر منها:

الكلمة	القلب المكاني بين الحروف
يئس	أيس
جذب	جبذ
صاعقة	صاقعة
اضمحل	امضحل

أما عند المحدثين فهو تغير فونولوجي يؤثر على ترتيب الأصوات داخل الكلمة، وعرفه ليبنسكي Lipinski بأنه: «نقل الأصوات داخل الكلمة، ويمكن أن يكون القلب في اللغة وفي لهجاتها عائدا إلى

[1] رضي الدين الإسترأباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد الحسن و آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975، ج 1، ص: 21.

[2] الصاحبي أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، في فقه اللغة العربية و سنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص329.

ميل الناطقين إلى التخفيف والتسهيل، وكذلك إلى الاختلافات الإقليمية واللغوية، ولو بين أفراد الشعب الواحد».[1]

فالقلب المكاني هو تغير فنولوجي يحدث على مستوى ترتيب أصوات الكلمة، ويحدث هذا القلب في كل اللغات وفي اللهجات وذلك عائد إلى ميل الناطقين إلى التخفيف و التسهيل وراجع أيضا للعادات النطقية المتوارثة وإلى الاختلافات الإقليمية.

وتتجلى ظاهرة القلب المكاني في لهجة الغرب في ما يلي:

الجوازة = الزواجة، وهي المرقة بالجيم القاهرية في لهجة بعض مناطق تيارت و نعني بها الحساء.

يلعن = ينعل هنا حدث القلب بين اللام و النون.

معايا = عمايا هنا حدث القلب بين الميم والعين و تهني "معي" هذا المنطوق في لهجة جنوب تلمسان وبعض مناطق في تيارت.

الشمس = السمش، حدث القلب بين السين والشين.

الجنازة = الزناجة، حدث القلب بين الزاي و الجيم.

يلتموا = يتلايموا، أي يجتمعوا.

الدجاجة = الجدادة، هذا المنطوق شائع في تلمسان.

الزجاج = الجاج (الزاج) في تلمسان و الزداج في تيارت.

القمرود = القرمود، في تيارت.

[1] بلقاسم بلعرج، الدارجة الجزائرية وصلتها بالعربية الفصحى، مديرية النشر لجامعة قالمة، 2008، ص: 111.

عفس= فعس: أي وضع عليه قدمه.

يقبظ = يقظب، هنا نطق القاف جيما قاهرية أي ما يقابلها في اللغة الفرنسية g، و القلب هذا شائع في وهران و بلعباس، حدث القلب بين الظاء و الباء و راجع هذا القلب إلى تقليص الجهد العضلي وتسهيل حركة اللسان في عملية النطق.

2- الإبدال:

قال أبو الطيب اللغوي (ت 351 هـ) «ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد.

وقد عرفه بأنه إقامة حرف مكان حرف مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة، وبذلك قد تشترك الكلمتان أو الصورتان في حرفين أو أكثر، ويبدل حرف منها بحرف آخر يتقاربان مخرجا أو في المخرج والصفة معا، ولا بدّ من شرط التقارب في المخرج بينها، وذلك نحو (قضب وقضم، فكان الاشتراك في حرفي (ق، ض)، أما الاختلاف بين الباء والميم وأحدهما مبدل من الآخر، وكلاهما من مخرج واحد، أي: هما حرفان شفهيان».[1]

والإبدال ظاهرة صوتية تعرفها كل اللغات فهو يعتمد على إبدال حرف بحرف آخر في الكلمة دون أن يتغير معناها، وقد سماه ابن جني في الخصائص باب الحرفين المتقاربين ويقول فيه: «وضع حرف غير أصلي في الكلمة مكان حرف آخر من الأصول بهدف التحقيق و سهولة النطق و تيسيره على اللسان من غير إدغام».[2]

[1] أبو الطيب اللغوي، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961، ج: 01، ص: 07.
[2] ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 07.

والإبدال ظاهرة صوتية تتواجد في كل اللغات، إذ من خلالها يستطيع الباحث أن يتعرف الخصائص الصوتية في كل لهجة، وقد يقف الباحث أمام هذا اللون من الدراسة حين برى الفروق الصوتية واللغوية الكثيرة بين لهجات اللغة الواحدة.

وينقسم الإبدال ثلاثة أصناف:

- إبدال صامت مكان صامت بحيث لا يوجد تأثير بين الصامتين مثل: مكة = بكة.[1]
- إبدال صامت مكان صامت آخر بحث يوجد تماثل صوتي بين الصوت المبدل عنه لصوت مجاور وهذا الإبدال يؤتى به للمخالفة بين المتماثلين، ويطلق عليه اسم "إبدال المخالفة".
- إبدال ناتج عن تأثير الأصوات اللغوية بعضها البعض عند النطق بها في الكلمات و الجمل، فيحدث تغيير في مخارج لبعض الأصوات و صفاتها، حتى تتفق في المخرج أو في الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فينتج بذلك التوافق و الانسجام بين الأصوات و من مظاهر الإبدال:

إبدال الحروف الحلقية: و الحروف الحلقية التي يحدث لها قلب هي: ء، ع، ح ،غ، خ.

1- الهمزة: الهمزة:

الهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، لأن فتحة المزمار مغلقة إغلاقا تاما، إذ لا نسمع فيها ذبذبة الوترين الصوتيين ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي يحدث صوت الهمزة.

وقد شهدت الهمزة عبر العصور العربية الإسلامية تخفيفا في نطقها والابتعاد عن تحقيقها، وذلك كونها تستهلك جهدا عضليا[2]، وتخفيف الهمزة وتسهيلها أمر شائع في اللهجات العربية، لاسيما في أول

[1] أبو الطيب ، الإبدال، ص: 09.

[2] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 91.

الكلمة[1]، وهو ظاهرة من ظواهر الاقتصاد في الجهد، فالذين مالوا إلى ذلك كانت غايتهم طلب الخفة وإيثارا للسهولة في النطق لا غير، وتخفيفها إنما يكون بوقوعها في الوسط أو في الطرف مثال ذلك أنها تسقط ويعوض عنها بمد حركة الصامت السابق لها في مثل: رَأْسَ رَاسْ – فَأْسْ فَاسْ – كَأْس كَاس – رَأْي رَاي – بِئْر بِيْر وهكذا، يقول المبرد (ت 285 هـ): «وأعلم أن الهمزة إذا كانت ساكنة فإنها تقلب –إذا أردت تخفيفها– على مقدار حركة ما قبلها وذلك في قولك رَأْس وجُؤْنة، ذِئْب إذا أردت التخفيف رَاس وجُونة، ذِيب»[2]، ومن مظاهر السهولة والتيسير في الهمزة أنها تتحول واو مثل: وِينْ في أَيْن، وْدَن في أُذُن، كما تتحول إلى ياء في: يَنَ في أَنَا ويَامَسْ في أَمْس، وهذا ما هو شائع في لهجة الغرب الجزائري، وهذه بعض الكلمات التي تخفف فيها الهمزة.

الكلمة في اللهجة	الكلمة في الأصل
لنظار	الأنظار
لضرار	الأضرار
ختي	أختي
لحوال	الأحوال
ليام	الأيام
لياس	اليأس
كاينة	كائنة

[1] عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومة، الجزائر، 2003، ص: 163.

[2] المقتضب، المبرّد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج: 1، ص: 157.

النايمين	النائمين
البني	البناء
جا	جاء
الضو	الضوء
مرا	امرأة

لا يمكن الجزم أن كل الكلمات المهموزة تخفف همزتها في لهجة الغرب، لأنه يوجد كلمات تحقق فيها الهمزة كقولهم: "جا أجله" أي توفي. ونفصل هذا التخفيف والإبدال فيما يلي:

2- إبدال الهمزة ألفا إذا كانت ساكنة و ما قبلها مفتوح مثل:

كأْس	كاس
فأْس	فاس
رأْس	راس

3- إبدال الهمزة هاء: إن إبدال الهمزة هاء في لهجة الغرب الجزائري نادر جدا وقليل الحدوث، ومن بين الكلمات التي يحدث فيها هذا الإبدال لفظة: إيْ وهذا اللفظة تعني "نعم" وهي حرف جواب.

إيْ	نعم	حرف جواب

وقد جاء إبدال همزتها هاء في لسان العرب: «إي بمعنى نعم وتوصل باليمن فيقال: إي والله وتبدل منها هاء فيقال: هي والله».[1]

ويقول ابن فارس: «أيه: أيهت به، إذا صحت به، و التأييه: رفع الصوت و تقول لمن تستزيده الحديث: إيه، ولمن تأمره قطع الحديث إيهاً».[2]

وفي تفسير هذا الإبدال، الهمزة صوت حنجري مجهور شديد يحتاج إلى جهد عضلي في أثناء النطق به، والهاء صوت حنجري مهموس رخو لا يحتاج في أثناء نطقه إلى الجهد العضلي الذي يبذل عند النطق بالهمزة، لذلك فإن العرب تحول الهمزة إلى هاء لأنهم يستخفون الهاء و يستثقلون الهمزة.[3]

يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي: «ويقال الهمزة صوت مهتوت في أقصى الحلق، فإذا رفّة عن الهمزة صار نفسا تحول إلى مخرج الهاء ولذلك استخفت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة »[4]، ويضيف: «والهاء حرف هش لين يجيء خلفا من الألف التي تبنى للقطع».[5]

4- **تبدل الهمزة ياء** إذا كانت ساكنة قبلها مكسور مثل:

ذِئْب	**ذيب**
بِئْر	**بير**
فِئْران	**فيران**

[1] ابن منظور، لسان العرب ج: 1، ص 14.

[2] ابن فارس، مجمل اللغة، تح: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط 1، 1986، ج: 1، ص: 108.

[3] ينظر: سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1995، ص: 135.

[4] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم و الفهارس، ج: 3، ص: 343.

[5] المرجع نفسه، ج: 4، ص: 102.

5- تبدل الهمزة واوا إذا كانت مفتوحة أو مكسورة في بداية الكلمة مثل:

أذن	**يودن**
إرث	**ورث**
أكد	**يوكد**

وفي تفسير هذا الإبدال نجد أنه للتخلص من نطق الهمزة و تحقيقها لصعوبتها فيلجئ الناطق إلى إبدالها صائت طويل لطلب السهولة و اليسر.[1]

6. **تبدل الهمزة عينا،** والعين همزة: تقلب الهمزة عينا، والعين همزة في بعض لهجات مناطق غرب الجزائر، ويحدث هذا الإبدال لتقارب الصوتين مخرجا.[2]

القرآن	**القرعان**
المعيشة	**المئيشة**
عائشة	**أيشة**
أمال	**عمال**

الهاء: الهاء صوت حنجري احتكاكي رخو مهموس مرقق، «عند النطق به يظهر المزمار منبسطا دون أن يتحرك الوتران الصوتيان ولكن اندفاع الهواء يحدث نوعا من الحفيف يسمع في أقصى الحلق أو داخل المزمار ويتخذ الفم عند النطق بالهاء وضعا يشبه الوضع الذي يتخذه عند النطق بأصوات اللين،

[1] ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ،ص: 197.

[2] ينظر: مولاي عبد الحفيظ طالبي، الإبدال في اللغة العربية مظاهره وعوامله وأثره في تنمية اللغة و تيسيرها، رسالة ماجيستير أدب، جامعة الجزائر، 1990، ص: 152.

والهاء عادة صوت مهموس يجهر به في بعض الظروف اللغوية الخاصة وفي هذه الحالة يتحرك معها الوتران الصوتيان».[1]

وتبدل الهاء في لهجة الغرب من الهمزة كقولهم: هرواح = أرواح بمعنى تعال.

العين: العين صوت حلقي احتكاكي مجهور مرقق «عند النطق به تندفع كمية الهواء من الرئتين مرورا بالحنجرة حيث تتحرك معها الوتران الصوتيان، وحين يصل إلى وسط الحلق يضيق المجرى عند لسان المزمار، حيث نتوءه إلى الخلف ليكاد يلامس الحائط الخلفي للحلق، وفي هذه الأثناء يرتفع الطبق سادا المجرى الأنفي فيندفع مؤلفا بنية هذا الصوت»[2]، يفخم هذا الصوت في الغرب الجزائري، ونادرا ما نسمعها مرققة وهذا بمجاورة الكسرة، لكن سكان المدن يرققونه في بعض الكلمات التي فخم فيها البدو، وهذا راجع إلى تأثرهم بسكان المناطق المجاورة كأهل تلمسان الذين يرققون دوما، وتعتبر هذه السمة من أهم مميزات لهجتهم، ويبدل العين في لهجة الغرب إلى:

إبدال العين حاء : تبدل العين حاء في حالات نادرة و ينسب هذا الإبدال لقبيلة هذيل[3]، وتبدل الحاء عينا في لهجة بادية تلمسان كقولهم في:

العشية	الحشية	مساءً
أعْتَ منه	أحت منه	أكبر منه

إبدال العين همزة: تبدل العين همزة في بعض مناطق تيارت وما جاورها من الولايات.

عائشة	أيشة

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 89-90.

[2] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء، عمّان، الأردن، 1998، ص: 181.

[3] ينظر: أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، 1983، ص: 370.

أعرف	نأرف
عباية	أباية
عصا	أصا

الغين: الغين صوت رخو مجهور مخرجه أدنى الحلق إلى الفم، فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم، وهناك يضيق المجرى فيحدث الهواء نوعا من الحفيف وبذلك تتكون الغين.[1]

لقد حافظ الغين على بعض صفاته و مع هذا فإنه يرقق في موضع الترقيق ويفخم في موضع تستدعي تفخيمه، لكن تفخيمه هو الأكثر شيوعا في لهجة سكان غرب الجزائر ويتبدل صوت الغين في لهجة الغرب إلى:

إبدال الغين خاء: هو إبدال لا يحدث إلا نادرا في لهجة غرب الجزائري.

يغسل	يخسل
يغفل	يخفل

ويرجع هذا الإبدال بين هذين الصوتين إلى تضارعهما في الصفة و تقاربهما في المخرج.[2]

إبدال الغين قافا: ينتشر هذا الإبدال في بعض مناطق تيارت و معسكر و سعيدة وبلعباس فهم يقولون:

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 89.

[2] ينظر: يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرية، ج: 10، ص: 136.

مغرف	مقرف	ملعقة
غرفية	قرفية	الصحن
غريب	قريب	
غدوة	قدوة	غدا
غاية	قاية	

الإبدال في الحروف الشجرية: والحروف التي يحدث فيها الإبدال هي: الجيم.

الجيم: الجيم صوت مجهور يتكون باندفاع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الاعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا، سمع صوت يكاد يكون انفجاريا هو الجيم العربية الفصيحة، وانفصال العضوين هنا أبطأ قليلا منه في حالة الأصوات الشديدة الأخرى ولهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتا قليل الشدة.[1]

وينطق الجيم في لهجة الغرب الجزائري معطشة أي كثيرة الرخوة، وتبدل الجيم في هذه المنطقة إلى:

إبدال الجيم زايا: هذا الإبدال شائع في غرب الجزائر خاصة في منطقة سبدو في تلمسان، حيث يبدلون الجيم زايا مثل:

الجيش	الزيش	
العجايز	العزايز	المرأة الكبيرة في السن

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 78-79.

العجاج	**العزاج**	**الغبار المتطاير جراء الريح**

1- الإبدال في الحروف النطعية:

الذال: صوت رخو مجهور، يتكون بأن يندفع معه الهواء مارا بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ الهواء مجراه في الحلق و الفم حتى يصل إلى مخرج الصوت، و هو بين طرف اللسان و أطراف الثنايا العليا، و هناك يضيق هذا المجرى فنسمع نوعا قويا من الحفيف[1]، و الأصل في هذا الصوت الترقيق، لكنه يفخم في بعض ولايات الغرب فيقلب إلى دال.

إبدال الذال دالا: يبدل سكان غرب الجزائر حرف الذال دالا خاصة سكان وهران بلعباس وتلمسان، أما تيارت وسعيدة وتموشنت ومعسكر فيحافظون عليه.

هذا	**هدا**
ذئب	**ديب**
الذهب	**الدهب**

ويفسر هذا الإبدال بتخلي سكان غرب الجزائر عن رخاوة الذال وتعويضها بشدة الدال، فالدال صوت أسناني انفجاري والذال تخرج من بين الثنايا وهو احتكاكي مجهور، ويبدل هذا الصوت –الذال– طلبا للخفة و تسهيلا عملية النطق.

الضاد: الضاد أحد أصوات الإطباق. فعند النطق بها ينطبق اللسان على الحنك الأعلى متخذا شكلا مقعرا، كما يرجع إلى الوراء قليلا... والضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص: 47.

الصوتيان، ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان بأصول الثنايا العليا. فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنايا سمعنا صوتا انفجاريا هو الضاد[1]، كان الضاد الصوت الوحيد المطبق الذي لم يقابل بنظير كما هو في وصف النحاة و اللغويين العرب القدامى أصبح اليوم صوت الدال نظيره المرقق في عربيتنا الفصحى المعاصرة. فقد أصابه تغير في مخرجه و صفته «فهو صوت أسناني لثو (انفجاري) شديد (مجهور مفخم). و هو الصوت المناظر للطاء المهموسة المفخمة، كذلك لا فرق بين صوت الدال و الضاد سوى أن الدال صوت مرقق».[2]

الظاء: صوت مجهور كالذال تماما، و لكن هذا الصوت يختلف عن الذال في الوضع الذي أخذه اللسان مع كل منهما، فعند النطق بالظاء ينطبق اللسان على الحنك الأعلى آخذا شكلا مقعرا... ويرتفع طرف اللسان وأقصاه نحو الحنك ويتقعر وسطه، كما يرجع اللسان إلى الوراء قليلا، و لذلك اعتبر القدماء الظاء أحد أصوات إطباق،[3] حافظ صوت الظاء على تفخيمه في عامية غرب الجزائري، حتى في حالة إبداله دالا أو ذالا أو ضادا فقد نطق المبدل منه مفخما كقولهم (دهر) في ظهر و (ذفر) في ظفر و (ضلمة) في ظلمة.

إبدال الضاد والظاء دالا: نجد هذا الإبدال في بلعباس، وهران وتلمسان خاصة في جنوبها فهم يقولون في:

الظلام	**الدلام**	
الظالم	**الدالم**	
نضرب	**ندرب**	

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 49.

[2] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 164.

[3] ينظر: المرجع السابق، ص: 47-48.

الضوء	**الدو**	
نضحك	**ندحك**	
الضيق	**الديق**	
الظهر	**الدهر**	**وهنا الكلمة تغيرت دلالتها فأصبحت تعني الزمن**

2- الإبدال في الحروف اللثوية:

الثاء: صوت أسناني احتكاكي مهموس مرقق، يتشكل بوضع طرف اللسان بين أطراف الثنايا العليا مع ترك ممر ضيق بينهما، يمر منه الهواء الرئوي مشكلا صوت الثاء. كل هذا يتم دون ذبذبة للوترين الصوتيين، مع اتخاذ اللسان وضعا مستويا ويرتفع الطبق ليسد التجويف الأنفي.[1]

حافظ صوت الثاء على صفاته في بعض الولايات الغرب والبعض الآخر تغير إلى تاء مشددة.

إبدال الثاء تاء مشددة: تشتهر كل من ولاية تلمسان و وهران وبلعباس بهذا الإبدال حيث يبدلون الثاء تاء مشددة مثل:

ثما	**تما**	**بمعنى هناك**
الثوم	**التّوم**	
الثعلب	**التّعلب**	

[1] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 149.

نحرث	نحرتّ	
ثعبان	تّعبان	
ثوب	تّوب	
ثلج	تّلج	
ثعلب	تّعلب	

وفي تفسير هذا الإبدال نجد أن مخرج الثاء قد تراجع و انتقل إلى الداخل فأصبح تاء شديدة فمخرج الثاء يتطلب إخراج اللسان و وضعه بين الأسنان وهذا حسب علي عبد الوافي: «إن تحول صوت الثاء في اللهجات العامية... في بعض البلدان العربية تاء إلى صعوبة النطق بهذا الصوت و ثقله على أعضاء النطق إذ أصبح لفظه على الوجه الصحيح يتطلب تلقينا خاصا و مجهودا إراديا، وقيادة مقصودة لحركات المخارج»[1]، ويؤكد رمضان عبد التواب هذه الظاهرة قائلا: «صوت الثاء من الأصوات التي فقدت في اللهجة العامية واستعيض عنه فيها بالتاء نحو ثْقِيل (تْقِيل)»[2]، وهذا الإبدال بين الثاء والتاء هو سائد في مختلف اللهجات العربية العامية أو المتفَصِحة، وأصبح متفشيا اليوم على نطاق واسع في مختلف البلدان العربية.[3]

3- الإبدال في الحروف الذلقية:

إبدال اللام نونا و إبدال النون لاما: تبدل اللام نونا والعكس في منطوق الغرب الجزائري مثل:

[1] عبد المعطي نمر موسى، الأصوات العربية المتحولة و علاقتها بالمعنى، دار الكندي، الأردن، ط 1، 2014، ص: 109.

[2] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1997، ص: 45.

[3] ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، دار هومة، الجزائر، د ط، 2013، ص: 93.

اسماعيل	اسماعين –هنا تحذف همزة الوصل–
سلسلة	سنسلة– تبدل اللام الأولى فقط–
زلزلة	زنزلة – تبدل اللام الاولى فقط–
فنجان	فنجال

4– الإبدال في الحروف الأسلية:

الصاد: صوت رخو مهموس، يشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق، فعند النطق بالصاد يتخذ اللسان وضعا مخالفا لوضعه مع السين، إذ يكون مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى، مع تصعد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلا ككل الأصوات المطبقة.[1]

حافظ هذا الصوت على تفخيمه في لهجة غرب الجزائري لهجة أصحاب المدينة و لهجة البدو على السواء فقالوا: الصهد والصابون وغيرها بصاد مفخمة وقد بلغ بهم التفخيم إلى إبدال السين صادا مثل: صوق (في سوق) وراص (في رأس. ويمكن أن يحدث العكس فتبدل الصاد سينا كقولهم: (رخيس) في رخيص ك. ما تبدل إلى زاي كقولهم: (الزدر) في الصدر. وهذه هي أهم التغيرات التي تعتري صوت الصاد في عاميتهم اليوم.

إبدال الصاد زايا: نجد هذا الإبدال في كل من تيارت وهران وبلعباس وتموشنت ومعسكر فهم يبدلون الصاد زايا فيقولون في:

قصدير	قزدير	نوع من الحلي

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 48.

صدم	زدم	اي تقدم إلى الأمام
تصدير	تزدير	

أبدلت الصاد زايا لمجاورتها الدال المجهورة، يقول ابن جني: «ومن العرب من يخلصها زايا فيقول يزدر و قزد، وهو يقصد الصاد أي يصدر و يقصد، ويشير ابن جني أن هذا التأثر يحدث عندما تكون الصاد ساكنة، فالحركة حسب نظره قوة الحرف وبها يتحصن ويبتعد عن التحول».[1]

إبدال السين صادا و إبدال الصاد سينا: كثيرا ما يبدل سكان الغرب الجزائري السين صادا والصاد سينا فيقولون في:

السوق	الصوف	نطق القاف كافا فارسيةg/گ
عروسة	عروصة	
سرة	صرة	
سورة	صورة	
صهريج	ساريج	تحذف الهاء

5- الإبدال في الحروف الشفوية

الميم: صوت مجهور لا هو بالشديد ولا بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة. ويتكون هذا الصوت بأن يمر الهواء بالحنجرة أولا فيتذبذب الوتران الصوتيان، فإذا وصل في مجراه إلى الفم هبط أقصى

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، د ط، 1993، ج: 1، ص: 56.

الحنك، فسد مجرى الفم فيتخذ الهواء مجراه في التجويف الأنفي، محدثا مروره نوعا من الحفيف لا يكاد يسمع. وفي أثناء تسرب الهواء من التجويف الأنفي تنطبق الشفتان تمام الانطباق. ولقلة ما يسمع للميم من حفيف اعتبرت في درجة وسطى بين الشدة والرخاوة، لأن خاصية الأصوات الشديدة هي الانفجار حين النطق بها، وخاصية الأصوات الرخوة هي نسبة الحفيف الذي قد يصل في بعض الأصوات الرخوة إلى صفير، كما في السين والزاي.[1]

الميم كالفاء من الأصوات التي فخمت في عامية المنطقة مع أنها ليست من الأصوات المفخمة، ولا من الأصوات التي قد تفخم في بعض الحالات كاللام والراء، فتجدهم يفخمونها في قولهم مثلا: مك في أمك.

أما عن إبدالها فمن النون كقولهم (جمب) في جنب ومن الباء كقولهم (رجم) في رجب. عدا هذان الصوتان فلم نسمع إبدالها من صوت آخر، أو إلى صوت آخر، ربما لأن طريقة إخراجه سهلة وغير شاقة فلم يحتاجوا إلى إبداله بصوت آخر يحل محله، ما عدا صوت الباء الذي يشاركه في المخرج، والنون التي تشاركه في الغنة، و لعل هذه أهم خصائص صوت الميم في عامية سكان غرب الجزائري.

إبدال الميم نونا: تبدل الميم نونا لدى سكان الغرب الجزائري فيقلوان:

مقيل – وقت القيلولة–	**نقيل**

إبدال القاف:

إبدال القاف منتشرة في الجزائر بصفة عامة وفي غرب الجزائري خاصة، إذ نجد له عدة أصوات هي: الكاف، الهمزة، الجيم القاهرية أو القاف المعطشة.

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 45-46.

فإبدال القاف همزة نجده في تلمسان العتيقة أي الحضر، وإذ رجعنا الى التاريخ نجد أنهم منحدرون من الأندلس بعد نكبتها فهم عندهم إبدال القاف همزة مخففة أي يبدلونها بأقرب الأصوات لها شبها، فقد انتقل مخرج القاف وتراجع إلى الوراء متخذا الهمزة التي تشترك معها في بعض الصفات، فالقاف التلمسانية همزة مخففة فهم يقولون في:

في حين نجد منطوق آخر لصوت القاف في كل من تيارت تموشنت بلعباس مستغانم سعيدة و معسكر وهو الكاف گ، فهنا غير القاف مخرجه ليتشكل حرفا أقرب إليه مخرجا و هو الكاف أو ما يسمى الكاف المشددة التي تقابلها g باللاتينية، فهم يقولون في:

سوق = صوڤ.

قريب = ڤريب.

قال = كال/ڤال.

بقرة = بڤرة.

رقاد = رڤاد.

قعد = ڤعد.

قمر = ڤمر.

فالقاف في إبداله إلى صوتين آخرين إما ينتقل فيتراجع إلى الوراء، أو يتقدم الأمام باحثا عن الصوت الأقرب له شبها، فان تعمق فلا يكون إلا همزة ،وان تقدم إلى الأمام فلا يجد آلة الكاف فهذان الصوتان يشتركان معها في صفة الشدة و الهمس.[1]

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 73.

ظاهرة الحذف في لهجة سكان الغرب الجزائري:

الحذف ظاهرة صوتية تحدث في كل اللغات و اللهجات وهي ناتجة عن سرعة الأداء اللغوي، بحيث يتم حذف أحد أصوات الكلمة، إما لثقله أو أن الكلام مفهوم من دونه، لذا فهو يعتبر من مظاهر الاقتصاد في الجهد العضلي.

والمعروف عند العرب في البلاغة الحذف أبلغ من البيان والذكر، فتنوع الحذف عندهم بين حذف كلمة أو جملة أو حرف أو حركة.

والحذف في الكلمة هو اقتطاع جزء منها دون اخلال في معناها وهذا ما سماه الخليل **القطعة**، يقول عنها: "القطعة في طيء كالعنعنة في تميم، وهي أن تقول: يا أبا الحكا[1]، وهو يريد يا أبا الحكم، فيقطع كلامه عن ابانة بقية الكلمة أي حذف الحرف الأخير.

ومن مظاهر الحذف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري:

أ/ حذف الهمزة في بداية الكلمة و نهايتها كقولهم:

أبيك	**باك، ابيك**
أخوك	**خيك، خوك**
أحمد	**حْمد**
اسماعيل	**سماعين**
أنت	**نْت**

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ج: 3، ص: 404.

أنا	يْن
أكل	كْل
إن شاء الله	نشا الله

تحذف أيضا من ال التعريف القمرية كقولهم:

الأحد	لحد
العشاء	لعشا– تحذف الهمزة–
الواد	لواد

حذف التاء: تحذف التاء في منطوق تلمسان في جملة وداع الضيف في قولهم: **"تبقى على خير = بأى على خير.**

حذف الدال في قولهم **دجاج = جاج.**

حذف الفاء في فعل شفت أي نظرت خاصة في زمن الماضي فيقولون: **شتو شتو في الجمع.** شتو في تلمسان تطلق للمفرد و الجمع.

حذف النون تحذف النون من المنطوق العربي في كثير من الحالات النطقية، وهو معروف في قضايا صوتية عربية، وخاصة في الإدغام، ولنا في منطوق سكان الغرب الجزائري أمثلة له كقولهم: **خرجت من المسجد = خرجت ملمسجد، ملدّار،** أي من المسجد / من الدّار. خرجت مدّار . خرجت مجّامع.

حذف العين: وقد تحذف العين عند بعض السكان، وخاصة في الأعداد، مثل: تناعش: تناْ ش، في العدد: اثنا عشر. سباطعش: سَبطاْ ش، في العدد: سبعة عشر.

حذف الفاء: من فعل الأمر (شوْ ف)، أي: أنظر فقد جاء على لسانهم: (شو) بتفخيم الشين، ونفس الفعل في زمن الماضي فإنه يتعرض إلى حذف الفاء، فنسمع قولهم: (شْ ت) بدل: شْفت، أو (شتُّو) بدل (شْفتُو)، وكل هذا مرده إلى السهولة والتيسير في نطق الكلمة والبحث عن أدنى جهد للنطق بالكلمة.

حذف الهاء: لا تحذف الهاء من بعض الألفاظ في لهجة سكان الغرب الجزائري، يقتصر حذف الهاء على هذه المنطقة من الجزائر، بل إن الظاهرة موجودة في كثير من الجزائرية، شمالا وجنوبا، ومن أمثلة هذا المنطوق: واْ سُم؟: والتي هي في الأصل سؤال: ما اسمه؟ وقولهم في الفاكهة: فاكية، و"منا": التي هي في الأصل "مْ نُ هَنا"، بالإضافة إلى حذف أحد النونين، وهما: نونِ "مْ ن ،"ونونُ "هَنا." فحذف الهاء استلزم التقاء صوتين مثلين، هما النون الأولى في "مْ ن"، والنون الثانية فيُ "هَنا ،" وهذا بدوره استلزم ادغام وفناء النون الساكنة في المتحركة فاستحالت إلى "منا.

الفصل الثاني:

دراسة صوتية فونتيكية لصوت القاف

المبحث الأوّل: اختلاف الحروف العربية باختلاف المخارج و الصّفات

توجد في كلّ لغة كيفيات تصاحب إنتاج الأصوات، ولولا هذه الكيفيات التي سمّاها العلماء صفات الحروف لما أمكن لنا أن نميّز بين الأصوات التي تشترك في المخرج الواحد، يقال في هذا الصّدد: «اعلم أنّ المخارج للحرف بمثابة الموازين، تعرف بها مقاديرها، والصّفات بمثابة النّاقد الذي يميّز الجيّد من الرّديء، فبيان مخرج الحرف، تعرف مقداره، فلا يزاد فيه ولا ينقص، وإلّا كان لحنا، وببيان الصّفة تعرف كيفيته عند النّطق.

إنّ لهذه الصّفات ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: تتميّز الحروف المشتركة في المخرج، قال "ابن الجزري": كلّ حرف شارك غيره في المخرج، لا يمتاز عنه إلّا بالصّفات، وكلّ حرف شارك غيره في صفاته، فإنّه لا يمتاز عنه إلّا بالمخرج، ولولا ذلك لا تحدث أصوات الحروف في السّمع، فكانت كأصوات البهائم لا تدلّ على معنى ولما تميّزت ذواتها) كالظّاء، فلولا انفرادها بالاستعلاء والإطباق والجهر، لكانت تاءً لاتّفاقهما في المخرج، والدّال لولا الاستفال والانفتاح اللّتان فيهما، لكانت طاء لاتّفاقهما في المخرج أيضا، والحاء والهاء والثّاء، لولا اختلافهنّ في المخرج، لكان حرفا واحدا لاتّفاقهن في الصّفات».[1]

الفائدة الثّانية: معرفة قويّ الحروف وضعيفها، فبها يعلم ما يجوز إدغامه، وما لا يجوز كما في ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ﴾[2]، لتمييز الطّاء عن التّاء بإطباقها وجهرها، وعدم جواز إدغام الطّاء في التّاء إدغاما كاملا، كما في ﴿أَحَطْتُ﴾[3]، لأنّه لا يدغم قويّ في ضعيف في وجه الدّراية، لكنّه من وجه الرّواية يجوز الإدغام النّاقص.

---

[1] علوى بن عبد القادر السقاف، موسوعة اللغة العربية، باب صفات الحروف في علم التجويد، www.dorar.net

[2] سورة الأحزاب، الآية: 13.

[3] سورة النمل، الآية: 22.

الفائدة الثّالثة: تحسين لفظ الحروف المختلفة في المخرج كتخليص حروف المد من الغنة نحو: الناس، والعالمين، وكتلخيص المرقق من المفخم نحو: المستقيم بتلخيص التاء من القاف وكالحفاظ على صوت الحرف من عدم بيانه».[1]

تتلخص هذه الفائدة كونها تميز الحروف عن بعضها البعض كإبراز المرقق من المفخم عند التجاور وهذا يعطي النطق قوة وغنة.

وقد اتفق العلماء والدارسين أن للحروف ألقابا عشرة حسب مخارجها، وهي مما اصطلح عليه علماء التجويد وصارت مشهورة عندهم وهي: حلقية، لهوية، شجرية، أسلية، نطعية، لثوية، ذلقية، شفهية، جوفية، هوائية، هذه الألقاب وضعها الخليل ابن أحمد الفراهيدي وهو كذلك اشتقها من مخرج الصوت وهذا جعله يرتبها في معجمه عنونه —العين–".[2]

إن قضية تصنيف الأصوات حسب مخارجها ليست وليدة الدراسات الحديثة بل هي منذ القدم فقد اعتمد أجدادنا في دراستهم لتصنيف الأصوات وتسميتها حسب مخارجها على الملاحظة المباشرة وعلى المنهج الوصفي الدّقيق...، أي دراسة الصّوت اللّغوي كما هو وكما ينطق به أصحابه، في حين تطوّرت الدّراسات الحديثة معتمدة على أدقّ الآلات التي وصلت إليها التّقنيات الحديثة من مخابر لغوية وبرامج حاسوبية وغيرها، فمن الطّبيعي أن تكون الدّراسات المعاصرة أدقّ وأضمن للنّتائج ممّا كان عليه القدماء من غير أن ينقص من جهود من سبقهم في هذا الميدان.

1- مخارج الأصوات العربية:

يتنوّع نطق أصوات اللّغة الواحدة من متكلّم لآخر، حسب السنّ والجنس، وحسب الموقف الكلامي وملابساته، ويصنّف العلماء أصوات اللّغة إلى مجموعات حسب أسس معيّنة، لتيسير دراستها

[1] موسوعة اللغة العربية، باب صفات الحروف في علم التجويد.

[2] ينظر: علي الله بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد (المكتبة الشاملة)، دار الوفاء، منصورة، ط 3، 2003، ص: 152.

وتحديد خصائصها الصّوتية، وأشهر صور تصنيف الأصوات في الدّرس الصّوتي العربي هي تصنيفها بحسب المخارج والصّفات.

«فالمخرج (point d'articulation) هو المكان الذي تعترض فيه أعضاء النّطق مجرى النّفس، فتعدل في طريقة مروره، من قفل تامّ للمجرى يعقبها انفتاح أو تضييق، ينتج عن تقارب عضوين من أعضاء آلة النّطق، وقد سمّي موضع القفل أو التّضييق مخرج الصّوت.

وكان "سيبويه" يستعمل مصطلح (المخرج) كما استعمل مصطلح (الموضع)، وفرّق بينهما، إذ خصّ (المخرج) بموضع ولادة الحرف، واستعمل (الموضع) للدّلالة تارة على معنى المخرج، وأخرى على معنى التقاء اللّسان بعضو آخر. كما استعمل مصطلح (الحيّز) وأطلقه أحيانا على مجموعة مخارج».[1]

وتعتبر دراسة مخارج الأصوات وتصنيفها من أهمّ مباحث علم الأصوات اللّغوية؛ حيث اهتمّ به علماء العربية والتّجويد وحظي باهتمام الباحثين المحدثين الغربيين، وقد اختلفت وجهات نظرهم في تحديد مخارج الأصوات، وقد اختلفت وجهات نظرهم في تحديد مخارج الأصوات، فقد كان أكثر القدماء يعدّون المخارج ستّة عشر مخرجا، كما أنّ أكثر المحدثين يعدّونها عشرة مخارج.

أ- مخارج أصوات العربية عند القدماء:

اختلف علماء العربية القدماء في تحديد مخارج أصوات العربية؛ حيث إنّ "الخليل بن أحمد الفراهيدي" يجعل المخارج تسعة، إذ يقول: « فالعين والحاء والخاء والغَيْن حَلْقيّة، لأن مبدأها من الحَلْق، والقاف والكاف لَهَوِّيتانِ، لأنَّ مَبْدَأهُما من اللهَاة. والجيم والشِّين والضاد شّجْريّة لأن مَبْدَأها من شجْر الفم. أي مَفرج الفَمِ، والصاد والسين والزاي أسلية، لأنَّ مبدأها من أسلة اللّسان وهي مُستدَقّ طرف اللّسان. والطاء والتاء والدال نِطْعيَة، لأنّ مبدأها من نطع الغار الأعلى. والظاّء والذّال والثّاء لَثِويّة، لأنّ

[1] عيسى شاغة، دروس في مادة الصوتيات (السنة الثالثة ليسانس والسنة أولى ماستر) قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، الجزائر، د س، ص: 29-30.

مَبْدَأها من الِّلثة. والرّاءُ واللاّم والنُّون ذَلَقيّة، لأنّ مَبْدَأهَا من ذَلَق اللّسان وهو تحديدُ طَرفَيْ ذلق اللّسان. والفاء والباء والميم شَفَويّة، وقال مّرةً شَفَهيّة لأن مبدأها من الشَفَة. والياء والواو والألف والهمزة هوائية في حَيِّز واحد، لأنّها لا يتعلّق بها شيء».[1]

وهو يقصد بالهوائية أنّها تخرج من الجوف، فعدّ ذلك مخرجا لها، ولكن أشهر ترتيب لأصوات العربية على المخارج هو ترتيب "سيبويه"؛ حيث تابعه فيه جمهور علماء العربية قديما، كما نال إعجاب المحدثين فقد جعل "سيبويه" المخارج ستّة عشر مخرجا رتّبها كالآتي:

- «أقصى الحلق مخرج الهمزة والهاء والألف.
- أوسط الحلق مخرج العين والحاء.
- أدنى الحلق مخرج الغين والخاء.
- من أقصى اللّسان وما فوقه من الحنك الأعلى مخرج القاف.
- من أسفل موضع القاف من اللّسان قليلا، وما يليه من الحنك الأعلى مخرج الكاف.
- من وسط اللّسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشّين والياء.
- من أوّل حافّة اللّسان وما يليها من الأضراس مخرج الضّاد.
- من حافّة اللّسان من أدناها إلى منتهى طرف اللّسان، ما بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، وما فويق الضّاحك والنّاب والرّباعية والثّنية مخرج اللّام.
- من طرف اللّسان بينه وبين ما فويق الثّنايا مخرج النّون.
- من مخرج النّون غير أنّه أدخل في ظهر اللّسان قليلا لانحرافه إلى اللّام مخرج الرّاء.
- وممّا بين طرف اللّسان وأصول الثّنايا مخرج الطّاء والدّال والتّاء.
- وممّا بين طرف اللّسان وفويق الثّنايا مخرج الزّاي والسّين والصّاد.
- وممّا بين طرف اللّسان وأطراف الثّنايا مخرج الظّاء والذّال والثّاء.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين ،ج 58/1.

- ومن باطن الشّفة السّفلى وأطراف الثّنايا العليا مخرج الفاء.
- وممّا بين الشّفتين مخرج الباء والميم والواو.
- ومن الخياشيم مخرج النّون الخفيفة».[1]

ويمكننا أن نلاحظ هذا التّفصيل في تحديد المخارج الذي امتاز بها "سيبويه" وتابعه عليه كثير ممّن جاء بعده من علماء اللّغة والنّحو والتّجويد، ولكنّه كان في الوقت نفسه محلّ انتقاد من بعض الدّارسين المحدثين، والشكل الموالي يبن مخارج الحروف الرئيسية.

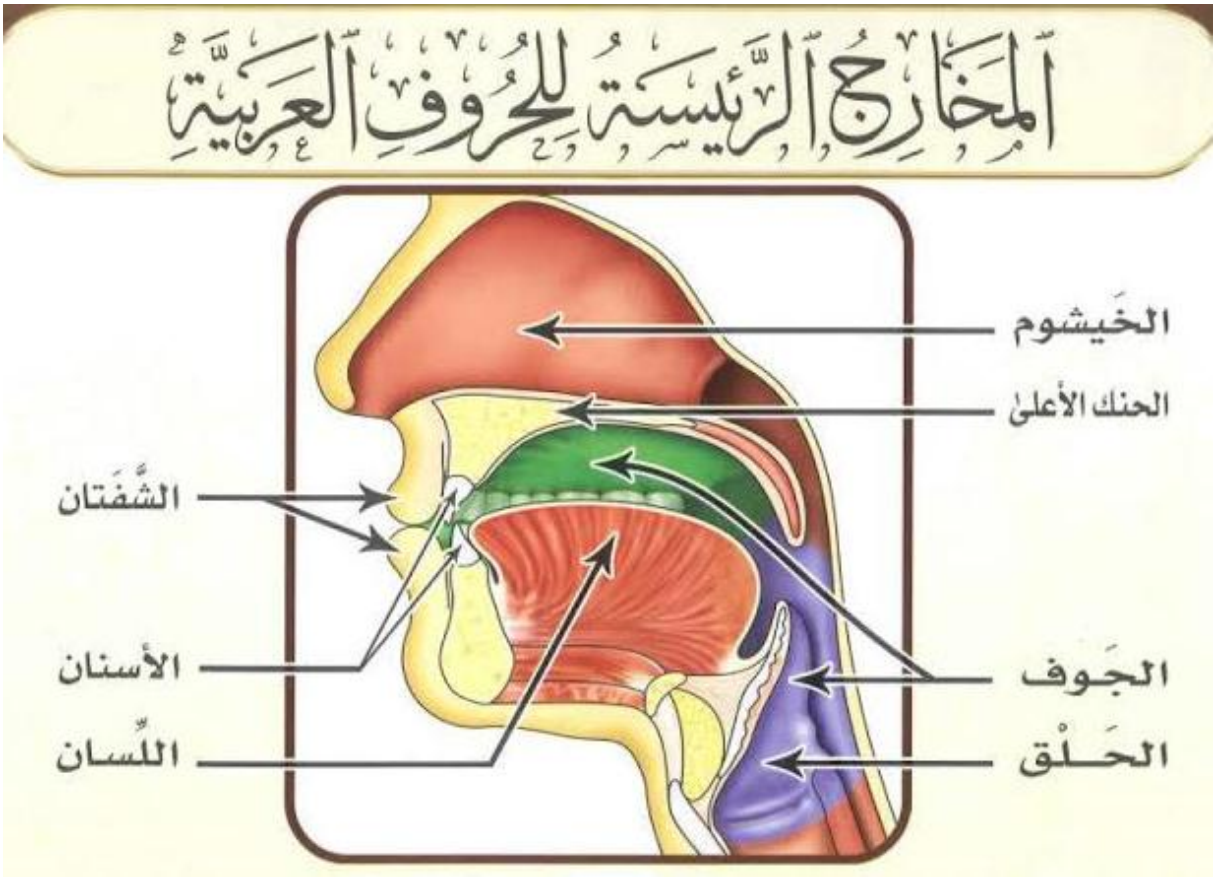

ب- مخارج أصوات العربية عند المحدثين:

يختلف المحدثون مع علماء العربية القدماء في تقسيم مخارج أصوات العربية؛ حيث إنّ عددها عند المحدثين أقلّ ممّا هو معروف عند القدماء. كما أنّ المحدثين أنفسهم يختلفون فيما بينهم في عدد

[1] سيبويه، الكتاب،تحقيق عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل، بيروت ط1، 1991، ج: 4، ص: 433.

المخارج، فمنهم من يجعلها تسعة مخارج، ومنهم من يجعلها عشرة، أو أحد عشر، أو اثنا عشر مخرجا. لكن معظمهم يميل إلى جعلها عشرة مخارج، وترتيبها عندهم على العكس من ترتيبها عند القدماء، فهي عند المحدثين، ترتّب من الشّفتين إلى الحلق كالآتي:

- «الشّفة، ويسمّى الصّوت الخارج منها شفويّا (Labiale) والأصوات الشّفوية: (ب م و).
- الشّفة مع الأسنان، الصّوت الخارج منها شفوي أسناني (Labio-dentale) وهي (ف).
- الأسنان، والصّوت الخارج منها أسناني (Dentale) والأصوات الأسنانية: (ث ذ ظ).
- الأسنان مع اللثّة، والصّوت الخارج منها أسناني لثوي (Dent-alvéolaire) والأصوات الأسنانية اللّثوية هي: (د ض ت ط س ص ز).
- اللثّة، والصّوت الخارج منها لثوي (alvéolaire) والأصوات اللّثوية هي: (ل ر ن).
- الغار، والأصوات الخارجة منه تسمّى غارية (Palatales) وهي: (ش ج ي).
- الطّبق، والأصوات الخارجة منها تسمّى طبقية (Vélaire) وهي: (ك غ خ).
- اللّهاة، ويسمّى الصّوت الخارج منها لهويّا (Uvulaire) وهو: (ق).
- الحلق، والأصوات الخارجية منه تسمّى حلقية (Pharyngales) وهي: (ع، ح)
- الحنجرة، والأصوات الخارجة منها تسمّى حنجرية (glottales) وهي: (ء، ه)».[1]

يعتبر اللّسان قاسما مشتركا بين معظم المخارج، إذ يخرج طرفه بين الأسنان، أو يوضع عند الأسنان واللثّة، أو عند اللثّة وحدها، أو عند الغار، أو ترتفع مؤخّرته عند الطّبق أو اللّهاة، فهو عضو مهم فعّال في كلّ ذلك، حتى وإن لم ينسب إليه مخرج خاصّ.

وقد رتب جان كانتينو مخارج الحروف وجعلها تسعة وعشرون وهي كالآتي:

[1] رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة، ص: 30-31.

- **الأصوات الشفوية:** وتقع بانضمام الشفتين إلى الأخرى ، والأصوات الشفوية هي: الباء والميم والواو.
- **الأصوات الشفوية الأسنانية:** وهي التي تقع بين الشفة السفلى منطبقة على الثنايا مثل الفاء.
- **الأصوات التي بين الأسنان:** تحدث بوضع طرف اللسان بين الأسنان العليا والسفلى منفرجة انفراجا قليلا وأصواتها: الذال الثاء والطاء.
- **الأصوات الأسنانية:** وتحدث بوضع اللسان على أطراف الثنايا العليا أو على مغارزها مثل التاء الدال والنون والسين والزاي.
- **الأصوات الأدنى حنكية:** تحدث بوضع اللسان على أدنى الحنك، وتتمثّل أصوات هذا المخرج في الكاف والقاف إذا كان قبل حركته الكسرة والفتحة الممالة إمالة شديدة نحو الشين والجيم والياء واللام.
- **الأصوات الأقصى حنكية:** تقع بضم ظهر اللسان إلى الجزء الخلفي من الحنك مثل: الكاف والقاف قبل الفتحة و الضمة المنفتحة قليلا.
- **الأصوات اللهوية نسبة إلى اللهاة:** تقع بضم ظهر اللسان إلى غشاء الحنك واللهاة مثل القاف والخاء والغين.[1]
- **الأصوات الأقصى حلقية:** وهي الأصوات التي تحدث في أقصى الحلق أو بالأحرى في رأس قصبة الرئة وهو قادر على الانفتاح والانغلاق مثل الهمزة والهاء.
- **الأصوات الأدنى حلقية:** تقع بتضييق أدنى الحلق وانقباض جداره مقل الحاء والعين.[2]

[1] جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات و البحوث الاقتصادية والاجتماعية، تونس، 1966، ص: 22.

[2] جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ص: 23.

وقد استقى المحدثون هذه المخارج من الدّرس الصّوتي الغربي؛ حيث تابعوه في العدد والتّسمية والتّرتيب، على اعتبار أنّ هذه المخارج عالمية، ومبنية على تجارب مخبرية، أمّا اختلاف العلماء في تحديد مخارج الأصوات فيرجع في الغالب إلى تقارب وتداخل المخارج، إذ لا توجد حدود فاصلة فصلا تامّا بينها، كما أنّ تطوّر بعض الأصوات وتغيير نطقها من زمان إلى آخر يجعل تحديد مخارجها يختلف تبعا لذلك.

إن نجاح الدراسة الصوتية خاصة ما تعلق بالمخارج عند العلماء المحدثين راجع لتوفر الأجهزة المتطورة والمعدات الحديثة التي تصور وتسجل الأمور الدقيقة المتعلقة بالصوت و جهاز النطق عند الانسان، وهذا ما ميز دراستهم بالمنهجية العلمية محكمة في غاية الدقة و الإتقان، لكن يجب أن لا ننكر جهود القدامى في تحديد المخارج و وصف الأصوات، فقد اعتنى القدماء بالدراسات الصوتية فهم أيضا دققوا في الملاحظة ووصف الأصوات.

2- صفات الحروف العربية:

إنّ الأصوات ومنها أصوات العربية تمتلك عددا من الصّفات، والمتتبّع للدّراسات الصّوتية يلحظ ذلك ويفرّق بين الأصوات ويميّزها بمعياري المخرج والصّفة على ما درج عليه العلماء، ولعلّ الصّفة أهمّ من المخرج، وذلك لأنّ الكثير من الأصوات تشترك في المخرج نفسه، لكنّها تختلف في بعض الصّفات، وقد ضمّ تراثنا العربي في كتبه الكثير من المباحث التي تهتمّ بدراسة صفات الأصوات.

جاء في كتاب "القول السديد في علم التجويد": «الصفات جمع صفة وهي ما قام بالشيء من المعاني ولا يكون من حقيقته والصفة كالناقد البصير، كالعلم والصفحة والسواد وهي المعاني الحسية والمعنوية»[1]، فصفة الحرف هي الكيفية التي تكسي الحرف عند النطق به حيث تعطيه ميزة خاصة تميزه عن بقية الحروف فيتصف بها إما جهرا أو همسا أو شدة وغيرها من الصفات.

[1] علي الله بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، ص: 160.

ما يمكن قوله أنّ صفات الصّوت هي مختلف الخاصيات التي تصاحب قيام الحاجز، والحاجز هو عدّة عضو من أعضاء التّصويت يقوم أمام الهواء المنطلق من الرّئتين، فيسدّ مجراها سدّا تامّا أو جزئيّا، ويمكن للّسان أن يرتفع ظهره أو طرفه أو الشّفتين، كما يمكن أن يكون الحاجز مجرّد انقباض في جزء من الجهاز، كانقباض الحلق، ومن أبرز الصفات التي تميّز الحروف إلى جانب المخرج ودرجة الانفتاح: الجهر والهمس.

1- **أنواع الصّفات:**

قسّم علماء العربية قديما صفات الحروف قسمين من حيث التّميّز وعدمه:

- **صفات مميّزة:** «سمّيت بهذا الاسم، لأنّ من شأنها التّمييز بين الأصوات المتشاركة في المخرج الواحد مثلا: (ث، ذ، ظ) مخرجها واحد والذي جعل جرسها مختلفا في السّمع هو اختلاف صفاتها المصاحبة لها في تكوينها في مخرجها، فالثّاء مهموس والذّال مجهور، وصفته الجهر في الذّال ميّزته عن الثّاء، والظّاء مجهور مطبق، وصفته الإطباق فيه ميّزته عن الدّال، وهكذا، وأهمّ الصّفات المميّزة: الجهر ويقابله الهمس، والشدّة تقابلها الرّخاوة، والإطباق يقابله الانفتاح»[1]. ويعني هذا أن لكل صفة ما يقابلها من صفة مخالفة لها، إذ لا يمكن أن تجتمع صفتان في حرف واحد.

- **صفات محسّنة:** «هي مجموعة الصّفات التي لا ضدّ لها، ومعنى التّحسين في هذه الصّفات أنّها تعطي الصّوت جرسه الخاصّ به، من غير أن يكون لها سمة التّفريق بين الأصوات، فهي محسّنة للأصوات ولا تكون سببا لتمييزها عن غيرها»[2]، سميت بهذه الاسم لأنها تحسن لفظ الحروف المختلفة المخارج.

[1] المرجع السّابق، ص: 160.

[2] المرجع نفسه، ص: 160.

أساليب القدماء ووسائلهم في دراسة الصّفات:

في القديم لم يكن لعلماء العربية القدماء وسائل و أجهزة يعتمدون عليها في دراستهم للّغة بصفة عامّة والأصوات بصفة خاصّة إلّا على قدراتهم الذّاتية وإحساسهم المرهف، فالخليل ميّز بحور الشّعر معتمدا على أذنه الموسيقية ورتّب معجمه "العين" وفق مخارج الحروف، فكان بحقّ له السّبق في ابتداع المنهج الوصفي بمفهومه الحديث، ورغم ذلك فقد كانت دراستهم تمتاز بالدقّة العلمية، أيّدتها الدّراسات الحديثة التي تعتمد على الآلات والوسائل الحديثة، ممّا يؤكّد عبقريتهم وجدّيتهم في دراسة الصّوت اللّغوي، والذي يقارن بين القدماء والمحدثين في مجال الدّرس الصّوتي سوف لن يجد إلّا اختلافا بسيطا لا يكاد يذكر، على الرّغم من الفارق الكبير بين ما كانوا عليه من بساطة الإمكانات وبين ما هو موجود الآن من إمكانات ووسائل علمية مساعدة وأجهزة تكنولوجية حديثة، والتي بفضلها يسّر الوصول إلى الدقّة العلمية المطلوبة في مثل هذه الدّراسات.

بعد أن قام علماء اللغة القدماء و المحدثين بالحديث عن مخارج الحروف انتقلوا في خطوة موالية وهي ذكر صفات هذه الحروف، فبالصفة تتمايز الأصوات المشتركة المخرج، ثم إن طريقة النطق وطريقة مرور الهواء في الجهاز الصوتي عند إنتاج الأصوات هي من تحدد هذه الصفات، فكان منهج العلماء في بسط هذه الصفات ووضعها في ثنائيات ضدية من جهة ومن جهة أخرى ميزوا بين تلك الخاصة بمجموعة من الأصوات، وتلك المميزة لصوت واحد، فالصفة هي هيأة حدوث الحرف عند النطق به، ولصفات الحروف أهمية كبيرة و واضحة في علم التجويد والقراءات فمعرفة الصفات نستطيع أن نفرق بين الحروف القوية و الضعيفة ويتحسن نطقنا للحروف، فلولا هذه الصفات لا تختلط علينا التمييز بين الحروف، فإذا فقد الحرف صفاته أو بعضها اشتبه بالآخر، فالصفة بمثابة المعيار للحروف التي تخرج من مخرج واحد مثلا كالطاء والتاء، فلولا الإطباق و القلقلة في صوت الطاء لما استطعنا تمييزها عن التاء.

ضمّ تراثنا العربي العديد من المباحث التي تهتم بدراسة صفات الأصوات، فكان لزاما على كل دارس أن يقف على مناهج علماء العربية القدماء و يوازيها بمنهاج علماء العربية الغربيين و المحدثين

لدراسة صفات الحروف، وقد اختلف العلماء القدامى في تحديد صفات الأصوات فذهب سيبويه (ت 180 هـ) الذي يعد كتابه الأول في علم العربية حيث ذكر أنّ الصفات اثنتي عشرة صفة هي «المجهورة المهموسة، الشديدة، الرخوة، وما بين الشديدة و الرخوة، والمنحرف وحروف الغنة والمكرر واللينة والهاوي و المطبقة و المنفتحة».[1]

تقسيم الصفات: تنقسم صفات الأصوات إلى قسمين: أساسية و ثانوية.

2- الصفات الأساسية:

إن الأصلية للحروف هي سبعة عشر تضاف لها صفتي الغنة و الخفاء ،وقد اختلف العلماء في عددها حيث ذكر ابن الجزري (ت 833 هـ) ثماني عشرة صفة وهي صفات متضادة: الجهر ويقابله الهمس، الرخاوة ضدها الشدة، الاستعلاء يقابله الاستفال، الإطباق يقابله الانفتاح، الإصمات والذلاقة، وصفات غير متضادة وهي الصفير والقلقة، اللين والانحراف والتكرير والتفشي والاستطالة.[2]

أما عند المحدثين فقد قسموا الصفات إلى «الأصوات الانفجارية، والانسدادية و الأصوات الاحتكاكية والأصوات المائعة والأصوات الأنفية والأصوات المجهورة، والأصوات المهموسة و الأصوات المفخمة و المرققة».[3]

ما يفهم من تصنيفات القدامى و المحدثين، نجد أن القدامى كانوا يميلون لتكثير الصفات الصوتية للحرف أما المحدثون فقد سلكوا طريقا مخالفا في تصنيفهم إذ جاءت جهودهم مكملة لما قام به علماء اللغة القدامى وفق طرق منهجية و علمية بالإضافة إلى آلات لقياس وتحليل الصوت.

---

[1] ينظر: سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، ج: 1، ص: 233.

[2] ينظر: ابن الجزري، منظومة المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، تحقيق أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، جدة، ط 3، 2006، ص: 103.

[3] ينظر: أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدّراسات الإسلامية و العربية، دبي، الإمارات العربية، ط 1، 1434، ص: 210.

أ- **الجهر و الهمس:**

صنف علماء اللغة الأصوات العربية معتمدين على معايير و أسس مختلفة ومتنوعة فمنهم من صنفها على أساس مخرجها، ومنهم من اختار الصفات مقياسا لذلك في حين ذهب آخرون أكثر من ذلك لما أيقنوا أن اعتماد أحد المقاييس ليس أساس للتصنيف وهو ما ذهب إليه الأندلسي: «المخرج لا يكفي أن يكون مقياسا وحده يعتمد عليه في تمييز الأصوات، وذلك لاشتراك مجموعة من الأصوات في مخرج واحد، كالحلق و الحنك وغيرهما، وبناء على هذا تتبعوا المراحل الذي يسلكها الصوت في جهاز النطق حتى يصير صوتا لغويا ،بغية الوصول إلى ضوابط أخرى يمكن أن تساهم جنبا إلى مخرج في تمييز الأصوات المشتركة في المخرج، فكل حرف شارك غيره في المخرج فإنه لا يمتاز عنه إلاّ بالصفات»[1]، فالأصوات تشترك في المخارج ولكنها تختلف في الصفات وتتمايز بها عن بعضها البعض ولو كان بعضها لبعض قريب. ومن الصفات المتضادة نذكر:

1-**الهمس لغة:**

هو إخفاء الصّوت بحيث يجري النّفس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه، وقد عرفه "سيبويه": «الهمس الخفي، من الصوت والوطيء والأكل، وقد همسوا الكلام همسا»[2]، وهو عند "الأزهري": «الهمس حسّ الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصّدر، ولا جهارة في المنطق ولكنه كلام مهموس في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر، ولا جهارة في المنطق ولكنه كلام مهموس في الفم كالسّر: قال الشيطان يوسوس فيهمس بوسواسه في صدر آدم »[3]، وحروف الهمس مجموعة في جملة واحد: "سكت فحثه شخص".

[1] أبو عمرو عثمان بن السعيد الداني الأندلسي، التحديد في الإتقان و التجويد ،تحقيق: غانم قدوري الحمد، ، ص: 107.

[2] ابن منظور ، لسان العرب، فصل الهاء، مادة همس، ج 3،ص: 250.

[3] محمد بن أحمد بن الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2001، ج: 6، ص: 86.

فالهمس في اللغة هو الإخفاء وعدم البيان في الكلام، فالصوت في حالة الهمس يكون غير مسموع.

2- الهمس اصطلاحا:

ذهب علماء اللغة في مفهوم الهمس على منهج سيبويه عندما عرّفه: «هو خفاء الحرف وضعف صوته بسبب جريان النفس معه عند النطق به لصعف الاعتماد على المخرج ».[1]

وقد ذهب الكثير من المستشرقين إلى أن الصوت العربي الذي لا تتذبذب معه الأوتار الصوتية يعتبر مهموسا «وتأتي جهة الهمس في هذا الصوت من أن إقفال الأوتار الصوتية معه لا يسمح بوجود الجهر في النطق»[2]، وغيرها يعتبر مجهورا، وأصوات الهمس عشرة كما رتبها سيبويه "الهاء، الحاء، الكاف، الشين، السين، التاء، الصاد، الثاء، الفاء" مجموعة في جملة "حثه شخص فسكت".

1- الجهر لغة:

يفسره ابن منظور: «جهر بالقول إذ رفع صوته، فهو جهير، أجهر، فهو مجهر إذا عرف بشدة الصوت و جهر الشيء: علن وبدا وجهر بكلامه و دعائه و صوته وصلاته وقراءته يجهر جهرا وجهارة، وأجهر: أعلن»[3]، وليس ببعيد عن هذا فقد سار على نفس المذهب معجم اللغة العربية في المعجم الوسيط «جهر الشيء جهرا، علن وظهر وبالكلام ونحوه جهرا وجهارا: أعلنه، وفي الترتيل العزيز: ﴿وَإِنْ تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾، ويقال جهر الكلام، فالكلام ونحوه جهير، وهو جهير الصوت».[4]

[1] الموسوعة القرآنية، موسوعة شاملة للقرآن الكريم و علومه، الميزان في أحكام التجويد، ص: 72

[2] كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، د ط، د ت، ص: 59.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج: 4، ص: 150.

[4] مجمع اللغة العربية بالقاهرة، المعجم الوسيط، دار الدعوة، د ط، د ت، ج: 1، ص: 142.

أما ابن فارس فيعرف الجهر في قوله: «الجيم والهاء والراء أصل واحد، وهو إعلان الشيء، وكشفه وعلوه، يقال جهرت بالكلام أعلنت به، و رجل جهير الصوت أي عالية»[1]، فالجهر في مفهومه اللغوي له عدة دلالات منها الإعلان و الإظهار والبيان و الرفع.

2- الجهر اصطلاحا:

الجهر عند سيبويه هو: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع لنفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت»[2]، ففي الجهر يهتز الوتران الصوتيان و هذا ما اعتمد عليه إبراهيم أنيس في تعريفه للجهر حيث يقول: «ويظلان يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد والذي لم يكن يعرفه سيبويه هو أن الإخفاء معناه إسكات الذبذبات التي تحدث مع كل مجهور في الوترين الصوتيين بالحنجرة، ومتى سكتت أو انقطعت تلك الذبذبات انقلب المجهور إلى نظيره المهموس».[3]

لقد ذهب إبراهيم أنيس في مفهومه للجهر عند سيبويه إلى أبعد من ذلك لّما رفض أن يكون للاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الأصوات، وتعجب إبراهيم أنيس من تعريف سيبويه للجهر لما استعمل لفظ "الموضع" ولم يستعمل المخرج أو مجرى الصوت بالكامل لأنه كان يشعره في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين: «قد يرد مصطلح الموضع بمعنى المخرج، ويعني به سيبويه في المستوى الصوتي مكانا في الجهاز الصوتي، فهو يستعمل هذا المصطلح بدل مصطلح المخرج»[4]، فعند إبراهيم أنيس تخريج جميل في مفهوم الجهر وقراءة علمية لا تجانب الصواب في إنساب الاعتماد للموضع وليس للمخرج.

---

[1] ابن فارس بن زكريا القزويني، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979، ج: 1، ص: 487.

[2] سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، ج: 2، ص: 232.

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 132.

[4] مخلوف بلعلام، مفهوم الموضع و مسالك الاستدلال به في كتاب سيبويه، جامعة بليدة، كلية الآداب و اللغات، العدد 2، 2007، ص: 122

إنّ ما ذهب إليه إبراهيم أنيس من تخريج حول مصطلح الاعتماد للموضع بدلا من المخرج يجعلنا نقف عنده بالتحليل و الشرح فيما يلي:

- إن جعل مصطلح الاعتماد مساويا لما فسره المحدثون باهتزاز الوترين الصوتيين، وهذا ما لم يقله سيبويه.
- لا علاقة نهائيا و قطعا بين تذبذب الأوتار الصوتية و الهمس، فلا زالت الدراسات المخبرية تثبت لنا وجود الجهر حتى في بعض الأصوات التي لم تتذبذب معها الأوتار الصوتية.
- إن مصطلح الاعتماد الذي جاء به سيبويه في تعريف الجهر و الذي يعني إصدار الصوت من الرئتين، فالاعتماد عند سيبويه يخص موضعا محددا ولا يشمل كل مجرى الهواء كما جاء في تعريف إبراهيم أنيس.
- ذهب إبراهيم أنيس إلى أن مصطلح "منع النفس أنها تعني اقتراب الوترين الصوتيين" من بعضهما حتى ليكادان يسدان مجرى النفس وهذا تفسير لا نراه مناسبا ولا منطقيا، لأن منع النفس لا يحدث على مستوى الحنجرة وإنما على مستوى مخرج الصوت و حيّزه بأكثر دقّة.

ويستنتج إبراهيم أنيس أن تجارب المحدثين دلت على أن سيبويه قد عني بالمجهور ذلك الصوت الذي يتذبذب معه الوتران الصوتيان في الحنجرة، وأن المهموس هو الذي يصمتان معه.[1]

أما تمام حسان قد ذهب إلى إنكار و نفي أن يكون ما ذهب إليه سيبويه في تحديده لمفهوم الجهر هو نفسه ما ذهب إليه إبراهيم أنيس، لأن سيبويه في أصله لا يبالي لهذه الوظيفة الأساسية للأوتار الصوتية، بل أكثر من ذلك ومن باب الأمانة العلمية يجب الاعتراف أن سيبويه يذكر تشريح

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، جهود علماء العربية في الدراسة الصوتية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،1962، ج: 15، ص: 43-، نقلا عن الجهر والهمس عند سيبويه في ضوء الدرس الصوتي الحديث، أحمد محمد قدور، ص: 693.

الحنجرة ولا مكوناتها واكتفى بتسميته بـ "أقصى الحلق"، بل يذهب أقصى مما ذهب إليه إبراهيم أنيس أن يكون الاعتماد على الوترين وفقط إنما هو الحجاب الحاجز، ولما كان الاعتماد هو الضغط فسيكون الضغط على الرئتين لإفراغ ما فيها من هواء، فالجهر إذن نتيجة الاعتماد على الحجاب الحاجز.

والشكل الموالي يوضح حالة الوترين الصوتيين في الهمس والجهر.

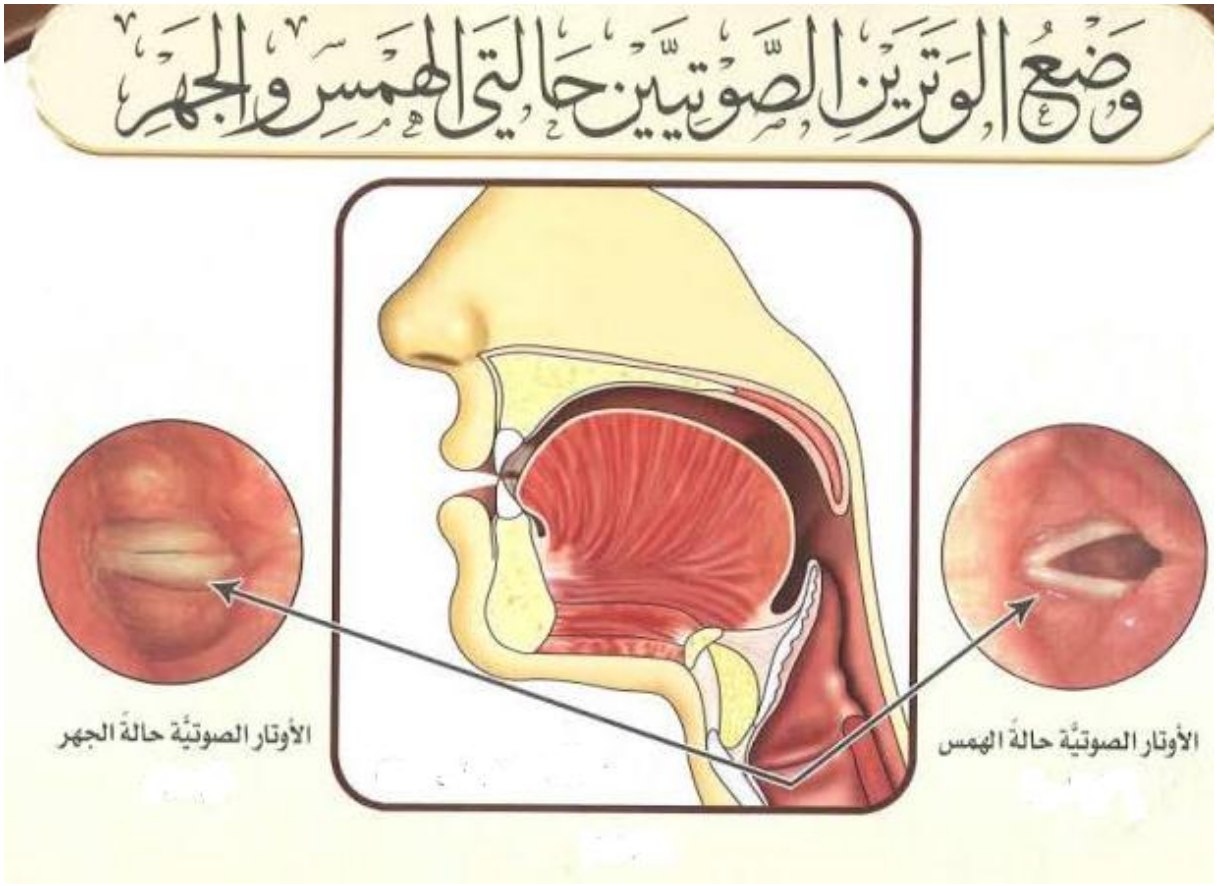

والجدول التالي يوضح الاختلاف بين سيبويه وإبراهيم أنيس في تصنيف الحروف حسب صفاتها.

صفات الحروف	سيبويه	إبراهيم أنيس
الأصوات المجهورة	ع، ظ، م، و، ز، ن، ق، ا، ر، ء، ذ، ي، غ، ض، ج، د، ط، ل، ب	ع، ظ، م، ز، ن، ر، ذ، غ، ض، ج، د، ل، ب، ا، و، ي
الأصوات المهموسة	ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ف، ك، هـ	ت، ث، ح، خ، س، ش، ص، ط، ف، ق، ك، هـ

في تحليل الجدول نجد هناك فرق بين التصنيفين وهو فرق بسيط بين دراسة سيبويه التي اعتمدت على السمع و الدراسة الحديثة التي اعتمدت على التجارب الحديثة، فحرف الطاء والقاف مجهورتان عند سيبويه، أما عند إبراهيم أنيس فهما مهموستان، أما الهمزة والألف فلم يصنفهما إبراهيم أنيس بينما سيبويه عدهما من الأصوات المجهورة.

إن الاختلاف الحاصل بين القدامى والمحدثين في تصنيفهم للأصوات راجع إلى افتقار القدامى للتقنيات و الأجهزة المتطورة، فهذا كمال بشر قسّم الأصوات إلى ثلاثة مجموعات هي:

- الصوت المهموس هو الصوت الحادث في حالة «انفراج الوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي عارض في طريقه ومن ثمّ لا تتذبذب الوتران الصوتيان، والأصوات المهموسة كما يراها كمال

بشر اثنا عشرة صوتا التاء والثاء والحاء والخاء والسين والشين والصاد والطاء والفاء والقاف والكاف والهاء».[1]

ما يلاحظ على قول كمال بشر أنه خالف القدامى في تصنيفه للقاف والطاء من الأصوات المهموسة، فالقدماء و على رأسهم سيبويه عدّ صوتي القاف والطاء من الأصوات المجهورة، فالصوت المهموس هو الذي لا تتذبذب الأوتار الصوتية أثناء النطق به.

- الصوت المجهور وهو الصوت الحادث حال «اقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر أثناء مرور الهواء وفي أثناء النطق فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء، ولكن مع إحداث اهتزازات وتذبذبات منتظمة هذه الأوتار، وفي هذه الحالة يحدث ما يسمى بالجهر»[2].

يعد كمال بشر الصوت صوتا مجهورا عندما يحدث اهتزازات وتذبذبات منتظمة للوترين الصوتيين، والأصوات المجهورة عنده خمسة عشرة صوتا وهي: الباء والجيم والدال والذال والراء والزاي والضاد والطاء والعين والغين واللام والميم والنون والواو.

- صوت صامت لا هو بمجهور ولا هو بمهموس ويحدث هذا الصوت عند «انطباق الوترين الصوتيين انطباقا تاما فلا يسنح بمرور الهواء إلى الحلق مدة هذا الانطباق، ومن ثمّ ينقطع النفس، ثم يحدث أن ينفرج هذان الوتران فيخرج صوت انفجاري نتيجة اندفاع الهواء الذي كان محبوسا حال الانطباق التام»[3]، وللتوضيح نضرب مثال: همزة القطع يعتبره كمال بشر أنها لا هي مجهورة ولا هي مهموسة، أما القاف فهو مهموس عند المحدثين مجهور عند القدامى، وفي هذه النقطة تحدّث رمضان عبد التواب؛ حيث رجّح

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ص: 174.
[2] المرجع نفسه، ص: 174.
[3] المرجع نفسه، ص: 175.

قول القدامى كون القاف مجهورة هي لست نفس القاف التي وصفها المحدثون أنها مهموسة وذلك بقوله: «أن القاف كان بالفعل حرفا مجهورا في العربية القديمة، ويمكن أن يكون نطقه مهموس في العربية الفصحى اليوم، ناتجا عن كونه أصبح مهموسا في اللهجات الحضرية المدنية لأن أغلب المثقفين اليوم من أصل مدني»[1].

لقد اختلف نطق صوت القاف من قبيلة إلى أخرى، فأحيانا تنطق همزة، وأحيانا غينا وأحيانا أخرى جيما شبيه بالجيم القاهرية «وقد تطورت القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا كبيرا فهي في كلام مصر و الشام همزة كما تنطق غينا في بعض مستويات النطق في السودان و جنوبي العراق، وفي بعض الكلمات في مصر مثل: يقدر= يغدر، وتسمع جيما كالجيم القاهرية في بعض البيئات بصعيد مصر»[2]، ولنا تفصيل على ذلك في المبحث الثاني.

ب- الشدة والرخاوة:

-صفة الشدة:

ورد لفظ "شد" في العديد من التعريفات اللغوية على أنها القوة، يقول ابن فارس: «شدّ الشين والدال أصل واحد يدل على قوة في الشيء، وفروعه ترجع إليه، ومن ذلك شددت العقد شدّا أشدّه. والشدّة: المرة الواحدة»[3]، أما ابن منظور فلم يبتعد عن تعريف ابن فارس الشدة عنده هي: «الصلابة، وهي نقيض اللّين تكون في الجوهر والأعراض، والجمع شدد، عن سيبويه قال: جاء على الأصل لأنه لم يشبه الفعل وقد شده يشده ويشده شدّا فاشتدّ، وكل ما أحكم فقد شدّ وشدد وشدد هو وتشاد وشيء شديد: بين الشدة وشيء شديد: مشتدّ قوي، وشدده: قواه، والتشديد خلاف التحفيف، وشددت الشيء أشده شدّا إذا أوثقته»[4].

[1] رمضان عبد التواب، مدخل إلى علم اللغة و مناهج البحث اللغوي، ص: 09.
[2] المرجع نفسه، ص: 10.
[3] أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ج: 3، ص: 179.
[4] ابن منظور، لسان العرب، ج: 3، ص: 233.

-الشدة في الاصطلاح:

إن تعريف الشدة في الاصطلاح يتماشى مع ما ذهب إليه سيبويه: «ومن الحروف الشديدة، وهو الذي يمنع الصوت أن يجري معه، وهو الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء و التاء والدال والباء»[1]، الشدة هي المنع في تسرب النفس أو الهواء الذي نكاد به في نقطة التقاء العضوين التقاء محكما، فهو إذن انحباس الصوت عند النطق بالحرف فالشديد: «صوت ينحبس عند مخرجه الهواء انحباسا تاما لحظة قصيرة، بعدها يتدفع الهواء فجأة دويا كالدال والتاء»[2]، والشديد أو الانفجار الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، والشدة كمنطوق صوتي يوحي بالغلظة و المتانة ويسميها المحدثون بالأصوات الانفجارية والحروف الشديدة ثمانية جمعت في "أجدك قطبت".

1- الشدة عند القدماء:

إن الحديث عن مصطلح الشدة عند القدماء ليس للتأريخ و إنما للتأصيل و إثبات موضوعية القدامى في تعاملهم مع الظاهرة الصوتية التي اعتمدوا عليها في دراستهم، وقد أوفى سيبويه في شرحه لصفة الشدّة كونها قوة و اعتماد و انحباس للصوت عند التقاء طرفي الصوت، بل أكثر من ذلك فقد شرح بالتفصيل و المثال يقول: «و ذلك أنك لو قلت ألحج تمددت صوتك لم يجر ذلك»[3]، فلا يمكننا مد صوت الجيم وهذا لانقطاع في الهواء عند احتكاك وسط اللسان بما يقابله من الحنك الأعلى.

وغير بعيد عن تعريف سيبويه لصفة الشدة هذا الأستراباذي يوجز تعريف هذه الصفة: «ما ينحصر جري صوته عند إسكانه في مخرجه»[4]، اختصر الأستراباذي قوله وحصر كلامه في عبارة "يحصر

[1] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 434.

[2] لخضر ديلمي، التحليل الفيزيائي لصفات الأصوات العربية دراسة مخبرية، أطروحة دكتوراه علوم، تخصص: اللغة العربية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية اللغة و الأدب العربي و الفنون، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2017-2018، ص: 22.

[3] سيبويه، الكتاب، ج: ، ص: 434.

[4] رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي، شرح شافية ابن الحاجب، القسم الأول، الجزء الثالث، ص: 260.

النفس" أي ينحصر في مخرجه عند إسكانه، ما نلاحظه هنا هو أن الأستراباذي لم يختلف عن سيبويه في تحديده لمفهوم الشدة، فقد استعمل لفظ "يجري الصوت" وهو مرادف للمنع و الصلابة عند غيره.

أما أبو سعيد الأنباري فقد وقف على جزئية أخرى في شرح صفة الشدة حيث يقول: «ومعنى الشديدة أنّها حروف صلبة لا يجري فيها الصوت، فلذلك سميت شديدة»[1]، فلا يكفي أن يقف الهواء في الموضع بل وجب كذلك بقاء الحصر مدة زمنية معينة حتى يتحقق المنع التام للصوت و هذا تخريج وشرح علمي بحت.

ومن خلال ما سبق من حديث علماء اللغة القدامى حول صفة الشدة نجدهم أنهم أدركوا فعلا حقيقة الشدة بما أتوا به من ملاحظات.

2- الشدة عند المحدثين:

يطلق المحدثون على الشدّة مصطلح الانفجار وهي عندهم بنفس التفسير الذي توقف عنده القدامى وهو توقف تيار الهواء توقفا تاما مدة من الزمن وهذا يقابل تعريف سيبويه عندما قال: "الصوت الذي يمنعه الصوت أن يجري فيه" ويقصد هنا يمنع الهواء أي لا يكون الهواء حرا طليقا فيعترضه حائل أو عارض.

وما يقابل صفة الشدة صفة الرخاوة وصوت الخو هو الذي يجري فيه الصوت وما يقابل الرخو عند المحدثين مصطلح الاحتكاك، فمثلا الضاد والعين حرفان انفجاريان عند إبراهيم أنيس، رخوان عند سيبويه، إن هذا الاختلاف في تصنيف هذين الصوتين يأخذنا إلى تصنيف آخر تحدّث عنه سيبويه وهو الأصوات المائعة وهي الأصوات التي تجمع بين الشدة والرخاوة، فقد اختلف إبراهيم أنيس مع سيبويه في صوت "العين"، حيث اعتبرها إبراهيم أنيس صوتا رخوا معللا ذلك بقوله: «اعتمد إبراهيم في إطلاق حكمه على علم التشريح الذي أكد من خلال الأشعة أن هناك تضييقا كبيرا للحلق عند

[1] أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، أسرار العربية، د ط، د ت، ص: 424.

نطق العين، وبذلك تعدّ صوتا رخوا لا متوسطا»[1]، فصوت العين ليس شديدا وليس رخوا لأنه لا ينحبس انحباسا كاملا ولا يجري كمال الجريان، فالجريان فيه جزئي للصوت في مخرج الحرف بسبب عدم كمال غلقه، «أما سيبويه فجعلها متوسطة لعدم وضوح الاحتكاك عنده وضوحا سمعيا»[2].

والجدول الموالي يبين الأصوات الرخوة و الأصوات الشديدة:

صفات الحروف	سيبويه	إبراهيم أنيس
الحروف الشديد (الانفجارية)	أ، ج، د، ك، ق، ط، ب، ت	ب، د، ت، ك، ج القاهرية، ط ، ض، ق
الحروف الرخوة (الاحتكاكية)	هـ، ح، غ، خ، ش، ص، ض، ز، س، ظ، ث، ذ، ف	س، ص، ش، ذ، ث، ظ، ف، هـ، ح، خ، غ، ع

أما الأصوات المتوسطة فهي عند سيبوبه: (ع، م، ر، ل، ن) وعند إبراهيم أنيس (ل، ن، م، ر).

ب–الاستعلاء و الاستفال:

الاستعلاء لغة: عرفه ابن منظور بقوله: «وعلا الشيء علوا فهو عليّ، والعليّ: الرفيع و العلاء الرفعة»[3].

[1] تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 102.

[2] براجسترسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 4، 2003، ص: 15.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج: 15، ص: 84.

الاستعلاء اصطلاحا: هو أن يرتفع اللسان إلى الحنك الأعلى، وجمع ابن جني حروف الاستعلاء في قوله: «و للحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء و الانخفاض، فالمستعلية سبعة مجموعة "خص ضغط قط" و ما عدا هذه الحروف فمنخفض، ومعنى الاستعلاء أن تتصعد إلى الحنك الأعلى»[1]، و معنى ذلك أن الاستعلاء خروج الصوت من أسفل الفم و حروفه سبعة (الخاء، الصاد، والظاء والضاد والطاء والغين والقاف) و يطلق عليها ابن جني مصطلح الانخفاض.

-الاستعلاء عند القدماء:

جاء لفظ الاستعلاء عند علماء العربية في كتبهم في موضع الحديث عن الصفات وقد ضبطوها دراسة، منها ما ذهب إليه الخليل بن أحمد الفراهيدي بقوله: «منها خمس شواخص، وهن (ط ض ص ظ ق)، وتسمى المستعلية، ولم يذكر الغين ولا الخاء»[2]، و قد وقف سيبويه على المصطلح وأصواته عند شرحه باب الإمالة و موانعها فذكر أصوات الاستعلاء يقول: «الحروف التي تمنعها الإمالة هذه السبعة: الصاد الضاد، الظاء، العين، القاف، والخاء، وإنما منعت هذه الحروف من الإمالة لأنها حروف مستعلية إلى الحنك الأعلى»[3]، وعلى هذا الاتجاه ذهب المبرد قال: «والحروف المستعلية سبعة وهي الصاد، والضاد والطاء الظاء والقاف والخاء والغين، وذلك أنها حروف اتصلت من اللسان بالحنك الأعلى، لأنها حروف استعلت إلى الحنك الأعلى»[4].

ولم يخرج ابن جني في تحديد لأصوات الاصوات الاستعلاء عن سابقيه في أيضا عنده سبعة، وما يذكر هنا من جدة عنده هو مصطلح الانخفاض و هو نظير كلمة الاستعلاء يقول: «ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق، وأما الخاء والغين والقاف، فلا

[1] ابن جني، سر صناعة الاعراب، ج: 1، ص: 70.

[2] الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القومية العربية، القاهرة، د ط، 1964، ص: 51.

[3] المرجع نفسه، ص: 51.

[4] محمد يزيد بن الأكبر الثمالي الأزدي المعروف بالمبرد، المقتضب، تحقيق: ، ج: 3، ص: 46.

إطباق فيها مع استعلائها»[1]، إن ابن جني في هذا المقام قد فصل أكثر وشرح أصوات الاستعلاء فمنها أربعة مطبقة تتصعد إلى الحنك الأعلى، و هذا مصطلح نحسبه من أوائل من استعمله في الدرس الصوتي.

أما مكي بن أبي طالب فنجد عنده تعديلا ومحاولة لتغيير مصطلح الاستعلاء، يقول: «لأن الصوت يعلو عند النطق بها إلى الحنك الأعلى، فينطبق الصوت مستعليا مع طائفة من اللسان من حروف الإطباق، ولا ينطبق مع الخاء والغين والقاف، إنما يستعلي غير منطبق بالحنك»[2]، صحيح أنه أعاد عبارة سابقيه ولكننا وجدنا عنده مفهوما جميلا في الاستعلاء فهو عنده علوّ عند نطق الصوت إلى الحنك الأعلى مع مجموعة أصوات الإطباق، فقد استثنى الخاء والغين والقاف من الإطباق، لأن اللسان يعلو دون أن يحدث إطباق وهذا موضع فرق بين الصفتين.

وخلاصة مما سبق نجد أن علماء العربية لم يختلفوا في عدد حروف الاستعلاء وهي مجموع أصوات الإطباق زيادة عليها أصوات الغين و الخاء و القاف، كما لم يختلفوا في مفهومها إجمالا، إذ هي عندهم ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى سواء أتمّ اطباقه مع الحنك الأعلى أم لم يتم ذلك.

-الاستعلاء عند المحدثين:

أطلق علماء اللغة المحدثون مصطلح التفخيم على أصوات الاستعلاء «ثم اعلم أن التفخيم لازم للاستعلاء فما كان استعلاؤه أبلغ كان تفخيمه أبلغ فحروف الإطباق أبلغ في التفخيم من باقي حروف الاستعلاء، وبالجملة قدّر التفخيم على قدر الاستعلاء والإطباق»[3]، فأصوات الاستعلاء عند المحدثين كلها مفخمة ولا يجوز تفخيم الحروف المستفلة إلا اللام والراء في بعض أحوالها.

[1] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 71.

[2] مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة، دار عمار، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية، د ط، 1999، ص: 123.

[3] غانم قدوري الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، جامع المكتبة الإسلامية، ط 1، ص: 402.

ويرى قسم آخر من المحدثين إضافة اللام والراء المفخمتين إلى حروف الاستعلاء، فقد اتفق المحدثون مع علماء التجويد في أن اللام و الراء المفخمتين هما من الأصوات المستعلية. وأضاف المحدثون الراء واللام المفخمتين إلى حروف الاستعلاء، وعللوا ذلك بارتفاع مؤخرة اللسان فيهما، وهذا ما لم يغفل عنه علماء التجويد فاللسان يعلو إلى جهة الحنك أثناء نطق الأصوات المستعلية.[1]

والفرق بين اللام المفخمة و المرققة عند إبراهيم أنيس يكمن في: «في وضع اللسان مع كلّ منها ما لأن اللسان مع المغلظة يتخذ شكلا مقعرا كما هو الحال مع أصوات الإطباق»[2].

ما يلاحظ على هذا القول أن التغليظ يحدث مع كامل اللسان، وليس مع جزء منه، فلم يحدد منطقة محددة، بل أكثر من ذلك فهو يتخذ الشكل المقعر ليتم تطابقه مع الحنك الأعلى وهو ما يبرر إحداث عملية التغليظ.

وذهب إبراهيم أنيس إلى التفريق بين الكتابة الصوتية و الإملائية، فالراء الواحدة تنطق بأوجه مختلفة ومتنوعة شأنها شأن اللام إلا أن رسمها يبقى واحد على الرغم من تعدد أوجه نطقها ، وهذا ما تفطنت له الأبجدية العالمية لما فرّقت بين r الحرف الصغير و R الحرف الكبير.

-الاستفال

الاستفال لغة:

جاء لفظ الاستفال في لسان العرب بعدة معاني: «السُّفل والسَّفل والسُّفول والسَّفال والسّفالة بالضم، نقيض العلوّ والعلْو والعلو والعلاء والعلاوة ، والسّفل: نقيض العلو... والسّفالة نقيض العالية في الرمح والنهر، والسافل نقيض العالي»[3]، فالمعنى اللغوي للاستفال هو الانخفاض.

[1] ينظر: خليل ابراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، منشورات دار الجاحظ، بغداد، 1983، ص: 90.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 64.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج: 11، ص: 337.

الاستفال اصطلاحا:

لم يكن هنا أي اختلاف عند علماء اللغة حول دلالة لفظ الاستفال، لأنهم انطلقوا في ذلك من كيفية حدوثه إذ هو: «انحطاط اللسان إلى قاع الفم أثناء النطق بالصوت، وينقضي الترقيق»[1]، فالاستفال في مفهومه هذا يعني الانخفاض وهو ما ذهب إليه ابن جني في تحديده لمفهوم الاستفال.

إن انحطاط اللسان كاملا ليس شرطا لازما لتحقيق الاستفال إذ يمكن أن تتحقق هذه الصفة حتى لو ارتفعت أسلة اللسان مثلا نحو الذال. والحروف المستفلة هي اثنان و عشرون حرفا وقد جمعها العلماء في جمل:

خذ حروف الاستفال ... واتر كن من قال إفكا

ثبت عزّ من يجود ... حرفه إذ سل شكا[2]

-الإطباق و الانفتاح:

الأصل في الأصوات اللغوية أن تكون مرققة غير أن بعض الأصوات مفخمة أو مطبقة وبعض هذه الأصوات المطبقة لها نظائر منفتحة.

الإطباق لغة:

يقول ابن منظور في تعريفه للإطباق: «الطّبق غطاء كل شيء و الجمع أطباق، وقد أطبقه وطبّقه انطبق و تطبق، غطّاه و جعله مطبقا، وتطابق الشيئان: تساويا و المطابقة: الموافقة والتطّابق: الاتفاق، وتقول العرب وقع فلان في بنات طبق إذا وقع الأمر الشديد»[3].

[1] ابن جني، سر الصناعة، ج: 1، ص: 70.

[2] ينظر: إبراهيم محمد الجرمي، كتاب معجم علوم القرآن، دار القلم، دمشق، ط 1، 2001، ص: 44.

[3] ابن منظور، لسان العرب، ج: 10، ص: 209

اصطلاحا:

المفهوم الاصطلاحي للفظ الإطباق هو: «تلاصق ما يحاذي اللسان من الحنك الأعلى على اللسان عند النطق بالحرف وأحرفه أربعة وهي (الصاد، والضاد، والطاء، والظاء) وأقواها الطاء وأضعفها الظاء، ثم أعلم أن الإطباق أبلغ من الاستعلاء وأخص منه إذ لا يلزم من الاستعلاء الإطباق ويلزم من الإطباق الاستعلاء، فكل حرف مطبق مستعل، ولا العكس»[1]، فالإطباق هو أن يلتصق جزء من اللسان بالحنك الأعلى عند النطق بحرف مطبق.

كما تحدّث القدامى عن صفتي الإطباق والتفخيم، وفي هذا المقام يشير ابن جني محددا مفهوم الإطباق حيث يقول: «والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى له»[2]، ومعنى ذلك أن اللسان يطبق على الحنك عند النطق بالحرف، وهو عكس الانفتاح إذ في موضع الانفتاح يتباعد اللسان والحنك الأعلى عن بعضهما البعض، وحروف الإطباق أربعة كما ذكرنا سابقا.

أما عند المحدثين فقد وصفوا الإطباق بالتفخيم ومعنى ذلك: «ارتفاع مؤخرة اللسان إلى أعلى قليلا في أتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلا اتجاه الحائط الخلفي للحلق»[3]، أما الانفتاح فهو «ما عدا التفخيم أو عدم ارتفاع مؤخرة اللسان وعدم تركب المخرج وذلك في بقية الأصوات»[4]، وأطلق المحدثون على صفة الإطباق مصطلح التفخيم، فقد اجتهدوا في اصطلاح لفظ جديد على الإطباق لكنهم لم يبدعوا بل ساروا على نهج القدامى.

-الانفتاح لغة: مادة: "فتح" والفتح نقيض[5]، ويقصد به الافتراق.

---

[1] محمد سيبويه البدوي، الوجيز في علم التجويد، موقع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ص: 12.

[2] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 66.

[3] مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية، ص: 1.

[4] عبد العزيز أحمد علام، عن علم التجويد القرآني في ضوء الدراسة الصوتية الحديثة، القاهرة، ط 1، 2006، ص: 89.

[5] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج: 9، ص: 119.

-اصطلاحا:

ويعرف اصطلاحا بـ: «تجافي كلّ طائفتي اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف حتى يخرج الريح من بينهما، وحروفه ما عدا أحرف الإطباق، وهي خمسة وعشرون حرفا »[1]، فالانفتاح ضدّ الإطباق وهو لا ينحصر الصوت عند النطق بها بين اللسان والحنك الأعلى.

التفخيم والترقيق:

لقد تعددت مفاهيم التفخيم وتنوعت بين علماء اللغة من جهة وعلماء التجويد من جهة أخرى، ولعل ما ذهب إليه المحدثون في تحديد مفهومه يجمع الكثير من التفصيلات.

والترقيق في الكلام أيسر وأسهل للتحقيق فقد شاع بين الأصوات جلّها وباختلاف مخارجها وأحيازها، وقد اتفق علماء اللغة والقراءات أن هذه الأصوات لا تفخم إلاّ لعارض عضوي أو لصوت مطبق مجاور.

-التفخيم لغة:

جاء في لسان العرب: «فخم الشيء يفخمه فخامة وهو فخم: عبل والأنثى فخمة، وفخم الرّجل، بالضم، فخامة أي ضخم، والتفخيم: التعظيم، وفخم الكلام: عظّمه...»[2]. والتفخيم عند ابن منظور يقصد بع التعظيم والتغليظ وهو التسمين والتغليظ.

-اصطلاحا:

جاء في مفهوم التفخيم على لسان أسماء شرير: «هو عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف أي صوته، فيمتلئ الفم بصداه والتفخيم التغليظ والتسمين بمعنى واحد لكن المستعمل في اللام التغليظ

[1] محمد سيبويه البدوي: الوجيز في علم التجويد، ص: 12

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: ف خ م.

وفي الراء تفخيم، كذلك يقال أن التفخيم: سمن يطرأ على الحرف فيمتلئ الفم، بصداه فتحة الشفتين، فعندئذ إذا خرج الصوت من مخرجه فإنه يصطدم باللسان، فيتجه في تجاويف الفم والشفتين فينتج عن ذلك الصّدى الذي يسمى التفخيم»[1]، لقد شرحت أسماء آليه حدوث التفخيم وأسمتها بتسميتين جسم الحرف وفرقت بين تغليظ اللام وتفخيم الراء.

لقد اعتمد علماء اللغة في آلية حدوث التفخيم داخل الفم وذهب البعض الآخر إلى أثره في السمع ودرجة تصنيفه بين الأصوات بالتعريف التالي: «التفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن تراجع مؤخرة اللسان، بحيث صيق فراغ البلعوم الفموي عند نطق الصوت، لذلك فإنه يعدّ من الحركات وليس من الأصوات الصامتة، والتفخيم له دلالة معنوية»[2].

وقد اختلف بعض العلماء في أصوات التفخيم وهذا لشدة علاقتها آليا بعملية الإطباق، والفرق عندهم بين التفخيم والإطباق يكمن في ارتفاع وعدم ارتفاع مؤخرة اللسان إلى الحنك الأعلى، وقد ذهب علماء اللغة والقراء على اختلاف أن الأصوات المفخمة في العربية هي: (ص، ض، ط، ظ).

وهذه الأصوات هي نفسها أصوات الإطباق ولا فرق بينهم بين الصفتين، فمرة يطلقون عليها مصطلح الإطباق ومرة يطلقون عليها مصطلح التفخيم، لكن هذا الحكم ليس محل إجماع بل فرق بعضهم بين الإطباق و التفخيم قائلا: «والفرق بين الإطباق والتفخيم، أن الإطباق وصف عضوي للسان في شكله المقعر المطبق على سقف الحنك، والتفخيم هو الأثر السمعي الناشئ عن هذا الإطباق فإذا سمع الصوت مرققا فإن معنى ذلك أن اللسان في وضع منتفخ يتصل فيه بالحنك الأعلى من نقطة واحدة أمامية»[3]، ويعني ذلك أنّ الإطباق إلصاق اللسان على الحنك الأعلى عند النطق بالحرف، أمّا التفخيم فهو ارتفاع أقصى اللسان كما في حروف الاستعلاء.

[1] أسماء شرير و غنام رشيد، ظاهرتا التفخيم و الترقيق و أثرهما في القراءات القرآنية سورة الكهف أنموذجا، مذكرة ماستر، تخصّص: علوم اللغة العربية، كلية الآداب و اللغات و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2011، ص: 50.

[2] لخضر ديلمي، التحليل الفيزيائي لصفات الأصوات العربية، دراسة مخبرية، ص: 116.

[3] المرجع نفسه، ص: 116.

إن الخلاف الحاصل هو أن الإطباق ارتفاع واستعلاء يطرأ على اللسان إلى الحنك الأعلى، فإن كان إطباق اللسان وحده كان إطباق وإن اجتمعت الصفتان الارتفاع والإطباق يسمى استعلاء، كما أثبت علماء التجويد ومن بينهم ابن الجزري في كتابه النشر في القراءات العشر في اللام والراء: «فاعلم أن الحروف المستفلة كلّها مرققة لا يجوز تفخيم شيء منها إلا اللام من الله بعد الفتحة أو الضمة إجماعا، أو بعد حروف الإطباق في بعض الروايات، وإلاّ الراء المضمومة أو المفتوحة مطلقا في أكثر الروايات والساكنة في بعض الأحوال»[1].

الأصل في اللام الترقيق، وتكتسب حالتها التفخيمية في لفظ الجلالة (الله) بعد فتح أو ضم، باتفاق علماء التجويد و علماء الأصوات، أما التفخيم للراء فهو أصلي ولها حالات من الترقيق محدودة بشروط معينة في سياقاتها الواقعة فيها.

-الترقيق لغة:

لم يختلف علماء اللغة في تفسيرهم لمصطلح الترقيق كثيرا كاختلافهم في مصطلح التفخيم وحروف الإطباق وهذا راجع إلى أن الأصوات المرققة بالأصل وأجمعوا على مفهومه بأنه: «رقق، الرّقيق: نقيض الغليظ و الثخين، والرقة: ضد الغلظ، رق يرقُّ فهو رقيق... وأرق الشيء و رققه جعله رقيقا، واسترق الشيء: نقيض استغلظ، وترقيق الكلام تحسينه»[2].

ويعرفه ابن فارس: «يقال رقّ يرق رقة فهو رقيق، ومنه الرقاق وهي الأرض اللينة، وهي أيضا الرَّق والرِّق، ضعف في العظام، قال: لم تلق في عظمتها وهنا ولا رققا»[3].

الملاحظ على المفهومين أن مادة رقّ تعني الضعف و النحافة والهزال.

[1] ابن جزري، النشر في القراءات العشر، نص علي محمود الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج: 1، ص: 215.
[2] ابن منظور، لسان العرب، ج: 10، ص: 121.
[3] ابن فارس، مقاييس اللغة، ج: 2، ص: 377.

أما **الترقيق اصطلاحا**: فهو نحالة تطرأ على الحرف فلا يكون له صدى في الفم ،و يطبق بتضييق التجويف الداخلي للفم مع انخفاض اللسان من أقصاه إلى قاع الفم، و فتح ما بين الشفتين أفقيا، فعندئذ إذا خرج الصوت من مخرجه فإنه يجد الطريق أمامه سالكا إلى الخارج ، فلا يصطدم بشيء ولا يجد صدى و هذا ما يسمى بالترقيق[1].

ما يفهم من هذا التعريف هو أن الترقيق في الأصل تنحيف لصوت الحرف فلا يمتلئ الفم بصدى الحرف، وقد فرق علما التجويد بين التفخيم والترقيق بقولهم: «التفخيم سمن يطرأ على الحروف فيمتلئ الفم بصداه ولا يكون إلا في حروف الاستعلاء وفي اللام والراء أحيانا، والترقيق حالة تطرأ على الحرف فلا يكون له صدى في الفم وحروفه هي حروف الاستفال»[2].

الفرق بين التفخيم والترقيق عند علماء التجويد يكمن في أن التفخيم هو تسمين يعتري الحرف فيمتلئ الفم بصداه أما الترقيق فهو عبارة عن تحول يدخل في الحرف حين النطق به ولا يمتلئ الفم بصداه.

وقسم علماء التجويد الحروف الهجائية بالنسبة لصفتي التفخيم والترقيق إلى ثلاثة أقسام وهي:

- مفخم مطلقا، وهي حروف الاستعلاء.
- حروف مرققة بصفة دائمة وهي حروف الاستفال.
- حروف بين التفخيم والترقيق وهي: (اللام و الراء والألف).[3]

فالحروف التي لها صفة التفخيم دائمة هي حروف الاستعلاء ويكون الترتيب فيها من القوي إلى الضعيف وهي: الطاء ثم الضاد بعدها الظاء ثم القاف، العين ثم الخاء، أمّا الحروف التي ترقق دائما في

[1] ينظر: أسماء شرير و غنام رشيد: ظاهرة التفخيم و الترقيق و أثرها في القراءات القرآنية – سورة الكهف أنموذجا، ص: 51.

[2] أصيل كاظم، علي ناصر غالب، القيمة التوافقية و الخلافية بين صفات الصوتية، مجلة العلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد 1، آذار 2016، ص: 04.

[3] المرجع نفسه، ص: 04.

كافة حروف الاستفال ما عدا اللام والألف والراء، والحروف التي تفخم أحيانا للضرورة وترقق هي الحروف التي يجوز فيها الترقيق والتفخيم وهي: (الألف واللام والراء).

-الإذلاق و الإصمات:

الإذلاق لغة: هو «حدة اللسان و طلاقته».[1]

أما اصطلاحا: فهو خفة وسرعة في نطق الحروف لخروجها من ذلق اللسان أي طرفه وحروفه ستة يجمعها ابن جزري في "فر من لب"[2]، فالإذلاق هو السرعة والخفة والطلاقة والفصاحة في اللسان.

الإصمات لغة: هو المنع فيقال: صمت عن الكلام أي منع نفسه منه.[3]

أما اصطلاحا: فيعرف الإصمات أنه «ثقل في الحرف لعدم سرعة النطق به لكونه يخرج بعيدا عن ذلق اللسان والشفة، وحروفه ثلاثة وعشرون وهي الباقية بعد أحرف الإذلاق»[4]، فالإصمات هو ثقل في نطق الحرف و سميت بذلك لامتناع انفراد هذه الحروف بالكلمات الرباعية الأصل أو الخماسية فلابد من وجود حرف أو أكثر من الحروف المذلقة في الكلمة لتعادل بخفتها الثقل في الكلمة.

3.الصفات غير المتضادة:

وهي ستة صفات لا توجد لها أضداد مما يعني أنها صفة منفردة في الحرف لا يوجد ما يقابلها وهي كالآتي:

[1] علي الله أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، ص: 08.
[2] ينظر: المرجع نفسه، ص: 08.
[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 08.
[4] المرجع نفسه، ص: 09.

-الصفير ويعني لغة:

«الصّفير: من الصوت بالدّواب إذ سقيت، صفر يصفر صفيرا، وصفر بالحمار و صفر، دعاه إلى الماء، والصافر: كل ما لا يصيد من الطير... وصفر الطائر يصفّرُ صفيرا، أي مكا، ومنهم قولهم في المثل: أجبن من صافر، وأصفر من بلبل... وقولهم ما في الدّار صافر أي أحد يصفر»[1].

يفهم من التعريف اللغوي للصفير له دلالات متعددة منها الصوت الحاد، والصوت الذي هو على درجة كبيرة من الرخاوة.

أما اصطلاحا فيقصد به: إن أقرب مفهوم للصفير اصطلاحا هو ما جاء في تعريف سيبويه: «هي حروف تتسل كالصفير وهي: الصاد السين والزاي، لأنها تخرج من بين الثنايا و أسلة اللسان، فينحصر الصوت هناك، ومن فقد أسنانه وخاصة ثناياه والرباعيات لا يمكنه إصدار صوت صفيري»[2].

ونستنج من مفهوم سيبويه للصفير مجموعة من النقاط نذكرها فيما يلي:

- الصفير تسلل للهواء وهو تسرب فلا يكون بجهد.
- الصفير يحدث بين ثنايا وأسنة اللسان بمعنى لا يحدث الصفير بجهد كبير.
- انحصار الصوت في مخرجه يحدث الصفير فلا يسمع في موضع آخر.
- إن هذا التعريف شامل و دقيق يغنينا عن كثير من الدراسات اللاحقة للمحدثين ما خلا بعض الاختلافات اللهجية التي تعتري هذا الصوت على نحو ما قام به جان كانتينو: «ولا يطرأ على حروف الصفير إلاّ عدد قليل من التغيرات المطلقة و عروض ذلك نادرا جدا»[3].

[1] ابن منظور، لسان العرب، ج: 4، ص: 464.

[2] محمد العميش، صفات الأصوات اللغوية بين وقف القدماء و إثبات المحدثين، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف ، مجلة جسور المعرفة ، العدد 5 ،2016 ص: 88.

[3] جان كانتينو، علم الأصوات، ص: 72.

وذهب بعض الباحثين إلى أن في أصوات الصفير إشكالات كثيرة وهي كثيرة تحولها و استبدالها في بعض اللهجات، بينما لا نراها كذلك بهذه الخطورة، فالممارسة الصوتية والنطقية تختلف لعوامل متنوعة، ولا يمكن عدها بإشكالات نحو العوامل الجغرافية و العامل الخلقي أي نسبة إلى طبيعة الجهاز النطقي عند كل شخص.

ويتفق جمهور العربية ومجوّدو القرآن الكريم أن أصوات الصفير هي السين والصاد والزاي، وهذه الصفة ذاتية تخص هذه الأصوات فقط و يتحقق عندما ينحبس الهواء من نبين الثنايا وأسلة اللسان، وفي هذا الصدد يقول عبد العزيز الصبغ: «وأما الصاد والسين والزاي، فلا تدغمين في هذه الحروف التي أدغمت فيهن لأنهن حروف الصفير»[1].

وذهب بعضهم إلى التفريق والتمييز بينها على نحو ما ذهب إليه مكي بن طالب لما ذكر أن «صفات مميزة هي الهمس في السين والجهر في الزاي، والإطباق في الصاد، والسين تخرج من مخرج الزاي في أخت الزاي، لأن الزاي حرف مجهور، والسين حرف مهموس ولولا الهمس في السين لكانت زايا، وكذلك لولا الجهر الذي في الزاي لكانت سينا، إذ قد اشتركا في المخرج والصفير والرّخاوة والانفتاح والتسفل، وإنما اختلفا في الهمس والجهر لا غير فباختلاف هاتين الصفتين افترقا في السمع»[2].

واتفاق المخرج ليس كفيلا بتوحيد الأصوات إذ تعد الصفات فارقة في اختلافها وتنوعها على نحو السين والزاي، فلولا جهر في الزاي لكان سينا خالصة.

إن ما تجدر الإشارة له عند شرح الصفير عموما أن المحدثين من يعزل صوت الصاد عن الثلاثية (س، ص، ز) وأخرجوه من أصوات الصفير، كما وجدنا بعض الباحثين من آثر مصطلحات أخرى غير الصفير نحو: الأسلية والاحتكاكية «يوصف الصوتان (س، ز) بأنهما صفيريان sibilants لما يصحبهما

[1] عبد العزيز الضبع، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر، آفاق معرفة متحددة، ط 1، 2007، ص: 158.
[2] مكي بن طالب، الرعاية، ص: 211

من صفير أو أزيز، وهما في الحقيقة صوتان من النوع الاحتكاكي»[1]، كما يذهب إلى ذلك إبراهيم أنيس وهو يفصل الأصوات فعند ذكره لأصوات الصفير وكيفية تحقيقه قال: «حيث يتصل أول اللسان بأصول الثنايا، بحيث يكون فراغا صغيرا جدا، ولكنه كاف لمرور الهواء نسمع ذلك الصفير الذي نعبر عنه بالسين والزاي»[2].

لقد أطلق علماء اللغة صفة الصفير على الأصوات الثلاثة (السين، الصاد، الزاي) وهي صفة قديمة ذكرها الخليل وسيبويه و وصفوها بالأسلية، ففي هذا الصدد يقول سيبويه في كتابه معرفا أصوات الصفير: «هي حروف تنسل كالصفير وهي الصاد والسين والزاي، لأنها تخرج من بين الثنايا و أسلة اللسان»[3]، وذلك أن مخرجها من أسلة اللسان أي مقدمته عند تحقيقها سكونا، أما المحدثون أمثال إبراهيم أنيس وأحمد مختار عمر فكان وصفهم متفقا تماما مع وصف القدماء بيّنوا هو أيضا أن أصوات الصفير تشمل (السين، الزاي، الصاد) وقد قالا أن الأصوات الصفيرية سميت بالصفيرية لقوة الاحتكاك معها و بالتالي فهي أصوات من نوع الاحتكاكي.

-الأصوات الأنفية:

هي صفة الغنة، وهي صفة صوت له رنين في الخيشوم حروفها هي النون والميم: «حروف الغنة عند القدامى هي خروج صوت الحرف من الخيشوم، وحروفه الميم والنون، لأنه قد يعتمد لهما في الفم والخياشيم، فتصير فيها غنة»[4].

فحروف الغنة لها علاقة بالخيشوم عند القدامى، أما عند المحدثين أمثال كمال بشر الذي يرى أن: «عند إصدار هذه الأصوات يحبس الهواء حبسات ما في موضع من الفم، فينفذ الهواء عن طريق

[1] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت العربي، ، عالم الكتب ، القاهرة،ط1، 1997،ص: 98.
[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 24.
[3] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 46.
[4] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 69.

الأنف»[1]، معنى هذا أن الصوتين (الميم والنون) يتغير مجرى الهواء فيها من المجرى الفموي إلى الأنفي في المحدثين.

-القلقلة:

هي حروف خمسة عند سيبويه يجمعها: في جملة (قطب جد) ووصفها بالحروف المشربة: «وعلم من الحروف حروفا مشربة ضغطت من تواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت ونبا اللسان عن موضعه وهي حروف القلقلة»[2]، وأطلق عليها هذا الاسم لشدة الضغط التي يحدثها الصوت عند الوقف.

ويعرفها ابن جني: «اهتزاز الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية وهي شدة الصوت»[3]، أما ما جاء في دراسة المحدثين فقد عرفوا القلقلة بـ: «هي انفجارية عند المحدثين وهناك مراحل ينبغي توافرها لتكون هناك قلقلة هي:

- هالة الوقف، حبس الهواء بصورة تامة، إطلاق الصوت»[4]، ومعنى هذا انحباس الهواء في مجرى التنفس نتيجة التقاء العضوين الذين يمثلان مخرج الصوت.

-الاستطالة

هو امتداد مخرج الضاد وهي صفة ملاومة لحرف ض يقول سيبويه: «والإدغام في الضاد أقوى لأنها خالطت باستطالتها الثنية»[5]، فالاستطالة امتداد لمخرجها حتى يصل الثنايا العليا.

---

[1] كمال بشر، علم الأصوات، ص: 348.
[2] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 174.
[3] ابن جني، الخصائص، ج: 3، ص: 46.
[4] كمال بشر، علم الأصوات، ص: 116.
[5] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 266

أما عند المحدثين فالاستطالة عندهم: «أن يستطيل ويمتد مخرج الصوت حتى يتصل بمخرج آخر وتشمل هذه الصفة عندهم الصاد القديمة الرخوة فقط عندما تتصل بمخرج اللام الجانبية فتكون صوتا احتكاكيا جانبا»[1]، فالاستطالة عندهم تخص مخرج الصوت حتى تمتد إلى مخرج آخر أو تحاذيه، وتجسد في الصوت الضاد القديمة.

-التفشي:

وهي صفة ذكرها سيبويه في صوت الشين ويعرفها: «سميت كذلك لأن الصوت يتشربه عند خروجه وتشغل اللسان مساحة أكبر عند نطقه حتى يصل إلى مخرج الطاء، وأطلقت هذه الصفة على الضاد والفاء»[2]، فالتفشي الذي يعني لغة الانتشار قد ينتاب صوتي الضاد والفاء بل وقد نجده في بعض الأصوات الأخرى إذا جاوزت أصواتا ألزمتها هذه الصفة.

أما المحدثون فيعرفونها: «هو أن ينشغل اللسان أثناء النطق بالحرف بالصوت مساحة أكبر ما بين اللثة والغار، وهو وصف صادق على الشين ولولا التفشي لصارت الشين سينا، كما يحدث لدى بعض دوي العيوب النطقية، ولا سيما الأطفال الذين لا يجدون عناية ممن حولهم من الكبار»[3].

-التكرار:

يعرفها سيبويه: «هو حرف شديد يجرى فيه صوت لتكريره وانحرافه إلى اللام فتتجافى للصوت كالرخوة ولو لم يكرر لم يجر الصوت فيه وهو الراء»[4].

[1] مالبرج، علم الأصوات، ترجمة: عبد الصبور شاهين، د ط، 1985، ص: 120

[2] سيبويه، الكتاب، ج: 2، ص: 435.

[3] مالبرج، علم الأصوات، ص: 120

[4] سيبويه، الكتاب، ج: 2، ص: 235

فالتكرار سبب جريان النفس في موضعه «وهي صفة اختص بها صوت الراء، وعندما تنطق بالراء تحس كأنها مضاعفة والوقف يزيد إيضاحا»[1]، فلا ينمكن تحقيق الراء نقطة واحدة، بل هو يتحقق عن طريق التكرار غير المفرط، والتكرار هو تقطع جريان النفس على ألا تأخذ هذه العملية ومنا طويلا.

أما المحدثون فعرفوه في مفهوم خاص: «وصفه المحدثون طرف اللسان بحافة الحنك مما يلي الثنايا العليا فيتكرر النطق بها، كأنما يطرق طرف اللسان حافة الحنك طرفا لينا يسيرا مرتين أو ثلاث»[2].

مما يمكن قوله أن القدامى اعتمدوا في دراستهم لصفات الأصوات على أدوات بسيطة تقليدية ناسبت عصرهم، فعلى الرغم من قلة الوسائل إلا أنهم استطاعوا و تمكنوا من معرفة وكشف حقائق وأسرار العملية الصوتية، فقد حللوا الصفات ووصفوها وصفا علميا دقيقا، وقسموا الصفات إلى صفات لها ما يقابلها وصفات فردية ليس لها ضد.

أما نظرتهم للمهموس والمجهور في مثيرة للانتباه، فلم يرد ذكر تذبذب الأوتار الصوتية عند القدامى، لكن هذا لم يمنعهم من تفسيرها بالنظر إلى جريان النفس أو عدمه.

أما المحدثون فقد تبينوا جهود القدامى وأضافوا أشياء جديدة لها وذلك لتوفر الوسائل والأجهزة، فقد وصفوا جهاز النطق وصفا دقيقا، وتعرفوا على موقع الوترين الصوتيين، هذا الموقع الذي لم يتمكن القدامة من معرفته، كما استطاع المحدثون التعرف على بعض الأصوات المهموسة كالطاء والقاف، والتي هي مجهورة عند القدامى، وهذا لاعتمادهم على وسائل علمية متطورة واكتشافات تكنولوجية حديثة التي تميزت بالدقة والموضوعية وأعطت نتائج مذهلة في الوصف والتحليل والدقة.

[1] سيبويه، الكتاب، ج: 2، ص: 235.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 66.

المبحث الثاني: صوت القاف دراسة صوتية

حرف القاف من الحروف العربية التي تعددت مخارجه والنطق به بأكثر من صورة في اللهجات العربية، ويأتي هذا الصوت في المرتبة التاسعة عشر من الأبجدية وفي المرتبة الحادية والعشرين من الألف بائية العربية، وهو من الحروف القمرية وليس من الحروف الشمسية.

أولا: تعريف صوت القاف

القاف صوت لهوي انفجاري وقد وصفها العرب قديما بأنها صوت شديد، يقول سيبويه: «ومن الحروف الشديدة وهو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو ... القاف... »[1]، كذلك يجعلها ابن جني من أحرف الشدة، يقول كمال بشر: «الهمزة والقاف والكاف والدال والظاء والتاء والطاء والباء وقفات انفجارية وهي ما يعرف عند علماء العربية القدماء بالأصوات الشديدة»[2]، فالقاف إذن هو صوت شديد انفجاري وهو من حروف القلقلة، «صوت القاف من الأصوات المجهورة وهو شديد مستعلي وهو من حروف القلقلة ،والقلقلة صوت يشبه النبرة عند الوقوف عنده»[3]، وفي هذا الشأن قال سيبويه عن القلقة «إنما سميت بذلك للصوت الذي يحدث عنها عند الوقوف لأنك لا تستطيع أن تقف عنده إلا معه لشدة ضغط الحرف»[4]، والقاف له شدة الضغط وله نبرة خاصة يتوقف عندها يقول المبرد عن القلقلة: «ومنها القاف والكاف إلا أنها دون القاف لأن حصر القاف أشد»[5]، فالمبرد هنا يقر بشدة صوت القاف، ويوافقه صاحب الرعاية بقوله: «القاف حرف متمكن قويّ لأنه من الحروف المجهورة الشديدة المستعلية ومن حروف القلقلة»[6].

---

[1] سيبويه، الكتاب، ج 2، ص: 405.

[2] كمال بشر، علم الاصوات، ص: 212.

[3] أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1996، ص: 130.

[4] ابن منظور، لسان العرب، ج: 14، ص: 86.

[5] المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمية، ص: 196.

[6] أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القرآن و تحقيق لفظ التلاوةص: 110.

والشكل الموالي يوضح مخرج القاف:

ثانيا: القاف في الدراسات العربية القديمة والحديثة:

-عند القدماء:

شهد الدرس الصوتي اهتماما كبيرا من قبل علماء اللغة العربية القدماء وذلك نظرا لحرصهم الشديد على اللغة العربية عامة والقرآن الكريم خاصة، وقد كشفت الدراسات اللغوية المعاصرة عن دقة كفاءة اللغويين وقدرتهم في وصف أصوات اللغة وصفا دقيقا بالرغم من انعدام الأجهزة الكاشفة عن الأصوات، فقد بينوا مخارجها و صفاتها بكل التفاصيل ومن أبرز الأصوات التي حظيت بدراسة مكثفة صوت القاف، فهو من أكثر الأصوات التي كثر الحديث عنها جراء تبدلاته الصوتية، وسنتوقف في هذا المبحث عند أهم الدراسات حول هذا الصوت عند القدماء اللغويين.

أ/ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174 هـ)

جعلها لهوية المخرج قبل الكاف «القاف والكاف لهويتان، لأن مبدأهما اللهاة»[1]، فالخليل جعل مخرجها من أقصى اللهاة أي أقصى الفم فهي تشترك مع الكاف والخاء في المخرج وهذا الاختلاف الذي بينهم اختلاف طفيف في شرح المصطلح فالقاف بعد الخاء وقبل الكاف، والقاف عند الخليل من الحروف الصنم بضم الصاد والميم ومعناها أن هذه الحروف تتمكن «في خروجها من الفم، واستحكامها فيه »[2]، القاف إذن عند الخليل مخرجها بين عكدة اللسان واللهاة أقصى الفم.

ب/ سيبويه (ت 180 هـ)

وافق الخليل في تحديد مخرجها دون ذكر اللهاة بل قال إنها من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى و القصد بما فوق اللسان هو منطقة اللهاة التي تضغط على أعلى اللسان فتصدر القاف، ويفسر سيبويه أعلى الحنك في تجربة نطق القاف يقول: "إنّك لو جافيت بين حنكيك فبالغت، ثم قلت: قق قق ولم تر ذلك مخلا بالقاف، ولو فعلته بالكاف وما بعدها من حروف اللسان، أخلّ ذلك بهن فهذا يدلك أنّ معتمدها على الحنك الأعلى"[3]، إن هذه التجربة تبيّن أن للقاف حيّزا منفردا لا يمكن لأصوات مقاربة لها أن تصدر منه فصوت القاف تخرج من الحنك اللين يليها صوت الكاف من الحنك الصلب، فالقاف لا تنحدر انحدار الكاف ولا تعلو على ما فوق الحنك الأعلى فهي صوت يصدر من أول مخارج الفم. ويجعل سيبويه لمخرج القاف ترتيبا بعد الغين والخاء والكاف مخالفا الخليل التي جعلها قبل الكاف.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، ص: 58.

[2] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيّان، يحي مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ص: 73.

[3] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 480.

ج/ ابن سينا (ت 380 هـ)

فقد خالف في ترتيب القاف مخرجا إذ جعله بين الخاء والغين حيث قال: «القاف تحدث عندما تحدث الخاء وأدخل ولكن بحبس تام»[1]، ويقصد بحبس تام أن في نطق القاف يكون حبس للهواء جراء الضغط عكس الخاء يكون فيها حبس للهواء أقل حدة من صوت القاف ويرى ابن سينا أن القاف والخاء يشتركان في المخرج لكن القاف أبعد من جهة الحلق يقول:« القاف تحدث حيث تحدث الخاء وأدخل»[2].

د/ ابن جني (ت 392 هـ)

سار على درب سابقيه فالقاف صوت لهوي مجهور شديد منفتح يأتي بعد مخرج الغين والخاء والكاف بعدها مخالفا سيبويه في ترتيب مخرج القاف، وذلك لأن مخرج الخاء والغين يلي منطقة اللهاة لا سابقة لها، أي من أقصى اللسان كما حدده سيبويه، والقاف نعده من الأصوات القوية من الجانب الدلالي لحرف –القاف– وقارنها بصاحبتها الرخوة الخاء يقول: «ألا تراهم قالوا قضم في اليابس وخضم في الرطب وذلك لقوة القاف وضعف الخاء، فجعلوا الحرف الأقوى للفعل الأقوى، والصوت الأضعف للفعل الأضعف»[3].

مما نلاحظه هنا هو أن هناك إجماع في أن مخرج صوت القاف من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ويبقى الخلاف فقط في ترتيب مخرجها بين الحروف التي تشاركها مخرجا الغين والخاء والكاف، والأصح هو أن القاف تأتي بعد الخاء وقبل الكاف.

والجدول التالي يوضح ترتيب القاف عند علماء اللغة القدامى:

[1] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص: 113.

[2] ابن سينا، أسباب حدوث الحروف، ص: 117.

[3] ابن جني، الخصائص، ج: 2، ص: 165.

عند الخليل	عند سيبويه	عند ابن سينا	عند لن جني
ع	ع	ع	ء
ح	ه	ه	ا
ه	ا	ع	ه
خ	ع	ح	ع
غ	ح	خ	ح
ق	غ	غ	ع
ك	خ	ق	خ
ج	ق	ك	ق
	ك		ك

ثالثا: عند المحدثين

وصف علماء اللغة المحدثين القاف بالهمس فهم لم يختلفوا عن القدماء من أنها صوت لهوي لكنهم اختلفوا معهم في موقعها مقارنة مع الكاف والغين والخاء، فطائفة رأت أن القاف سابقة للغين والخاء والكاف، وطائفة رأت أن القاف والخاء والغين من مخرج واحد، وذهبوا إلى مغالطة بعض القدماء في جعل القاف مجهورة، وأرجعوا ذلك كون القدماء اعتمدوا في دراستهم لصوت القاف على اللهجات التي كانت منتشرة آنذاك.

أ/ إبراهيم أنيس:

اعتمد إبراهيم أنيس في دراسته لصوت القاف على اللهجات العربية و عد أن القاف مهموسة، يقول إبراهيم أنيس: «القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات صوت شديد مهموس... وقد تطور القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن»[1]، إن المتمعن في إقرار إبراهيم أنيس لهمسية القاف أن الأصل في هذا الصوت صفة الهمس ثم تطور مع مرور الزمن، وأن وصف القدماء لصوت القاف يشبه إلى حدّ كبير القاف المجهورة التي يتداولها قاطني بعض المناطق السودانية، إذ ينطقونها صوتا قريبا من "الغين" حتى صار لبسا في التفريق بين القاف والغين أثناء النطق، يقول إبراهيم أنيس: «والذين مارسوا التدريس لأبناء السودان يذكرون كيف يخلط التلميذ السوداني بين القاف و الغين في نطقه وفي إملائه لهذا نفترض هنا أن القاف الأصلية كانت تشبه ذلك الصوت المجهور الذي نسمعه الآن من بعض القبائل السودانية، وثم همس مع توالي الزمن فأدى إلى ما نعهده في قراءاتنا، إذ لا فرق بين نطق السودانيين للقاف وبين نطق المجيدين للقراءة من المصريين لها إلا في أنها مجهورة عند السودانيين ومهموسة عند المصريين أو بعبارة أخرى مهموسة في معظم اللهجات العربية الحديثة»[2]، انطلاقا من تصور إبراهيم أنيس لهمسية القاف اعتمدت على اللهجات العربية وهذا صحيح من وجهة النظر، لكن ليس الأصل فيه الهمس لأن القاف أصلها مجهور وهذا ما تؤكده الدراسات العربية القديمة و القراءات القرآنية.

ب/ عبد القادر عبد الجليل:

القاف عند عبد الجليل لهوي انفجاري شديد مهموس وهو من الأصوات شبه المفخمة semi-emphasis، وتحدث في دراسته عن صوت القاف في التراث العربي القديم و مخرجها من أقصى الحلق يقول: «لعل مرد الأمر إلى احتمالات يبدو معها خطأ الأقدمين في التقدير الصحيح لموضع نطق

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 72.

[2] المرجع نفسه، ص 72.

القاف مسألة تقترب من الصواب»[1]، ويرجح عبد الجليل في شأن النطق الصحيح للقاف هو ما يعرف بـ gaf الفارسية وهو صوت مجهور، ويستشهد في هذا الموضع بقول ابن فارس: «حدثني علي بن أحمد الصباحي قال: سمعت ابن دريد يقول: حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها وهي لغة سائرة في اليمن مثل جمل إذا اضطروا قالوا كمل»[2].

ج/كمال بشر:

تحدث كمال بشر عن الأصوات المهموسة والمجهورة وفصل فيها وتطرق إلى تصنيفات العرب القدامى للأصوات المهموسة والمجهورة، وعدّ القاف من الحروف المهموسة خلافا عمّا جاء به القدماء يقول: «القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات صوت شديد مهموس»[3]، وأرجح عدّ القدماء صوت القاف مجهورا رادع إلى تعدد صور نطقها، يقول: «ربما يعذر لهم في رأيهم هذا... أن القاف في كل العصور العربية تنطق بأكثر من صورة، فهي إما لهوية وقفة انفجارية مهموسة، كما هو الحال في نطق مجيدي قراءة القرآن الكريم وكما نخرها نحن الآن في الكلام الفصيح، وإما قصية وقفة حنجرية مجهورة كما ينطقها عامة المصريين وغيرهم من العرب في كلامهم الدارج، وهذه الصورة الثانية كان لها وجود في القديم وهذا ما نفهمه من كلام شيوخ اللغويين كالخليل و سيبويه عند وصف هذا الصوت ومن ثم لا غرابة في وصفهم للقاف بأنها مجهورة»[4]، وما نفهمه من كلام كمال بشر هو أن الأصل في القاف هو الهمس وعده بالجهر إنما يعود إلى تعدد اللهجات.

[1] عبد القادر عبد الجليل الأصوات اللغوية، ص: 179.

[2] المرجع نفسه، ص: 180.

[3] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 73.

[4] كمال بشر، علم الأصوات، ص: 180.

د/ محمود السعران:

يعد صوت القاف عند محمود السعران من الأصوات الانفجارية، وعبر عن الانفجار بمصطلح الانسدادية، وهو صوت لهوي انفجاري، يقول في كيفية حدوثه: «يتكون هذا الصوت بحبس الهواء الخارج من الرئتين حبسا كليا وذلك بأن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي الحلق بما في ذلك اللهاة ولا يسمح بالهواء بالمرور خلاف الأنف، وذلك برفع الحنك اللين بضغط الهواء مدة من الزمن، ثم يتطلق مجرى الهواء بأن يخفض أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا ولا يتذبذب الوتران الصوتيان أثناء نطق القاف، فالقاف صوت صامت مهموس لهوي انفجاري».[1]

أما فيما يخص صفة الجهر للقاف فقد أعادها محود السعران إلى ما يسمع في بعض العاميات العربية يقول: «أما النظير المجهور للقاف الذي يحدث في نفس الموضع وبنفس الكيفية ولكن يتذبذب الوتران الصوتيان، فليس من جملة الحروف العربية الفصحى الآن إلا أنه يسمع في بعض العاميات، ونظيره المجهور هو الذي يرمز له كتابة بـ g صوت صامت مجهور لهوي انفجاري».[2]

هـ/ تمام حسان:

ويؤكد تمام حسان كون القاف صوتا لهويا ليس مفخّما تفخيما كاملا يحدث عند إلتصاق مؤخرة اللسان بالجدار الخلفي للحلق في الوقت نفسه الذي يتصل فيه باللهاة[3]، وهو من أصعب الحروف حدوثا كونه يصدر من عضوين كلاهما لين، أحدهما اللهاة والثاني آخر اللسان، وأثار المستشرق الألماني برج ستراسر berg stresser مشكلة همس القاف العائدة الى التطور الذي أصاب هذا الحرف «أما القاف فهي في العادة مهموسة...»[4]، فالقاف في منطوق الحاضر على ثلاث أوجه، يقول الدكتور

[1] محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 156.

[2] المرجع نفسه، ص: 156.

[3] ينظر: تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، ص: 122.

[4] رمضان عبد التواب، التطور النحوي للغة العربية، محاضرات برجستراسر الألماني، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1993، ص: 16.

سليمان فياض القاف حرف من الحروف المستعلية صوت لهوي انفجاري مجهور عند الأقدمين والقراء وهو صوت مهموس عند المحدثين، له ثلاثة أوجه في اللغة العربية ولهجاتها:

- صوت لهوي انفجاري مهموس وهو الذي يجري استعماله في العربية الفصحى.
- صوت حنكي قصي انفجاري مجهور وهو صوت سائد في كثير من اللهجات العامية في البلاد العربية.
- صوت حنجري شديد انفجاري مثل الهمزة[1] السائدة في مصر والشام وتلمسان في الجزائر.

و/ سليمان فياض:

يرجع سليمان فياض همسية القاف إلى خطأ وقع فيه قراء مصر إذ يجرونه مع زفير فيحولونه إلى صوت مهموس يكون حيزه بين القاف والخاء، وهذا لا يجوز على حدّ رأيه فصوت القاف مخرجه من منطقة تلي مخرج الخاء إلى داخل الفم، ويعد اعداد القاف مهموسا تقصيرا منهم إذ لا يعطون الحرف حقه وهذا ليس من شيم العرب أن تبدل القاف إلى صوت مقارب له إلا إذا كان هذا التحول ناتج عن اختلاط الأجناس و روى الجاحظ قصة أن زياد أوفد ابنه عبيد الله بن زياد إلى معاوية فكتب معاوية «إن ابنك كما وصفت لكن قوّم لسانه، وكانت في عبيد الله لكنة وهو أنه كان يلثغ بالقاف فيقلبها كافا، وهذا راجع إلى كون أمه كانت زوجا لسيرويه الأسواري»[2].

إن الدراسات الحديثة التي تقر أن القاف صوت مهموس راجعة إلى كون هذه الدراسات اعتمدت على اللهجات وهذا ما أكده علماء اللغة المحدثين، أما قضية جهره فهو ما سمع عن

[1] ينظر: سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1998، ص: 96-97.

[2] ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط 3، ج 2، ص: 210.

اللهجات العربية المنتشرة في البقاع العربية، والأصل وهو الهمس وما ينطق به الآن في العربية الفصحى وما يقرأ به القرآن الكريم وما أقرته.

تشير القراءات القرآنية إلى أن القرآن لم يقرأ بغير القاف ولا يوجد نص صريح يؤكد وجه آخر للقاف في القرآن و أن القاف حرف مجهور شديد قوي، و قضية همسه تعود إلى الصور التي ينطق بها في اللهجات العربية.

ج/ عند علماء التجويد والقراءات:

أما علماء التجويد و القراءات فلم يخالفوا سابقيهم من علماء الصوت بل ساروا على دربهم خاصة ما جاء به سيبويه، و قد جعلوه من الحروف المجهورة القلقلة "قطب جد"، فابن الطحان (ت 560 هـ) قسّم اللسان إلى أربعة أقسام أقصاه و وسطه و حافته و طرفه، فيه عشرة مخارج لثمانية عشر صوتا و تأتي القاف من أقصاه و مما يليه من الحنك الأعلى، و من ذلك الأقصى منفرجا عن الحنك الأعلى منسفلا إلى الحنك الأسفل تخرج الكاف و الغين والخاء فجعلهما من الحلق[1].

ابن الطحان بتحديده هذا يبعد القاف عن الغين و الخاء وهكذا فهو يتفق مع ابن جني في أن مخرج القاف فوق مخرج الغين والخاء و هما أعمق منها، وهذا ما أشار إليه ابن الجزري (ت 649 هـ) نقلا عن شريح بن محمد الرعيني (ت 539 هـ): «إن القاف تخرج من أول اللهاة مما يلي الحلق و مخرج الخاء»[2]، فتصنيف القاف مخرجا يأتي بعد الخاء، وقبل الكاف و القاف أدخل من الكاف في الفم، يقول في ترتيب الحروف الأربعة الغين والخاء والقاف والكاف: "المخرج الرابع أدنى الحلق إلى الفم وهو الغين والخاء... المخرج الخامس: أقصى اللسان مما يلي الحلق و ما فوقه من الحنك هو مخرج القاف

[1] ينظر: أبو الإصبع السماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان، مخارج الحروف و صفاتها، تح: محمد يعقوب تركستاني، ط 1، 1984، ص: 81.

[2] ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج 1، ص: 199.

ومن اللسان قليلا وما يليه من الحنك مخرج الكاف"[1]، وهذا تفسير جيد لابن الجزري لمخرج القاف فهو يوافق الخليل، كون القاف لهوية هذه المنطقة التي قسمها السمرقندي (ت 780 هـ) قسمين الغلصمة وهي أول اللهاة من جانب الحلق، والعكدة وهي آخر اللهاة من جانب الفم و جعل القاف تخرج من الغلصمة وأطلق عليها اسم غلصمية[2].

لم يخالف علماء القراءات والتجويد علماء اللغة في تحديد مخرج القاف بل ساروا على نهجهم، فقد ركزوا في تحديد مخرج القاف على ما قبلها من الأصوات وما بعدها، فجعلوا الغين والخاء قبلها من أدنى الحلق من جهة الفم مع ما يلي ذلك من أعلى الجدار الخلفي للحلق أو من اللهاة، ثم القاف من أقصى اللسان مع ما يلي ذلك من الحنك الأعلى بما في ذلك اللهاة، ومن موضع أسفل من موضع القاف إلى الأمام مخرج الكاف[3]، فالقاف والكاف لهويتان كما حددهما الخليل بن أحمد الفراهيدي.

إن علماء اللغة القدماء وأعلام القراءات والتجويد يصنفون القاف أنها صوت لهوي مجهور شديد منفتح.

بعد الوقوف على دراسات القدامى والمحدثين ومجيدي القراءات نجد أنهم اتفقوا في كيفية حدوث صوت القاف ومخرجه، واختلفوا في صفته فعند القدماء أعدوه صوتا مجهورا، أما المحدثين فهو من الأصوات مهموسا.

ثانيا: كيفية حدوثه

يتم نطق هذا الصوت برفع أقصى اللسان حتى يلتقي باللهاة و يلتصق بها فيقف الهواء مع عدم السماح له بالمرور من الأنف و بعد ضغط الهواء مدة من الزمن يطلق سراح مجرى الهواء بأن يخفض

[1] المرجع السّابق، ج 1، ص 199.

[2] ينظر: غانم قدوري ، ص: 169.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 171.

أقصى اللسان فجأة فيندفع الهواء محدثا صوت انفجاري و لا يتذبذب الوتران الصوتيان عند النطق به، فالقاف إذن صوت لهوي له وقفة انفجارية مهموس[1].

و الشكل الموالي يوضح مخرج القاف في الجهاز الصوتي: مخرج القاف الموضح باللون الأزرق.

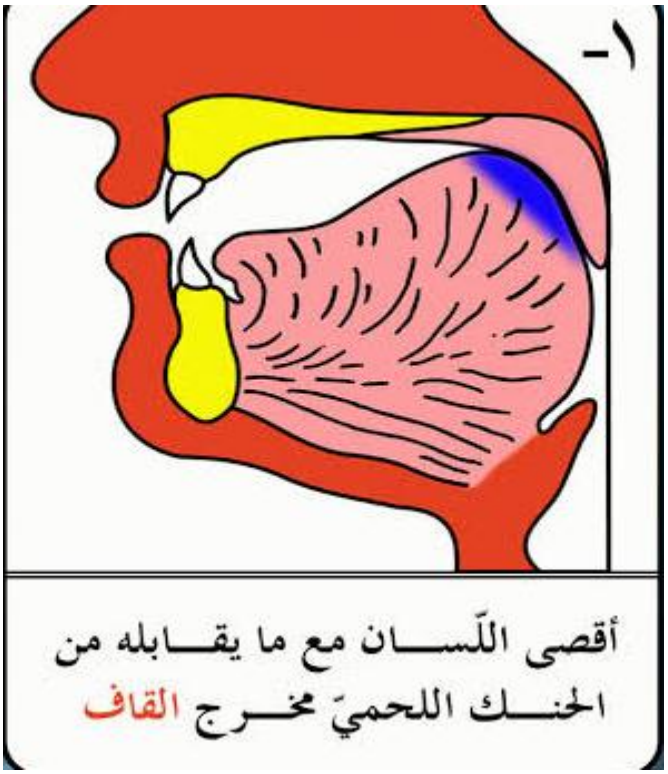

فالقاف صوت لهوي يتم إنتاجه عن طريق اتصال مؤخرة اللسان أي اقصى اللسان ويلتصق بمنطقة اللهاة مع الطبق اللين بصورة لا تسمح بمرور الهواء يعقبه تسريح فجائي بعد الضغط على الطبق اللين، ولهذا فالقاق صوت انفجاري[2]، أما وصفه بأنه لهوي يعود إلى مخرجه من منطقة اللهاة.

والشكل التالي يوضح موقع اللهاة.

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 77.

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، دراسات الصوت اللغوي، ص: 318.

توضيح موقع اللهاة.

وفي تقدير مواضع الغين والخاء والكاف، نجد الخليل مثل سيبويه وضع الغين و الخاء قبل القاف لا بعدها، فلو كان يقصد اللهاة بمعناها العلمي المعروف الآن لوجب عليه أن يعكس هذا الترتيب، إذ تخرج الغين والخاء من منطقة تلي اللهاة لا تسبقها وعليه فوصف القاف لهويا ليس لأنه يخرج من اللهاة بل من منطقة قريبة من اللهاة، فاللهاة هي منطقة في أعلى الفم تلي الحلق يعرفها عبد القادر عبد الجليل زائدة لحمية تتدلى من الأعلى إلى أسفل الطرف الخلفي للحنك اللين، و دورها واضح في تشكيل صوت القاف العربية[1].

يقول عبد القادر عبد الجليل «القاف واحدة من الأصوات التي أصابها التطور فبعد أن كان صوتا مجهورا، وفوق ذلك فهو صوت لهوي، شديد انفجاري شبه مفخم يتشكل بارتفاع أقصى اللسان حتى نقطة التقائه بأدنى الحلق واللهاة ثم يرتفع مؤخر الطبق حتى يلتصق بالجدار الخلفي للحلق، حيث يسد

[1] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 39.

المجرى الأنفي، يحدث هذا دون تذبذب للوترين الصوتيين ثم يطلق سراح الهواء محدثا انفجارا مسموعا»[1]، وهنا يتحدث عبد الجليل عن صوت القاف المتطور الذي أصبح مهموسا لكنه حافظ على صفاته الأخرى، وفي هذه النقطة يشير إبراهيم أنيس إلى نطق القاف فعاد إلى القراءات القرآنية يقول: «القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات القرآنية صوت شديد مهموس رغم أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها أحد الأصوات المجهورة و قد تطور القاف في اللهجات العربية الحديثة تطورا ذا شأن لا نستطيع معه أن نؤكد كيف كان ينطق بها الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى»[2]، ويشير ابن خلدون في مقدمته إلى كيفية نطق القاف فيقول: «إنه بين القاف والكاف»[3]، يعني g و يبدو من خلال ضبط ابن خلدون لصوت القاف أنه يقصد ذلك الصوت الذي ينطق به اليوم بين أهل البدو وهذا ما يشبه الجيم القاهرية. ويربط ابن خلدون القاف المجهورة بأهل الحضر والقاف التي تنطق بالجيم القاهرية أو ما يقابلها في اللغة الإنجليزية g بأهل البدو.

رابعا: تغيرات صوت القاف في اللهجات العربية

تنقسم التغيرات الصوتية عموما إلى قسمين تغيرات تاريخية و تغيرات تركيبية، و صوت القاف من الأصوات التي شهدت التغيرات التاريخية، ففي دراسة اللغات السامية و المقارنة بينها نجد صوت القاف صوتا مهموسا يتصف بالشدة «ففي العبرية مثلا kOl بمعنى –قول–، وفي الآرامية kdam بمعنى– قدّام–، وفي الحبشية koma بمعنى – قام– وفي الأكادية pakad بمعنى– بحث– »[4]، صوت القاف الصوت الوحيد اللهوي المشترك في اللغات السامية، و هو صوت مهموس كما ينطق اليوم عند أهل

[1] المرجع السّابق، ص: 179.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 86.

[3] ابن خلدون، المقدمة، كتاب العبر و ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب و العجم و البربر،دار الكتاب لبناني،1946ص: 122.

[4] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي مظاهره و علله و قوانينه،مكتبة الخانجي ، القاهرة،ط3، 1997. ص: 28.

مصر[1]. ولا يقتصر نطق القاف بصفة الهمس على مصر بل ينطق به بهذه الصفة في مناطق عدة في الوطن العربي.

ويُعَدّ صوت القاف في العربية ولهجاتها العامية مثالا حيا لهذا النوع من التغير الصوتي فقد عدّه اللغويون القدامى من الأصوات المجهورة[2]، فإنْ صدق وصفُهم هذا نقول ربما وصفو قافا أخرى غير هذه التي نسمعها من مجيدي القرّاء هذه الأيام، وكان ذلك النطق من التغيرات التاريخية المطلقة في العربية القديمة[3]، ولقد تعرضت "القاف" إلى تغييرات في اللهجات العامية في مختلف أنحاء الوطن العربي.

1/ قلب القاف إلى جيم و إلى صوت مزدوج ـدز ـ

جاء في الكتب العربية موادا تشمل على إبدال القاف جيما، ومنها ما جاء في كتاب ابن فارس أن العرب يبدلون القاف جيما: «وأما الجرّية وهي الحوصلة في الأصل الذي يعول عليه فيها أن الجيم مبدلة من القاف كأن أصلها قرّية لأنها تقري الشيء أي تجمعه ثم أبدلوا القاف جيما كما يفعلون ذلك فيهما»[4]، وقال أبو الطيب: «يقال إنباجت عليهم بائجة وإنباقت عليهم بائقة و هي البوائج والبوائق أي الشدائد والدواهي»[5]، وينتشر هذا النطق في بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين، إذ يقولون الجبْلة بدلا من القبْلة[6]،كما ينتشر هذا النطق بين البدو في جنوب الأردن فيقولون في اقْعُد: اجْعُد، ويوم القِيَامة: يوم الجِيَامة، وفي أشعارهم يقولون:

ولك يا غراب حَيِّد عَن طيريجِي ... وأريد أشرب مَيَّه بالبَرِيجِي

[1] ينظر: نفس المرجع، ص: 28.

[2] ينظر: سيبويه، الكتاب ج: 4، ص: 478.

[3] ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 17.

[4] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة: جرى.

[5] أبو الطيب ، الإبدال، تحقيق عز الدين التنوخي، ج: 1، ص: 241.

[6] ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

أي: طريقي والإبريق.[1]

والجدول التالي يوضح الألفاظ التي يقع فيها إبدال القاف إلى جيم:

الكلمة	الإبدال
قربة	جربة
قسمة	جسمة
يقيس	يجيس
قبلة	جبلة
واقف	واجف
العاقل	العاجل
طريق	طريج
رفيق	رفيج

فالجيم صوت مجهور مركب، والقاف صوت انفجاري مهموس، والقانون الصوتي يجيز أن تحل الجيم مكان القاف، وإن كان هناك اختلاف بالمخرج بين الصوتين ويكون صوت الجيم مركبا، فإن هذا يدعو للاستغراب أن يتحول الصوت من الأيسر إلى الأصعب أو الأكثر، ونلحظ أن السبب الرئيسي

[1] ينظر: مقال لأبي الرب توفيق بعنوان: أصالة لغوية في اللهجات الأردنية ،مجلة العربي، مجلة ثقافية تصدر عن دولة الكويت، العدد 87، ، ص: 159.

في إبدال صوت القاف جيما يعود إلى أن صوت الجيم المجهور يتناسب مع البيئة البدوية، إذ أنها تميل إلى الأصوات المجهورة و صوت القاف صوت مهموس ،وإن كان الهمس يميل إلى الجهر.

كما نسمعها صوتا آخر مزدوجا مكون من الدال و الزاي dz ف في مدينة الرياض صوتا مثل – دْزبلة- في قِبلة- و – المدْزِيبرة- في –المقيبرة- و – دْزِليب- في – قليب- بمعنى البئر، وتطور صوت القاف إلى صوت مزدوج يرجع إلى قانون الأصوات الحنكية، حيث تنزع الأصوات الطبقية إلى تقديم مخارجها إلى الأمام قليلا، فيُصَيّرُها صوتا مزدوجا الطريقة نفسها التي تمَّ بها تحول الكاف "g" السامية إلى صوت مزدوج في العربية هو صوت الجيم "dz" والدليل على ذلك أن القاف لا تعاني من هذا القلب إلّا إذا وليتها كسرة.[1]

ولدى كثير من الفلسطينيين ينطقها كالكاف، فهم يقولون مثلا –كال- في –قال و-كُتله- في –قتله-.[2]

2/ قلب القاف جيما قاهرية "گ"

تغير القاف إلى گافا طبقية مجهورة ما يقابلها g باللغة الأجنبية هو انتقال القاف إلى الأمام فالأصل في القاف مجهور وهو g يعني عودة القاف إلى مخرجها الأصلي، وفي هذا الشأن أشار إبراهيم أنيس إلى «أن قلب القاف جيما قاهرية هو مجرد انتقال مخرجها قليلا إلى الأمام... ويعد تطور القاف إلى الجيم القاهرية من الأدلة على أن القاف كانت في الأصل القديم مجهورة»[3]، ويعد هذا النطق شائعا و تعود جذوره إلى التراث القديم وقد أشار إليها سيبويه في قوله: «والكاف التي بين الجيم والقاف»[4]، وقد عدا من الحروف «غير المستحسنة ولا كثيرة في لغة من ترتضي عربيته ولا تستحسن في قراءة القرآن

[1] رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، 1982، ص: 11.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 137.

[3] المرجع نفسه، ص: 137.

[4] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 432.

ولا في الشعر»[1]، هذا الصوت لا يوجد إلا في ووصفه بن فارس (ت 395 هـ) واصفا يقول: هو «الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم»[2]، ويشار هنا إلى أن هذا الصوت من أصول يمنية أي ينتشر في لهجتهم، يقول ابن فارس: «إنها لغة سائرة في اليمن مثل: (جمل = كمل)»[3]، واستشهد بـ بيت لأبي الأسود الدؤلي:

و لا أكول لكدر الكوم كد نضجت ... ولا أكول لباب الدار مكفول

ومن القبائل التي تحدثت بهذا الصوت "تميم و بني غنم و بني أسد".[4]

يقول ابن دريد (ت 321 هـ): «فأما تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون: الكوم ويريدون القوم ، فتكون القاف بين الكاف والقاف وهذه لغة معروفة في بني تميم»[5]، وينتشر هذا الصوت بكثرة في لهجة الجزائر تحديدا في الغرب الجزائري إذ يبدلون القاف بالجيم القاهرية g أو الكاف المجهورة وصوت الجيم القاهرية هو صوت مفخم شديد كما وصفها سيبويه نظرا للخشونة التي يمتاز بها سكان هذه المناطق، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته حيث قال: «ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم في نطق القاف فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار، كما هو مذكور في كتب العربية... بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف»[6]، وقد تحدث اللغويون بعد سيبويه عن النطق اللهجي للقاف، يقول السيرافي: «و رأينا من

[1] ينظر: المصدر السّابق، ج: 4، ص: 432.

[2] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها علّق عليه ووضع حواشيه أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، ص 54.

[3] المرجع نفسه، ص: 54.

[4] ينظر: ابن السكيت، القلب و الإبدال، يعقوب بن سحان ابن السكيت ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر،1978 ص: 38.

[5] ابن دريد، الجمهرة، تحقيق ابراهيم شمس الدين،دار العلم ،ط1، 1987، ص: 5.

[6] ابن خلدون، المقدّمة، ص: 557.

يتكلم بالقاف بين القاف و الكاف، فيأتي بمثل لفظ الكاف التي بين الجيم و الكاف و الجيم التي كالكاف»[1]، ومن خلال هذه أقوال كثيرة ندرك أن القاف لم تتغير نتيجة للاستعمار أو الاختلاط الأجنبي فنقول قد أصابه اللحن، بل هو نطق متأصل في القبائل العربية القديمة وقد شاع هذا الإخراج الصوتي حتى أنه أعتقد أن القاف الخالصة ليس هو النطق الأصلي لها بل هو ما ينطق بين الجيم والكاف أو بين القاف والكاف أو الكاف المجهورة أو ما نسميها الجيم القاهرية و القاف المعقودة، يقول ابن الحاجب (ت 646 هـ): «وبقي حرف لم يتعرض له وإن كان ظاهر الأمر أن العرب تتكلم به، وهي القاف التي كالكاف كما يتكلم بها أكثر العرب اليوم حتى توهم بعض المتأخرين أن القاف الخالصة أيضا في كلامهم وأن القرآن لم يقرأ إلا بالقاف الخالصة على ما نقله الاثبات متواترا ولو كانت تلك قرئ بها لنقلت كما نقل غيرها لم يقرأ بها أو قرأ من لم يعتد بنقل عنه»[2]، إن القاف المعقودة كما وصفها السيرافي هي صورة لهجية وإن كانت شائعة وحتى وإن قُرئ بها القرآن إلا أنه لم ينقل عن ناطقيها بشكل كبير، ولكن نجد لما ذكره ابن الفراء عن قراءة عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه–: ﴿**وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ**﴾[3] ، قصده قشطت أي بالقاف الخالصة: «وهما لغتان، والعرب تقول القافور = الكافور، والقفُّ = الكفّ، إذا تقارب الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات»[4]، وقصد الفراء اللهجتين.

قال أبو حيان: «وأما القاف المعقودة فيقول عنها السيرافي: رأينا من يتكلم بالقاف بينها و بين الكاف وهي الآن غالبة في لسان من يوجد في البوادي من العرب حتى لا يكاد عربي ينطق إلا بالقاف المعقودة ولا بالقاف الخالصة الموصوفة في كتب النحويين والمنقولة على وصفها الخالص على ألسنة أهل

[1] : الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي ، شرح كتاب سيبويه، ،تحقيق أحمد حسن مهدلي،دار الكتب العلمية،ط1ج: 6، ص: 451.

[2] ابن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق موسى بناي العليلي،وزراة الاوقاف، العراق،1982، ج: 2، ص: 284.

[3] سورة التكوير الآية 11

[4] الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب ،بيروت،ط 3،1983: ج3، ص: 241.

الأداء من أهل القرآن»[1]، إن القاف المعقودة قد ظهرت في البوادي وهو ما ذكره أيضا ابن خلدون في مقدمته عندما خص تبدل صوت القاف إلى الصوت الذي يخرج بين الجيم والكاف أو ما يقال عنها كافا مجهورة والتي ربطها بخشونة أفراد البداوة، وذكر ابن سكيت عددا من الكلمات التي حصل فيها إبدال بين القاف والكاف: دقمه = دگمه أي دفع في صدره، وعربيّ قحّ = گحّ أي محض و خالص، قحط = گحط، وهذه لغة قريش تقول في قشطت = گشطت[2]، وقرأ بعض بني أسد "فلا تگهر" في "فلا تقهر"[3].

ونرى من خلال هذه النصوص أن لصوت القاف نطقين، أولهما يتمثل في القاف الخالصة الفصيحة والتي نقرأ بها اليوم في مؤسساتنا التعليمية وقراءتنا للقرآن الكريم، أما الثاني فهو النطق اللهجي وهو الجيم القاهرية أو الكاف المجهورة أو القاف المعقودة و هي التي تخرج بين مخرج الكاف والجيم أو كما سماها ابن الجزري الكاف الصماء، وفي دول عربية أخرى كفلسطين يقول ابن فارس اللغوي: «فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقول: (الگوم) ويريدون (القوم) فتكون القاف بين الكاف والقاف»[4]، ويقصد ابن فارس اللغوي بـ "فتغلّظ جدا" الكاف الفارسية والكاف الفارسية أو ما يعرف بالجيم القاهرية صوت مجهور فلا غرابة أن تتحول القاف التي في الأصل صوت مجهور إلى صوت مجهور يشبهها، ومن أمثلة في منطقة غرب الجزائر قولهم في قال = گال/ القمر = الگمر/ الرقبة= الگربة و في بعض مناطق مصر يقولون في الحق = الحگ/ و القوة= الگوة وغيرها من الكلمات.

3/ قلب القاف إلى همزة:

[1] أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، ط 1، 1998، مطبعة المدني، القاهرة، ج: 1، ص: 16.

[2] ينظر: غانم قدوري ، المدخل إلى علم الأصوات العربية، ، دار عمار عمان ،الأردن، ط1،2004،ص88

[3] ينظر: أبو الطيب ،الإبدال، ص: 113.

[4] أحمد بن فارس ،الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ص: 57.

ينتشر هذا القلب في مناطق عديدة في الدول العربية كـ: تلمسان في الجزائر فاس في المغرب والقاهرة في مصر وبعض قبائل اليمن و لبنان وبلاد الشام وكذلك نابلس والقدس في فلسطين فيقولون مثلا: القدس الأدس[1]، والقلب = الألب، الطبق = الطبأ، هذا النطق لصوت القاف لم يكتف على العامية بل شق طريقه إلى الفصحى، يقول أبو اعمرو بن العلاء: «الأفز الوثبة بالعجلة و القفز الوثب، و كذلك أشب و قشب بمعنى خلط»[2]، مما يعني أن تحول القاف إلى همزة ليس غريبا بل هو متأصل في لهجات قديمة ثم إن القاف صوت شديد فليس بين أصوات الحلق صوتا شديدا غير الهمزة.

يقول جان كانتينو: «وأما اللهجات التي صارت القاف فيها همزة تنطلق بغلق رأس قصية الرئة فلهجات مدينة في أكثرها وخاصة لهجات حلب واللاذقية وحماه وحمص ودمشق وطرابلس وبيروت وصيدا وصفد وحيفا ويافا وبيت المقدس وجبرون وغزة والاسكندرية والقاهرة والقسم اليهودي من مدينة الجزائر والقسم المسلم من تلمسان وفاس ولكن هذه اللهجات مدينية فقط»[3].

وتطور القاف راجع إلى تغير مخرجه، ويثبت ذلك بأحد الطريقتين «إما بانتقال المخرج إلى الوراء أو إلى الأمام باحثا الصوت عن أقرب الأصوات شبها له من الناحية الصوتية، فتعمق القاف في الحلق عند المصريين لا يصادف من أصوات الحلق ما يشبه القاف إلى الهمزة، لوجود صفة الشدة في كل منها، أما في الانتقال بمخرج القاف إلى الأمام فنجد أن أقرب المخارج لها هو مخرج جيم القاهرية والكاف فلا غرابة أن تتطور القاف إلى أحدهما».[4]

4/ القاف المبدلة إلى الغين و المبدلة عن الغين:

[1] أحمد عبد الرحمان، الخصائص الصوتية في لهجة الامارات العربية، دار المعرفة الجامعية، أبو ضبي، 1985، ص: 31.

[2] أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث في النظامين الصوتي والصرفي، القسم الأول، دار المعرفة للكتاب، تونس، 1968، ص: 136.

[3] جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، ص: 109.

[4] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 87.

ينتشر في مناطق السودان وجنوب العراق وفي بعض لهجات مصر صوتا آخر للقاف حيث يحولونه إلى غينا كقولهم في: يقدر = يغدر، فيماثلون صوت القاف بصوت الغين، ومن أمثلة هذا: «غلام أقلف و أغلف أي لم يختن، والقمز من الناس والغمز أي الرذال ومن لا خير فيه، وقلقل في الأرض وغلغل أي ذهب في الأرض»[1]، و يعود سبب هذا الإبدال إلى تقارب مخرج كلا الصوتين اضافة إلى الميل إلى ما هو أخف وألين في النطق، فالقاف يتصف بالشدة أما الغين فرخو.

وينتشر هذا الإبدال في دولة السودان وفي بوادي وأرياف تكريت العراقية وصعيد في مصر وبعض أرياف الجزائر، ويصف عابدين صوت القاف المحول إلى غين: «فهي القاف المشوبة بالغين، تخرج من أقصى الحنك رخوة مجهورة، ... يقولون في التبغ في التاغة، يريدون الطبق في الطاقة»[2]، نجدهم يقولون في قِطار = غَطار، قضية = غضية، قانون = غانون.

وجاء في معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات عن القاف: «يقلب الحرف إلى الغين فيقال: غبايل أي قبائل، ويقال غصايد أي قصائد و يقال غصر أي قصر»[3].

ويضيف هادي العلوي عن تبدل القاف إلى غين: «في بعض لهجات الخليج وجنوب العراق والسودان يبدل القاف غينا، يقولون: غاسم و غسط بدلا من قاسم وقسط... وقد وقفت على جامعة من جنوب العراق يبدلون القاف غينا فيقولون: غاسم في قاسم ويقولون قير في غير، ولا يستطيعون نطق القاف في قاسم ولا نطق الغين في غير»[4].

إن تبدل القاف إلى غين ليس بظاهر جديدة وليس وليدة امتزاج بين الشعوب لأننا إذا عدنا إلى أمهات المعاجم نجد ما يؤكد أن هذا التبدل أصل في لهجات العرب، يقول عابدين: «هنالك عدد من

[1] أبو الطيب، الإبدال، ج: 2، ص: 561.

[2] عبد المجيد عابدين، أصول اللهجات العربية في السودان دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1989، ص: 47.

[3] فالح حنظل، معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات، وزارة الاعلام و الثقافة، ط 3، 1988، ص 212.

[4] هادي العلوي، المعجم العربي الجديد، المقدمة، دار الحوار، اللاذقية، ط 1، 1983، ص: 34-35.

الألاف نجدها في معاجم الفصحى بالغين المجهورة والقاف المهموسة مثل: غثم = قثم والغمس والقمس»[1]، وإذا عدنا إلى معجم لسان العرب نجد ما يؤكد قول عابدين إذ ورد في لسان العرب: قمس في الماء يقمس قموسا وقمسه هو فاقتمس أي غمس فيه فانغمس... والقامس و القماس: الغواص[2]، فنجد كلمة غمس واردة في باب الغين مرة و في باب القاف مرة أخرى.

ما يمكن ذكره في هذه النقطة أن هناك كلمات بالغين تنطق قافا ونجد ذلك في لهجة العراق مثل غريب = قريب، غاز = قاز، غبشة = قبشة[3]، ونجد هذا التبدل أيضا في الجزائر في مناطق الجنوب الكبير و منطقة ورقلة أيضا في مناطق أولاد نايل الجلفة مثلا، ومنطقة السوقر وقصر الشلالة رشايقة حمادية عين الذهب توسنينة مهدية في تيارت، البيض وسعيدة والنعامة حيث يحولون الغين قافا فيقولون غدوة = قدوة، مغرف = مقرف، وهلم جرا.

خامسا: صفات صوت القاف

يتميز صوت القاف بعدة صفات سميت بصفات مميزة جعلته يختلف عن باقي أصوات العربية وهي:

1/ الجهر:

يقول ابن جني: المجهور: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه و منع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد و يجري الصوت»[4]، تعتمد هذه الصفة على إشباع الاعتماد على موضع الحرف ومنع النفس أن تجري معه، يحدث صوت القاف انفجارا قويا جراء الضغط على مجر الهواء و انقباض فتحة المزمار ولهذا فهو صوت مجهور، وكون القاف مجهورا فعند تبدله الى أصوات أخرى اختار أصواتا مجهورة

[1] عابدين، أصول اللهجات العربية في السودان، ص: 48.

[2] ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة غمس، و قمس.

[3] غانم قدوري ، المدخل إلى علم الأصوات العربية، ص: 97.

[4] ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج: 1، ص: 60.

مثلها يقول إبراهيم أنيس: «إن القاف في الأصل مجهورا، فحين تتطوّر تنتقل إلى صوت مجهور أيضا يشبهها صفة لهذا اختارت القاف في تطورها الأمامي الجيم القاهرية دون الكاف لأن كلا من القاف الأصلية و الجيم القاهرية صوت شديد مجهور »[1].

2/ الهمس:

وهي صفة من صفات الأصوات لا تتذبذب معها الوتران الصوتيان عند النطق بهم و يسمى الصوت مهموسا[2]، وقد كان علماء العربية وعلماء التجويد يعدون صوت القاف صوتا مجهورا، تابعين في ذلك سيبويه.

3/ الشدة:

عرف سيبويه الصوت الشديد بأنه: «الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو ومنها القاف»[3]، ويرى المحدثون من علماء الأصوات أن الأصوات الشديدة الانفجارية تتكون من اجتماع أمرين: الأول حبس النفس الخارج من الرئتين حبسا تاما في الموضع ما من آلة النطق، فينضغط الهواء خلف ذلك الموضع، والثاني إطلاق النفس المضغوط بانفصال العضوين انفصالا سريعا، فيندفع بذلك الهواء محدثا صوتا انفجاريا، ومن الأصوات الشديدة في النطق المعاصر: القاف.

-الصفات المحسنة:

وهي مجموعة الصفات التي لا ضد لها، ومعنى التحسين في هذه الصفات أنها تعطي الصوت جرسه الخاص به، من غير أن يكون لها سمة التفريق بين الأصوات، فهي محسّنة لأصوات التي تتصف بها فقط، ولا تكون سببا لتمييزها عن غيرها. ومن بين الصفات المحسّنة لصوت القاف ما يلي:

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 86.

[2] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 106.

[3] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 434.

4/ الاستعلاء:

وهو أن يستعلي ويرتفع أقصى اللسان عند النطق بالصوت إلى جهة الحنك الأعلى[1]، يرى المرعشي: «أن يستعلي أقصى اللسان عند النطق بالحروف إلى جهة الحنك الأعلى، والاستعلاء المعتبر في اصطلاحهم استعلاء أقصى اللسان سواء استعلى مع بقية اللسان أو لا»[2]، والاستعلاء يتحقق عند صعود أقصى اللسان باتجاه الحنك الأعلى وكون القاف مخرجه من أقصى اللسان والحنك الأعلى فهو حرف مستعلي، يقول غانم قدوري: «وعلى الرغم من استعمال مصطلح الاستفال مقابلا لمصطلح الاستعلاء، فإن صفة الاستعلاء تظل أدخل في الصفات المحسنة ولا سيما في الأصوات الثلاثة: الغين الخاء والقاف»[3].

5/ الانفتاح:

هو عكس الإطباق ويعرف بجريان النفس لعدم إطباق اللسان، يقول محمد مكي: «تجافي كل من الطائفتين أي طائفتي اللسان والحنك عن الآخر حتى يخرج الريح عند النطق بالحرف»[4]، ويقصد محمد مكي في تعريفه هذا بالانفتاح ما بين اللسان والحنك الأعلى ويخرج الهواء من بينهما لفسح المجال للهواء بالمرور، فتكون النقطة الأمامية من اللسان هي مخرج الصوت، ومخرج القاف من النقطة الأمامية من اللسان أو أعلى اللسان كما قال سيبويه.

[1] ينظر: غانم قدوري المدخل إلى علم الأصوات العربية، ص: 136.

[2] محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، دراسة وتحقيق، سالم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان، الأردن، ط 2، 2008، ص 145.

[3] غانم قدوري، المدخل إلى علم الأصوات، ص: 136.

[4] محمد مكي نصر الجريسي، نهاية القول في علم تجويد القرآن المجيد، تدقيق: أحمد علي حسن، ص: 73.

6/ التفخيم:

هو صفة من صفات الأصوات التي تنتج عن ارتفاع أقصى اللسان وتراجعه نحو الحلق، وهناك علاقة تلازم بين قدر التفخيم ،وصفتي الاطباق والاستعلاء[1].

7/ القلقلة:

قال سيبويه: «واعلم أن من الحروف حروفا مشربة ضغطت من مواضعها فإذا وقفت خرج معها من الفم صويت، ونبا اللسان عن موضعه وهي حروق القلقلة...» وتعني القلقلة التحريك والاضطراب يقول صاحب الرعاية: «وإنما سميت بذلك لظهور صوت يشبه النبرة عند الوقف عليهن وإرادة إتمام النطق بهن فذلك الصوت في الوقف عليهن أبين منه في الوصل بهن... وأصل هذه الصفة للقاف»[2]، والقلقلة تعني شدة الصوت والقاف صوت يتميز بالشدة أخذ من صفته لأنه أبين صوت لقربها من الحلق وقوتها في الاستعلاء[3]، والقلقلة ليست من الصفات التأسيسية بل من الصفات التطريزية.

هذه الصفات التي يتميز بها صوت القاف جعلت منه صوت قوي فهو يجمع بين الشدة والجهر والاستعلاء، يقول المرعشي: «اعلم أن الصفات القوية هي: الجهر والشدة والقلقلة والاستعلاء...»[4]، فهذا الصوت أقوى فهو يحمل دلالة القساوة وذلك عندما قارن ابن جني بين كلمتي القضم والخضم فالقضم للشيء الصلب والخضم للشيء اللين، ورصد حسن العباس هذا الصوت وتتبعه في المصادر العربية فوجده يحمل عدة دلالات جمعها في الشدة والقوة، اليبس والجفاف، القطع و الكسر يقول

[1] ينظر: غانم قدوري ،المدخل إلى علم الأصوات، ص: 136.

[2] مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، ص: 64.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص: 65.

[4] محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل، ص: 165.

محمد مبارك على أن القاف يدل على الاصطدام والانفصال والقطع كيفما كان موقعه في الكلمة نحو قتل، قبح، قبر، قبض، قبع... قدّ، قضى، فلق[1].

إن لصوت القاف وقعا على السمع ونبرا في النطق جعله صوتا قويا وصفه المتصوفة على أنه يدل على القدرة والتملك في الشيء والإحاطة به فنجده في أسماء الله الحسنى التي تدل على هذه المعاني كالقدير والقادر والمقتدر القوي والقاهر، يقول الحرالي: «القاف ملكة يقوه وإحاطة، كما هو في لفظ القوة والقهر... والقلب»[2]، وفي القرآن الكريم نجد للقاف حظا في الذكر فقد سميت به سورة "ق" هذه السورة التي تحمل معني القدرة والعظمة، وكل كلمة ورد فيها صوت القاف دلت على القوة والشدة والعظمة مثل كلمة (باسقات) التي تدل على شدة الطول والعلو والعظمة، كلمة تشقق التي تحمل معنى القوة والتي مرادفها "تقطع، تفرق" وتوجد كلمات كثيرة في القرآن الكريم التي تحمل دلالة الشدة والقوة كالواقعة القيامة، الحاقة، القارعة، هذه الكلمات تتحدث عن اليوم العظيم التي تتجلى فيه قدرة الله العظيمة، وعليه فالقاف صوت يدل على القوة الشدة الاستعلاء والعظمة، فهو صوت مجهور في هيئته ومستعل في اعتزازه و منفتح في أريحيته.

والشكل الموالي يوضح القاف وصفاته:

[1] ينظر: محمد المبارك، فقه وخصائص العربية، دار الفكر، ط 1، ص: 102.

[2] أبو الحسن الحرالي، تفهيم معاني الحروف، ضمن رسالتان في سر الحروف و معانيها المسماة مواد الكلم في ألسنة جميع الأم، تح: عبد الحميد صالح الحمدان، مكتبة الأزهرية للتراث، د ط، ص: 49.

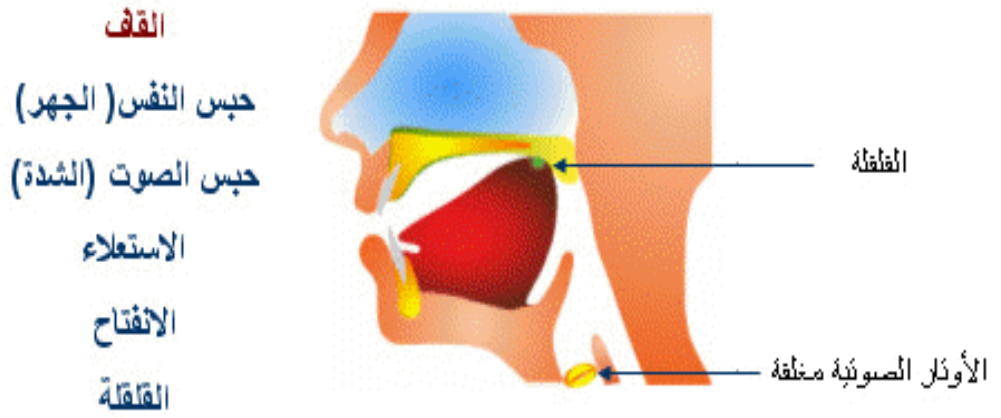

مخرج حرف القاف من الجنب مع توضيح الصفات

أقصى اللسان مع الحنك اللحمي

الكتابة الصوتية لصوت القاف:

يرمز لصوت القاف في العربية بالرمز "ق" و في اللاتينية –الصوتية الدولية– بالرمز"q" إلا أن المستشرقين أضافوا له رمزا آخر باللاتينية "k" تحته فاصلة صغيرة "[1].

للقاف ستة وجوه نطقية نذكرها فيما يلي:

1/ نطق القاف قافا فصيحة:

أي القاف الفصيحة ، يتميز هذا النطق بأنه الصوت الصحيح نطقا من بين سائر الوجوه النطقية المختلفة، بحيث هو النطق الصحيح و المعتمد والمستعمل في اللغة العربية الفصحى و كذلك في

[1] أنطوان الدحداح، معجم قواعد اللغة العربية في جداول و لوحات زائد مسرد بالمصطلحات عربي إنكليزي فرنسي، مراجعة: جورج متري عبد المسيح، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط 8، 1977، ص 02.

القراءات القرآنية و لذلك يطلق على هذا القاف "القاف الفصيحة" هو متواجد في لهجات العرب بكثرة.

2/ نطق القاف گافا أو جيما قاهرية:

ق=گ ينطق القاف گافا أو ما يطلق عليها الجيم القاهرية في أغلب الدارجات على مستوى العالم العربي، وهذا النطق فيه لحن من الناحية الصوتية لكنه يعد من أبرز وجوه نطق القاف في العاميات.[1]

3/ نطق القاف همزة:

ق=ء يتخذ القاف شكلا آخر هو الهمزة و يطلق على هذا النطق التهميز glottalization[2]، ينطق بهذا الشكل في العديد من الدول العربية.

4/ نطق القاف كافا:

ق= ك ، تنطق القاف كافا في عامية جيجل و الغزوات، كذلك تنطق كافا في بعض الكلمات في مناطق متفرقة من الدول العربة.

5/ نطق القاف غين:

ق=غ تنطق القاف غينا في الكثير من اللهجات العربية رغم الاختلاف الموجود بين الصوتين، يوجد هذا النطق في دولة السودان.

والجدول الموالي يبين صور نطق القاف وكتابتها الصوتية:

[1] ينظر: التوافق و الخلاف بين القاف و الكاف، عبد القادر عيساوي،مجلة الاداب و العلوم الانسانية جامعة سيدي بلعباس العدد 14،ص،5

[2] ينظر: الوجيز في اللغة العربية و علومها، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، ط 1، 2010، ص: 80

التسمية	الكتابة الصوتية للقاف بالعربية واللاتينية		المثال غير الفصيح والفصيح	الوصف، أماكن النطق
القاف الفصيح	ق= القاف	f: q –qa	قمر	هو صوت لهوي مهموس دو وقفة انفجارية. ينتشر في مناطق متعددة الدول العربية
القافات غير الفصيحة	گ:گاف	f: g– ga	گال= قال	صوت حنكي قصي مجهور ذو وقفة انفجارية . ينتشر في معظم عاميات الجزائر، المغرب، دول الخليج، ليبيا

	ء، الهمزة	hamza	ورأة= ورقة	صوت حنجري ذو وقفة انفجارية. ينتشر في الجزائر سوريا الأردن مصر
	ك، الكاف	Ka :f	كهوة= قهوة	صوت حنكي قصي مهموس ذو وقفة انفجارية. ينتشر في مناطق البحرين، الجزائر
	القاف المبدلة عن الغين	–	مغرف= مقرف	ينتشر هذا الإبدال في مناطق الجزائر
	القاف الناتجة عن إقلاب الغين		قادر= غادر	ينتشر هذا الإبدال الجزائر والسودان

الفصل الثالث:

دراسة صوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري

المبحث الأول: التغيرات الصوتية والعوامل المتحكمة فيها.

1/ اللغة نظام متغير:

اللغة كسائر الظواهر الاجتماعية خاضعة للتغير، فلا تتوقف عن التطور إلا إذا انقطعت عن الاستعمال فتغدو لغة ميتة[1]، ويرتبط تغيرها بتطور المجتمع الذي يتكلمها، ذلك أنها ظاهرة تتميز بكونها اجتماعية في ماهيتها[2]، وثيقة الصلة بالإنسان وبيئته، فهي كائن حي تحيا في أحضان المجتمع وتستمد كيانها منه، ومن عاداته وتقاليده وسلوك أفراده، كما تتطور بتطوره، وترقى برقيه، وتنحط بانحطاطه.[3]

يعود هذا التغير في اللغة إلى طبيعتها الاجتماعية، حيث إنها تحيا على ألسنة متكلميها، ومن ثم فهي تخضع لسنة التغير التي يخضع لها الكائن الحي سواء في نشأته أو في نموه.[4] وهذه التغيرات التي تطرأ عليها لا يمكن شرحها وتفسيرها إلا في إطار التحولات التي يعرفها المجتمع. وقد أكد ذلك لسانيون منهم، فَرْدِينَانْد دي سُوسِير (Ferdinand de saussure) الذي ركّز في مقالاته على العلاقة القائمة بن التغير اللغوي والتطور المجتمعي،[5] وأَنْطْوَان مَايِيه (Antoine meillet) الذي يَعْتبر أن اللغة انعكاس للثقافة المجتمعية، فتبدو اللغة من هذه الزاوية بالذات تمظهرا لثقافة المجتمع الذي يتكلمها.[6]

إن التطور اللغوي وثيق الصلة بتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجغرافية، ذلك أن كل تطور يصيب ميدانا من هذه الميادين يتردد صداه في اللغة وينعكس على استعمالاتها.

---

[1] ينظر: نور الهدى لوشن مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة، الإسكندرية، د ط، 2002، ص: 194.

[2] ينظر: عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت، ص: 51.

[3] ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 5.

[4] ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1425هـ-2004، ص: 174.

[5] ينظر: فرديناند دي سوسير، ص: 96-97.

[6] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية: المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط: 2، 1304هـ-1983م، ص: 113.

ليست اللغة هامدة أو ساكنة، فهي كبقية الظواهر الاجتماعية تخضع لسنة التطور مهما حرصنا على خصائصها، فهي في اندفاع مستمر لا قدرة لأحد على إيقافه أو مخالفته أو الخروج عن مقتضى التوافق معه، و «مِنْ هذا يظهر أنه ليس في قدرة الأفراد والجماعات أن يوقفوا تطور لغة ما، أو يجعلوها تجمد على وضع خاص أو يُحولوا دون تطورها على الطريقة الّتي ترسمها قوانين علم اللّغة، فمهما أجادوا في وضع معجماتها وتحديد ألفاظها ومدلولاتها وضبط قواعدها وأصواتها وكتابتها، ومهما أجهدوا أنفسهم في إتقان تعليمها للأطفال قراءة، وكتابة ونطقا، وفي وضع طريقة ثابتة سليمة يسير عليها المعلمون بهذا الصدد، ومهما بذلوا من قوة في محاربة ما يطرأ عليها من لحن وخطأ وتحريف، فإنها لا تلبث أن تحطم الأغلال، وتفلت من هذه القيود وتسير في السبيل الذي تريدها على السير فيها سنن التطور والارتقاء التي ترسمها قوانين علم اللغة».[1]

لا تبقى عناصر اللغة من أصوات وتراكيب وألفاظ ومعان ثابتة على حالاتها الأولى فهي معرضة للتغير، فاللّغة من شأنها الحركة، ولا يمكن بحال من الأحوال أن تثبت في مكانها بلا حراك ذلك أن اتجاهها الطبيعي وبخاصة في صورتها المنطوقة وهو اتجاه يبعدها عن المركز. فاللغة تميل إلى التغيير سواء عبر الزمان أو المكان إلى الحد الذي لا توقف تياره العوامل الجاذبة نحو المركز. هذه الخاصية العالمية للغة هامة لعالم اللغة التاريخي حيث أنها تشكل الأساس في كل تغير لغوي.[2]

تختلف نسبة التغير من فترة زمنية لأخرى، فقد يكون هذا التغير المستمر في اللغة بطيئا، كما قد يكون في فترات زمنية سريعًا، كما قد يكون شاملا لساحات واسعة اللغة أو مقصورا على نواح دون الأخرى، كما أنه قد يكون بطيئا لا يحصل إلا في الآماد الطويلة أو سريعا تبدو نتائجه في زمن قصير لا يعدو العشرات من السنين. فاللغة العربية لم تتغير مثلا أصواتها (حروفها) منذ مدة تزيد على خمسة عشر

[1] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطبع والنشر، ط 6، 1387هـ-1967م، ص: 18.

[2] ينظر: ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 3، 1408هـ-1987م، ص: 71.

قرنا، وكذلك صيغها وأصول موادها، على حين أننا نرى اللغة الفرنسية مثلا قد تبدل منذ خمسة قرون الكثير من عناصرها كالأصوات وتصاريف الأفعال وبعض التراكيب ومعاني أكثر ألفاظها.[1]

وما دامت اللغة أصواتا يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[2]، والأغراض لا تنتهي والمعاني لا تنفذ والحضارة تهدي الناس كل يوم بمخترع جديد والعلوم تطالبهم بمصطلحات جديدة، فإن اللغة لا يمكنها أن تثبت ثبوت الدين ولا أن تستقل استقلال الحي، فكل نبأة وهمسة في حياة الجماعة التي تتكلم لغة تترك أثرها فيها، وتغير حالها وتترك أثرا في تطورها[3]. كما أن الصور المتعددة للظاهرة اللغوية ليست جميعها وليدة فترة زمنية واحدة، بل إن إحداها فقط وهي التي تمثل مرحلة البداية، أما بقية صور الظاهرة فقد جاءت بسبب التغير الذي يصيب الظواهر اللغوية على فترات حياتها.[4]

نستطيع أن نقرر أن التغير المستمر في اللغة لا يوصف بأنه اتجاه نحو الأحسن، وأنه تطور إلى الارتفاع أو الصحة، بمعنى ليست عربية القرن الأول الهجري أصح منها في القرن الحالي، ولا ينسب إلى لهجات العصر الجاهلي من التفضيل والتمييز ما تحرم منه اللهجات التي تنطق الآن في البلاد العربية، والعكس أيضا غير صحيح فكل اللغات عرضة للتغير، وهي حقيقة ثابتة، وعلى عالم اللغة أن يبني نظرية تفسيرية للتغير اللغوي تسهم في فهمنا لطبيعة اللغة.[5] يقول إبراهيم السمَرَّائي: «وهكذا يكون سَيْر التطور سلبا كما يكون إيجابا، فربما لا تتطور اللغة نحو مستوى متقدم رفيع، بل تنزل إلى دَرَك من التغير والتبدل، تبعا للمستوى الحضاري والثقافي الذي عليه الأمة، ومن أجل ذلك نستطيع أن نقرر ما يُسَمَّى في كتب اللغة والنحو "لغة" من الاستعمالات غير المألوفة، أو غير الصحيحة، تلك الاستعمالات التي نسبت إلى هُذيل، أو عقيل، أو طيء، أو غير هؤلاء، لم يكن إلّا من قبيل هذا التطور في اللغة، ثم

[1] محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية –دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، ط 5، 1392هـ-1072م، ص: 32.

[2] ينظر: ابن جني، الخصائص، ج: 1، ص: 33

[3] ينظر: توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1400هـ-1980م، ص: 177.

[4] ينظر: حسام البهنساوي، علم الأصوات، ص: 177.

[5] ينظر: عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1987م، ص: 87.

نسبت اعتباطا لفئة معينة من الناس، وما من اللغات العامية الحديثة، أو ما نسميه باللهجات العربية الحديثة إلا نتيجة لهذا التطور في العربية الفصيحة».[1]

كما يجب أن نقرّر أن التغير اللغوي مفهوم حيادي لا يحمل شحنة معيارية ولا يمثل موقفا من الظاهرة اللغوية لها أو عليها، وإنما معناه أن اللغة تطرأ عليها تغييرات نسبية في الأصوات والتراكيب والدلالة، فهي كسائر مجالات الحياة لا يتجه تطورها دّوْمًا نحو التهذيب والكمال، ولا يكون دائما بمعنى التقدم والارتقاء، فقد يكون ترديا وانتكاسا، وإن موازنة بين حالة الكلمات في اللغة العربية الفصحى وما آلت إليه في اللغات العامية لَأكبر دليل على ما نقول، وما حدث في اللغة العربية بهذا الصدد جرى مثله في كثير من اللغات، فالتطور اللغوي لم يتجه نحو التهذيب، ولم يحقق زيادة، بل أدى في معظم مظاهره إلى اللبس وجرد مما بها من دقة، وسمو وأنزلها منزلة وضيعة في التعبير.[2]

تتغير اللغة بصورة دائمة، فأصواتها وتراكيبها، وعناصرها النحوية وصيغ كَلمَاتها على سواء في سرعة قبول هذا التغير، واللغة في تطورها الصوتي أسرع وأثر تنوعا من تطورها في جوانب الصيغ والنحو والمفردات والأساليب، كما أن النطق في أي لغة من اللغات لا يبقى دائما في حالة واحدة، فعلى مر الزمان تعتريه تغيرات.[3] ومَرَدّ ذلك إلى أن الجانب المنطوق في اللغة يمتلك القدرة على ممارسة حرية الحركة الانسيابية، ويتغير أكثر مما يتغير الشكل المكتوب، وأن دراسة هذا التطور تفتح آفاقا جديدة في مجال فهم اللغة الإنسانية بصورة عامة.[4]

وحين يحاول الباحث تعليل ذلك يخلص إلى أن اللغة بطبيعة أصواتها المنطوقة تخضع لكثير من النمو، والاتساع الذي يكون في حدود ضيقة في الصيغ والتراكيب والمفردات، كما أن الصوت يمتلك

[1] إبراهيم السمرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1983م، ص: 29.

[2] ينظر: علي عبد الواحد الوافي، علم اللغة، ص: 263.

[3] ينظر: برتيل مالمبرج، الصوتيات، ترجمة: محمد هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1994م، ص: 197.

[4] ينظر: ميشال زكريا، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام، ص: 154.

ظلالا وتَلَوُنَات تجد في مسرح النطق حرية أوسع لممارسة أنشطتها،[1] وهو ما يؤكده أحمد مختار عمر الذي يقول: «إن الجانب المنطوق في اللغة يمارس حرية أكثر من الجانب المكتوب بالإضافة إلى أن اللغة تصادف في تركيباتها وتجمعاتها الصوتية ظروفا سياقية لا تظهر في الكلام المكتوب، ولهذا ينفصل الصوت عن صورته ويتطور دونه».[2]

2/ خصائص التغير الصوتي:

أشرنا فيما سبق أن اللغة ليست جامدة، فهي كبقية الظواهر الاجتماعية تخضع لسُنّة التغير، وأن المستوى الصوتي أكثر عرضة للتبدل، ذلك أن الجانب المنطوق في أي لغة يمارس حرية أكثر مما تمارسه باقي المستويات الأخرى.

بناء على ذلك يتسم التغير الصوتي بمجموعة من الخصائص أهمها:

أ/ أنه مقيد بزمان ومكان معينين: يرتبط التغير الصوتي بمكان وزمان معينين: ف «معظم ظواهر التطور الصوتي يقتصر أثرها على بيئة معينة، وعصر خاص، ولا نكاد نعثر على تطور صوتي لحق جميع اللغات الإنسانية في صورة واحدة، فتحول صوت القاف مثلا إلى همزة (قُلْت: أُلْت) لم يظهر إلا في بعض المناطق الناطقة باللغة العربية، ومنذ عهد غير بعيد، وتحول صوت "a" في بعض الكلمات اللاتينية إلى صوت "e" لم يظهر إلّا عند الفرنسيين ولم يبدأ أثره لديهم إلّا في أثناء المدة المحصورة بين نهاية القرن الثامن وأوائل الرابع عشر».[3] لقد كان تبادل عكسي بين العربية والآرامية بالنسبة للسين والشين، ف "السَارِيَة" في العربية معربة من الآرامية"sarita" وكلمة "السَاع" العربية، وتعني الكلس معربة هي الأخرى من الآرامية "syaa" وكلمة "دمشق" معربة هي الأخرى من الآرامية "Dammesek"[4]، وقد حدّد

[1] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 261.

[2] أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، ص: 317.

[3] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص: 262.

[4] ينظر: : رمضان عبد التواب ، التطور النحوي للغة العربية، محاضرات برجشتراسر ص: 25.

برجشتراسر Berajstrarser ذلك التطور ببداية القرن الخامس قبل الميلاد، وهو الوقت الذي جاور فيه العرب الآراميين.[1]

ب/ يتسم التغير الصوتي بأنه بطيء في سيره وتدرجه، لا يحدث بين يوم وليلة، ولا يحصل إلّا في الآماد الطويلة، وتظهر آثاره بعد أجيال، والتطور المعَيّن الأصوات لا يشمل كل الصيغ اللغوية، فقد يحدث في صيغة، ولا يحدث في أخرى[2]، فَتَغَيُّر الأصوات لا يحدث فجأة، وإنما يظهر أثره بعد أجيال.[3] يقول علي عبد الواحد وافي: «فلغتنا لا تكاد تختلف في أصواتها عن لغَة آبائنا المباشرين ولكنها تختلف اختلافا بينا في هذه الناحية عَمّا كانت عليه في ألسنة أجدادنا في العصور الوسطى أو صدر العصور الحديثة».[4] هذا الاختلاف لا يَتَبَيَّنه إلّا الراسخون في ملاحظة هذه الشؤون، ويظهر بصورة جلية إلّا إذا وازنَّا حالتيها في جيلين تفصلهما مئات السنين.[5]

ج/ التغير الصوتي تغير تلقائي: يحدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للإرادة الإنسانية يقول فندريس vendrys: «فالطفل يعتقد أنه يقوم بنفس الحركات الصوتية التي يقوم بها أبواه مع أنه يخالفهما، فعدم شعورية التغير هو الذي يفسر لنا استمراره، لأن الطفل قد يسعى إلى تصحيح خطئه لَوْ أنه شعر به».[6] فتحول صوت الثاء في بعض اللهجات العربية العامة إلى تاء، وصوت الذال إلى دال، الظاء إلى ضاد، وانقراض الأصوات التي كانت تلحق في أواخر الكلمات للدلالة على إعرابها، ووظائفها في الجمل كل ذلك حدث من تلقاء نفسه لا دخل فيه للتواضع أو إرادة المتكلمين.[7]

---

[1] علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص: 262.

[2] ينظر: صلاح الدين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات –دراسة مقارنة، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط 1، 1981م، ص: 71.

[3] ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص: 262.

[4] علي عبد الواحد وافي ،علم اللغة، ص: 261.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص: 261.

[6] ينظر: فندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجان البيان العربي، 1950م، ص: 65.

[7] ينظر: علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، ص: 262.

د/ يتسم التغير الصوتي بأنه مطَرَّد، فما يصيب الصوت من تغير في بيئة معينة، يَسْري عليه في جميع أحواله، ويظهر أثره في جميع الكلمات المشتملة على هذا الصوت، وعند جميع الأفراد التي تكتنفهم تلك البيئة: ف «إذا لا حظنا مَثَلا أن القاف الفصحى قد اختفت من لهجة القاهرة وحلَّت محلها الهمزة، فهذا قانون صوتي مطَرَّد لا يعرف الشذوذ أو الاستثناء»[1]، وذلك أنه لما كما كان التغير لا ينحصر في كلمة منعزلة، بل في آلية النطق نفسها، فإن جميع الكلمات التي تتبع آلية واحدة في النطق تتغير بالصورة نفسها.[2]

هـ/ من خصائص التغير الصوتي أنه تعبير اجتماعي، وليس تعبيرا فرديا كما كان يسود الاعتقاد لفترة طويلة من الوقت يقول فندريس vendrys: «سَادَ شطرا طويلا من الزمن، الاعتقاد بأن كل تغير صوتي، إنما يصدر عن الفرد، وأنه لم يكن إلّا تغييرا فرديا ثم عُمّم، وهذا إدراك غير صحيح فليس في وسع أي فرد أن يفرض على جيرانه نطقا تَنبو عنه فطرتهم، وليس هناك من قسر جدير بتعميم تغير صوتي، فلأجل أن يصير تغير ما قاعدة لمجموعة اجتماعية، يجب أن يكون لدى كل أفراد هذه المجموعة ميل طبيعي من تلقاء أنفسهم، بل إن سلطان المحاكاة نفسه لا يقدر هنا على شيء، فإن النطق الشاذ لا يجلب إتباعا لصاحبه بل لا يجلب له بوجه عام إلا السخرية منه».[3]

3/ التأثير والتأثر بين الأصوات:

لا تحتفظ الأصوات في الكلام المتصل بخصائصها التي تعرف بها حين تكون أصواتا مستقلة، بل تكتسب خصائص جديدة، وذلك كأن تتصف الباء بالشفوية والجهر والشدّة، فإذا حدث أن فقدت إحدى هذه الصفات كان هذا استجابة لمقتضيات السياق. يقول محمود السعران: «إن للأصوات فيما بينها نحوا خاصا، إن علاقاتها تحكمها قواعد وأصول معينة، فنجد أن هذا الصوت ينقلب صوتا جديدا

[1] محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية –مدخل تاريخي في ضوء التراث واللغات السامية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 65.

[2] فندريس، اللغة، ص: 69.

[3] المرجع نفسه، ص: 69.

إذا وقع في سياق صوتي معين، ونجد أن صوتا ثالثا يحذف إذا توافر فيه وفيما يجاوره شروط معينة»[1]، ففي كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطا وثيقا، مُكونة بذلك نظاما متجانسا تنسجم عناصر هياكلها فيما بينها.[2]

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل بالكلام، فمن الأصوات ما يقع عليه التأثير بشكل سريع، مما يؤدي إلى الاندماج في غيره، والبعض الآخر لا يمتلك خاصية الاستجابة الفورية لهذا التطور. يقول عبد الصبور شاهين: «ومن البين أن التأثر قد يكون جزئيا، بمعنى أن يفقد الصوت صفة من صفاته كالجهر والهمس، ويتحقق الصوت حينئذ ببعض صفاته الأخرى، وقد يكون كليا بمعنى أن يفقد الصوت وجوده كلّه ويصبح صوتا آخر».[3]

ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السر فيما قد يصيبها من تأثر فـ «تتغير مخارج بعض الأصوات، أو صفاتها لكي تتفق في المخرج أو الصفة مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام، فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصفات ذلك أنّ أصوات اللغة تختلف فيما بينها كما نعرف في المخارج وفي الشدّة والرخاوة والجهر والهمس والتفخيم والترقيق وما إلى ذلك، فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد أو مخرجين متقاربين وكان أحدهما مجهورا والآخر مهموسا مثلا حدث بينهما شد وجذب، كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته ويجعله يتماثل معه في صفاته كلّها أو في بعضها»[4]، ومن هنا تنشأ عملية التأثير والتأثّر بين الأصوات، وهي ظاهرة شائعة في كل لغات العالم.

[1] محمود السعران ، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، ص: 200.

[2] ينظر: فندريس، اللغة، ص: 62.

[3] أبو عمرو بن العلاء، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1408هـ-1987م، ص: 232.

[4] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي: مظاهره وعلله وقوانينه، ص: 22.

والأصوات في تأثرها تهدف غلى تحقيق نوع من التشابه، أو التماثل بغية التقارب في الصفة والمخرج، وخلق نوع من التوافق بينهما، و«يمكن أن نسمي هذه الدرجة من التأثر بإمكانية التكيف والانسجام الصوتي اللغوي»[1]، والانسجام الصوتي من الظواهر البارزة في اللغات، فإذا ما اشتملت كلمة على بعض الأصوات المتباينة نراها تتغير وفي أثناء هذا التغير تحاول تقريب تلك الأصوات فيما بينها، ومن هنا تقع عملية التأثير والتأثر بين الأصوات اللغوية، والتي هي مصدر التغيرات الصوتية.

نعني بمصطلح التغيرات الصوتية تلك الاختلافات والفروق التي يدركها السامع في أثناء سماعه للصوت الواحد في عدة مواقع من الكلمة، أو منطوقا من قبل عدّة أشخاص[2]، فالعربية في مستواها الفصيح لأصواتها سمات خاصة من حيث المخرج والوظيفة، هذه الأصوات قد يعتريها إبدال في العامية،[3] وقد قسّم علماء الأصوات هذه التغيرات إلى قسمين أساسيين: مطلقة ومقيدة.

فالتغيرات المطلقة تشمل التَبَدُلات التي تحصل عن طريق التحول في النظام الصوتي من جراء تعاقب الأجيال في تعاملهم مع اللغة، أو كما عرّفها رمضان عبد التواب: «تلك التغييرات التي تحدث مع التحوّل في النظام الصوتي للغة بحيث يصير الصوت اللغوي في جميع سياقاته صوتا آخر».[4]

إن التغييرات التاريخية غير مشروطة، تحدث مع تطور الكلام بغض النظر عن السياق الصوتي،[5] بمعنى أنها إذا أصابت صوتا ما فإنها لا تصيبه في تركيب دون آخر، بل تصيبه في كل تركيب من تراكيب اللغة، من ذلك أن الأصوات اللثوية (ث، ذ، ظ) أبدلت في كثير من اللهجات العربية العامة بالتاء والدال والضاد أو الزاي المفخمة، فهذه الأصوات لم تبدل في تركيب وبقيت في آخر بل اختفت كليا من

[1] عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، ص: 83.

[2] ينظر: عبد المالك آمنة ، مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي (دراسة وتقويم)، أطروحة دكتوراه دولة، تخصّص: فقه اللغة، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1987م، ص: 413.

[3] رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2001، ص: 67.

[4] التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 17.

[5] ينظر: محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1987م، ص: 48.

جميع تراكيب اللهجات العربية[1]، إضافة إلى القاف هذا الصوت الذي شهد عدة تغيرات في اللهجات العربية ومن بين هذه اللهجات: لهجة الغرب الجزائري، ويرجع ذلك لطبيعة الإنسان الميالة إلى توخي السهولة والتيسير في النطق جعل تكرار حدوث هذه التغيرات الصوتية يترك أثرا واضحا أسهم في خضوعها إلى قوانين صوتية تحكم بينها، فبرزت في ظواهر صوتية عديد منها ظاهرة الابدال الصوتي.

المبحث الثاني: ظاهرة الإبدال لصوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري:

1/ مفهوم الإبدال الصوتي:

الإبدال ضرب من التطور الصوتي الذي خضعت له اللغة العربية واستمر استمرارا طبيعيا في الجاهلية بتأثير أسواق العرب، وفي الإسلام بفضل القرآن الكريم الذي حفظ لغتنا العربية و حدد لهجاتنا... وعن هذا التطور نشأت ألفاظ متشابهة في المبنى وفي المعنى.[2]

وتعد ظاهرة الإبدال من الظواهر البارزة تناولها العلماء بالدرس والتعليل واعتنوا بها اعتناء كبيرا، فكان الإجماع على تعريف الإبدال أنه إقامة حرف مكان حرف آخر، يقول الجرجاني: «هو أن يجعل حرف موضع حرف آخر لدفع الثقل».[3]

ويبدل القاف في لهجة الغرب الجزائري بعدة أصوات، تكون هذه الأصوات إما قريبة منه مخرجا أو تتشارك معه في صفة من الصفات، ويرجع هذا الإبدال إلى التأثر بنطق الجماعات البشرية التي استقرت بهذه الرقعة الجغرافية و منها ما كان نتيجة الغزو الأوربي.

[1] ينظر: محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط 3، 1389هـ-1969م، ص: 276، وكذلك: فقه اللغة وخصائص العربية، محمد مبارك، ص: 54.

[2] ينظر: كمال ربحي، الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، 1980، ص: 99.

[3] إبراهيم الأبياري، التعريفات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1405، ص: 80.

لصوت القاف نطقين: فصيح ولهجي، فالفصيح هو ما عهدناه في نطق أهل التجويد و القراءات وهو من اللهاة صوت مهموس مستعل يتم إطلاقه بإلصاق عكدة اللسان باللهاة التصاقا محكما لحظة من الزمن ثم ينفك العضوان ليخرج الصوت شديد مدويا مشكلا القاف، أما النطق اللهجي فهو ما عرفه من تحولات في مساره التاريخي والتي جعلته يبدل صفته من الهمس إلى الجهر كما وصفه النحاة واللغويون وفي هذه النقطة بدأ الخلاف بين همسه وجهره.

2/ التغيرات الصّوتيّة لصوت القاف في منطوق تلمسان:

اللغة ظاهرة اجتماعيّة فكريّة صوتيّة، تكوّنت مع تكوّن مجتمعها النّاطق بها، نشأت بنشأته وسايرته في رقيّه وانحطاطه، وقد حظيت باهتمام الباحث اللّغوي الّتي راح يدرسها دراسة معمّقة في مختلف مستوياتها اللّغوية واللّسانيّة.

ومن ثمّة فإنّ اللّغة أصوات ملفوظة، وكلّ ملفوظ صوتي إنساني هو كلام حامل للمعاني والأفكار الدالّة المنقولة من المرسل إلى المستقبل، حيث أنّ الكلام يتبلور ذهنيًّا ثمّ صوتيًّا حين يلتقي الصّائت بالصّامت في تكوين الوحدة الصّوتيّة القاعديّة، المسمّاة مقطعًا لغويًّا ليُشكّل من ذلك المباني الإفراديّة، واللغة تمضي بنطقين: فصيح ورثه القراء المعاصرون —ممن يحسنون القراءة— ونطق شاع في اللّهجات العربية قديمًا وحديثًا وهذا تحكمه ظروف جغرافية واجتماعية بالإضافة إلى قرب أو بعد الجماعة اللغوية عن غيرها من الأمم الأخرى، فالاختلاط مجلبة للتأثر والتأثير.

التنوع اللغوي الذي عرفته الجزائر جراء توالي الحضارات كان له دور فعال في ظهور لهجة فيها خليط مما أدى إلى تشكل ظواهر صوتية مختلفة في ولاية تلمسان وضواحيها، وولاية تلمسان كغيرها من ولايات الوطن عرفت في منطوقها نموذجين من الاستخدام الصّوتي، فصيح مجاله قراءات القرآن، وضابطه مجيدو التلاوة المتقنون الثقاة، أمّا النّطق الآخر فميدانه اللّهجات، وقد تنوّعت أصواته تبعًا لظروف النّاطقين البيئيّة من بداوة وتحضّر، وتأثر وتأثير بمن جاورهم، بالإضافة إلى الطبيعة الجغرافية وما يميزها من صعوبة أو سهولة في مسالكها وما تعرّضت له من هجرات أو نزوح منها أو إليها، وما عرفته

من اختلاط سببه الحروب، أو التواصل الاقتصادي، ومن تجارة أو غيرها مع جهات أخرى من داخل الوطن أو من خارجه، وما إلى ذلك من الأسباب الّتي لها تأثير في التنوع الصّوتي.

وقد توزّع الناطقون في ولاية تلمسان على مناطق مختلفة، فمنهم من استقر في المناطق الساحليّة بقسميها الشمالي والشمال الغربي، ومنهم من اختار المناطق الدّاخليّة، وهناك من آثر الجهات الجنوبيّة، وقد أدّت الظّروف الّتي أحاطت بكل منطقة من المناطق المشكّلة لولاية تلمسان إلى ظهور أصوات لهجيّة ميّزت الناطقين بها على اختلاف جهات تمركزهم، وتتميّز اللّهجة التلمسانيّة بخاصيّة تشترك فيها مع مدن في المغرب الأقصى وأخرى في المشرق العربي ونخصّ بالذّكر "القاهرة" وقبائل "اليمن"، وكذلك قبائل من "لبنان" وبلاد الشام وكذلك في "نابلس" و"فلسطين" فينطقون "القدس" مثلا: "الأدس"، وقد مرت هذه اللّهجة بعوامل لغويّة كثيرة، بعضها نشأ عن طريق الوراثة والبعض الآخر عن الطبيعة والبيئة والجوار[1].

ويرجح الباحث التيجيني بن عيسى أن سبب انتشار هذه الظّاهرة الصّوتية هو نتيجة مترتبة جرّاء نزوح الأندلسيين إلى شمال المغرب العربي، وذلك راجع لوجود هذه الظّاهرة كذلك في المغرب الأقصى في مدينتي "تطوان" و"فاس"، ويذكر أنّها شاعت بوضوح بعد رجوع أهل تلمسان الّذين هاجروا إلى الشام ومصر، كما ذكر الباحثون في مناسبات كثيرة أنّ تلمسان وفاس تتشابهان في أمور عديدة مثل العادات والتقاليد وفي نطق القاف همزة، لكن همزة الفاسيين غارية تنطق من الداخل أمّا همزة التلمسانيين فليّنة قريبة جدًّا من همزة تطوان، والتشابه في النّطق موجود بين همزتي تلمسان وتطوان.[2]

يذكر إبراهيم أنيس أنّ أهل المدن المتحضرة بمليون عمومًا إلى الرخاوة الأصوات الشّديدة، حيث أنّ فيها من التؤدة واللّيونة ما ينطبق مع بيئتهم وطبيعتهم، وفي الصحراء الخالية من كلّ مظاهرة المدنيّة، قد يضيع الصّوت في الأجواء الواسعة، حيث يتحدّث الأفراد فلا يوجد جدران تعوق موجات الأصوات، بل

[1] هشام خالدي، القاف والكاف في عاميّة تلمسان، رسالة ماجستير، تخصّص: علم اللهجات، 2000-2001، ص: 120-121.

[2] التيجني بن عيسى، الأصوات اللغويّة في لهجة تلمسان، مؤسسة بختي للإعلام الآلي تلمسان، ط 1، 1994م، ص: 106.

تنساب الأصوات في محيط الفضاء، أمّا الأصوات المجهورة فأوضح في السمع، تتلقاها الأذن في مسافات قد تختفي فيها الأصوات المهموسة.

"لهذا كان من المعقول بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدّنة التي تتحدّث بين جدران المنازل، والّتي لا ترى داعيًا لوضوح الصّوت بنسبة أكبر ممّا يتطلّبه السامع القريب، تميل عادةً على همس الأصوات"، وقد دعت الحضارة منذ القدم، كما دعت آداب الإسلام إلى خفض الصّوت، وهذا ما أدّى إلى شيوع الأصوات المهموسة في البيئة العربيّة المتحضّرة[1].

وفيما يلي وصف لهذه الأصوات اللهجية منسوبة إلى الرقعة الجغرافية التي سُمعت فيها.

1/ القاف جيما:

تبدل القاف جيما غير معطشة في بعض مناطق تلمسان في دائرة سواحلية، وهذا القلب نادر الوجود وغير منتشر.

وفي الدراسة الصوتية لصوت الجيم نجده «صوت شديد مجهور يتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجره في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج، وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء محكما بحيث ينحبس هناك مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا، سمع صوت يكاد يكون انفجاريا هو الجيم»[2]، وفي المقارنة بين هذين الصوتين نجد أن مخارجهما تتعدد فيتقدم كل منهما عن مخرجه و يتأخر وقد يلتقيان في مخرج واحد، فالقاف تتأخر عن مخرجها حتى تصل إلى الهمزة و تتقدم عن مخرجها حتى تصل إلى الدال أو المنطقة اللثوية، والجيم يتقدم مخرجها حتى تكاد تصل منطقة اللثة ويتأثر مخرجها حتى تصل إلى منطقة الطبق اللين وفي أثناء تحركهما إلى الأمام أو الخلف يلتقيان في مخرج واحد وهو الطبق اللين ويكون هذا الحرف "للقاف" عند قوم من

[1] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص: 106-107.

[2] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 70.

العرب و"جيما" عند آخرين[1]، وأشار ابن فارس إلى أن العرب يبدلون القاف جيما حيث قال: «وأمّا الجرّية، وهي الحوصلة فالأصل الذي يعول عليه فيها أن الجيم مبدلة من قاف كأن أصلها قرية لأنها تقري الشيء أي تجمعه ثم أبدلوا القاف جيما كما يفعلون ذلك فيهما»[2]، وقدم أبو الطيب مثالا على إبدال القاف جيما: «ويقال انباجت عليهم بائجة، وانباقت عليهم بائقة وهي البوائج و البوائق أي الشدائد والدواهي»[3]، وأشار رابين rabin إلى أن القاف بقيت في لهجة الأزد جيما نحو قولهم: جليلات في قليلات[4].

ويرى إبراهيم أنيس أن تحول القاف المهموسة إلى جيم خالية من التعطيش في بعض اللهجات المهموسة تحتاج إلى قدر أكبر من هواء الرئتين لذا في أشق في النطق من المجهور[5]، وينتشر هذا النطق في بعض بلدان الخليج العربي كالبحرين، إذ يقولون الجبْلة بدلا من القبْلة[6] ،كما ينتشر هذا النطق بين البدو في جنوب الأردن فيقولون في اقْعُد: اجْعُد، ويوم القِيَامة: يوم الجِيَامة، وفي أشعارهم يقولون:

ولك يا غراب حَيِّد عَن طيريجِي ... وأريد أشرب مَيَّه بالبَرِيجِي.

أي: طريقي والإبريق[7].

والجدول التالي لبعض نماذج هذا الإبدال

[1] ينظر: سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي إبدال الحروف في اللهجات العربية،ص:48

[2] ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة جرى.

[3] أبو الطيب، الإبدال، ج: 1، ص: 241.

[4] ينظر: رابين تشيم، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية،ترجمة ،عبد الكريم مجاهد ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان ط1، 2002،ص 128

[5] ينظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية ،مطبعة لجنة البيان العربي، ط2، 1956ص: 28

[6] ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

[7] ينظر: مقال لأبي الرب توفيق بعنوان: أصالة لغوية في اللهجات الأردنية مجلة العربي، مجلة ثقافية تصدر عن دولة الكويت، العدد 87، ، ص: 159.

الكلمة في الأصل	الكلمة بعد الإبدال
القربة	الجربة
القرية	الجرية
قلم	جلم

2/ القاف حرفا مزدوجا دز:

ينتشر في بعض مناطق سواحلية في ولاية تلمسان إبدال القاف حرفا ازدواجيا متكونا من الدال والجيم ويعد هذا القلب سماعيا في بعض الكلمات المتداولة في هذه المنطقة خاصة في المناطق البدوية.

وفي هذا الشأن نجد جان كانتينو قد تطرق إلى هذا الصوت وأعده في القسم الثالث من اللهجات العربية وهي لهجات البدو الرحل بشمال الجزيرة العربية، يقول: «تطرأ عليه تغيرات مقيدة إذا كان بجوار الحركات الأمامية أي الكسرة والفتحة الممالة إمالة شديد و خفيفة فيبدل بزيادة زائدة رخوة أي أنه يصير "دج" وذلك عند صغار البدو الرحل بسوريا وما بين النهرين ويبدل "دز" عند كبار القبائل العربية كبني عنز و شمر، ويشعر الناطقون بهذين الحرفين الشديدين ذو الزائدتين الرخوتين بأنها مجرد عوضين تعامليين من القاف».

ومن مظاهر تطور صوت القاف أنه ينطق صوتا مزدوجًا من الدال والزاي، عند سكان مدينة الرياض في مثل "دْزِبْلَة" في "قِبْلَة"، و"المِدْزِيبرَة" في المقْبَرَة، و"دْزِلِيب" في "قْلِيب" بمعنى البئر.[1]

وفي مناطق متفرقة في السواحلية خاصة البدو يغيرون في الكلمات التي تأصل فيها القاف الشبيهة بالجيم القاهرية المتطورة عن حرف القاف فينطق في اللهجة "دج" نحو قولهم:

[1] رمضان عبد التواب، التطور اللغوي علله ومظاهره وقوانينه، ص: 21.

- عيش وْبَانْدُ فاسُّوكْ يَدْجاوْدُو
- يَنَ نبردجم وانت تفهم.[1]

ويقاس عليها صوت ga اللاتينية في المفردات الدخيلة نحو:

الكلمة في اللهجة	ما يقابلها في اللاتينية
دجاطُ	**Gateau**
دجيطون	**Tante**
زاندج	**Zinc**
دجارُ	**Garro**

وتطور صوت القاف إلى صوت مزدوج يرجع إلى قانون الأصوات الحنكية، حيث تنزع الأصوات الطبقية إلى تقديم مخارجها إلى الأمام قليلا، فيُصَيّرُها صوتا مزدوجا الطريقة نفسها التي تمَّ بها تحول الكاف "g" السامية إلى صوت مزدوج في العربية هو صوت الجيم "dz" والدليل على ذلك أن القاف لا تعاني من هذا القلب إلّا إذا وليتها كسرة.[2]

3/ إبدال همزة:

روت المعاجم و كتب الإبدال ما يدل على وجود إبدال القاف همزة في اللغة العربية يقول أبو الطيب في باب التبادل بين الهمزة والقاف: «يقال أشبه ويأشبه أشبا وقشبه قشبا، إذ لامه و عابه وقيل

[1] أحمد قريش، دراسة لهجة السواحلية، رسالة ماجيستير، تخصّص: اللغة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008، ص: 63.

[2] رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ص: 11.

قذفه وخلط عليه الكذب، وأصل الأشب و القشب الخلط وكل ما أشب وقشب فقط خلط ومن مجاز الأشب والقشب لطخ المرء بالسوء وخلط الكذب عليه».[1]

ويرد المستشرق الألماني شستراجسر إبدال القاف همزة إلى ذوق العصر مثال ذلك في اللغة العربية أن بعض أهل القاهرة كانوا قد استخشنوا نطق القاف و استغلظوه، فأبدلوه بالهمزة و هذه العادة سادت بين أهل القاهرة الخاصة و العامة، ثم سرت منها إلى بعض المدن الكبيرة كدمشق ثم إلى أصغر منها كقدس الشريف فهذه علة[2]، وهناك علة أخرى تفسر هذا الإبدال له قبول من الناحية الفسيولوجية يقال إن القاف كانت أحيانا مهمّزة glottalization أي مشبوهة بهمز وبمرور الأيام تلاشى الصوت الأصلي للقاف وصار التهميز همزا خالصا وامتد أثره حتى الآن كما نلحظ في نطق أهل المدن في مصر وغيرها من البلاد العربية[3]، هذا التفسير يؤكد تمركز نطق القاف همزة مقتصرا على سكان مدينة تلمسان سكان الحضر، إذ يسكن هذه الولاية: البدو، الحوز، الحضر.

ويتّصف صوت القاف بأنّه صوت شديد مهموس، مخرجه أقصى الحنك ويشيع قلبه همزة في لهجة تلمسان التلمسانيين وهذا راجع إلى تشابه الصّوتين في صفة الشدّة مثل: (ألب) في (قلب) و(أبّة) في (قبّة) و(آل) في (قال)[4]، وصوت القاف في اللهجة الحضريّة أو المدينة في تلمسان يرقق ويلين حتى يصير همزة فكلمة "قاوقاو" مثلا التي تعني الفول السوداني تنطق "آوآو" و هذه الآلية تلجأ إلى استبدال الصعب بالسهل، لأن الهمزة تعد من أشق الأصوات نطقا فسكان هذه الولاية يميلون إلى تسهيل عملية النطق.

وظاهرة الإبدال بين هاذين الصوتين متجذرة في اللهجات واللغات القديمة ولها تاريخ فقد حدث في اللغة الفنيقية إذ تحولت القاف في أعلام الفنيقية في بعض الأحيان إلى همزة ثم سقطت الهمزات

[1] أبو الطيب، الإبدال، ج: 2، ص: 556.

[2] ينظر: رمضان عبد التواب، التطور اللغوي للغة العربية، ص: 28.

[3] ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، ص: 284.

[4] التيجيني عيسى، الأصوات اللّغويّة في لهجة تلمسان، ص: 105.

الأصلية في الفنيقية فمثلا العلم الفنيقي: himlkart حملقرت تحولت إلى himlar حملر[1]، وهذه الظاهرة منتشرة بكثرة في مناطق متفرقة في العالم العربي كبلاد الشام وسوريا الأردن لبنان فلسطين مصر اليمن وبلاد المغرب العربي، ففي اليمن «تبدل القاف همزة في لهجة تهامة إذ يقولون في :"قمر، قرص، وقلب= أمر، أرص وألب»[2]، وفي مصر في لهجة القاهرة و ضواحيها وفي القليوبية والواسطي و جزء كبير من القيوم وفي الشام في دمشق والقدس، يقول براجشتراسر: «نطق القاف همزة يسود في معظم مدن سوريا وفلسطين ما عدا القليل ،وينقل عن ليتمان بأن المسيحيين في حلب لا ينطقون إلا همز»[3].

وفي المغرب العربي يوجد هذا النطق في تلمسان و شمال مراكش وعند اليهود في الشمال الإفريقي وكذلك في اللغة المالطية في أعظم الأحوال[4]، وفي شمال المغرب يسود نطق بالهمزة في مدينة تطوان وضواحيها ومدينة وزان حيث يقولون: الأط في القط و آل في قال.[5]

وعن هذا الإبدال لصوت القاف في تلمسان يقول جان كانتينو: «أما اللهجات التي صارت فيها إلى مجرد همزة تنطق بغلق رأس قصبة الرئة فلهجات مدينة في أكثرها... القسم المسلم من تلمسان...»[6].

إن هذا النطق لصوت القاف يخص منطقة تلمسان المدينة وهذا يعني أن صوت القاف قد تعمق في مخرجه إلى الوراء فلم يصادف «من الأصوات ما يشبه القاف إلا همزة لوجود صفة الشدة في كل منها»[7]، ولقد عدّ كانتينو هذه اللهجة حصرية تضاف إلى القاف المهموس وإبدال القاف همزة من خصائص نطق الحواضر كحلب و اللاذقية و دمشق وبيروت وصيدا والاسكندرية والقاهرة[8]، وفي النظر

[1] ينظر: أبو الطيب، إبدال الحروف في اللهجات، ص: 277.

[2] دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية، ص: 30.

[3] ينظر: براجتراسر، التطور النحوي، ص: 28.

[4] ينظر: رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ص: 14

[5] ينظر: عبد المنعم، لهجة شمال المغرب تطوان و ما حولها، ص: 75.

[6] جان كانتينو، دروس في علم الأصوات، ص: 109.

[7] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 23.

[8] ينظر: جان كانتينو، دروس في علم الأصوات، ص: 109.

إلى هذا الإبدال عند العرب القدامى نجد هذا ما ورد عن أبي عمرو: «الأفز بالزاي و الوثبة بالعجلة، والقفز: الوثب يقال قفز يقفز قفزا وقفزانا: وثب، ويقال القوم زهاق مائة وزهاء مائة أي هم قريب من ذلك في التقدير...»[1].

وتشير الدراسات القديمة إلى أن تحول القاف إلى الهمزة في مدينة تلمسان إلى العبرية هذا إذا ربطنا بمن كان يقطن المدينة من الجالية اليهودية، ويمتد تاريخها إلى العهد الروماني فقد سكن وسط المدينة جالية يهودية وما يدل على ذلك هو تواجد مقبرة يهودية بحي قياسة بها قبر "الحاكام افرايم أنقروة" الذي يعد مزارا للجاليات اليهودية[2]، وأكد كوهان مارسيل أنه صعب على اليهود الذين كانوا يقطنون الجزائر إخراج صوت القاف المهموس أو المجهور أي القاف السامية ولهذا أبدلوا وقفة حنجرية أي الهمزة وينتشر هذا النطق عند كبار السن وعند النساء[3]، لكن صوت القاف في العبرية لم يثبت على هذه الصورة النطقية فقط بل له نطقان، الأول نطقا مفخما مهموسا وقد يتغير هذا الصوت إلى الكاف، والثاني نطقا مرققا مجهورا قد تغير إلى الجيم.[4]

ويرجح التيجيني بن عيسى أن سبب انتشار هذه الظّاهرة الصّوتية هو نتيجة مترتبة جرّاء نزوح الأندلسيين إلى شمال المغرب العربي، وذلك راجع لوجود هذه الظّاهرة كذلك في المغرب الأقصى في مدينتي "تطوان" و"فاس"، ويذكر أنّها شاعت بوضوح بعد رجوع أهل تلمسان الّذين هاجروا إلى الشام ومصر، كما ذكر الباحثون في مناسبات كثيرة أنّ تلمسان وفاس تتشابهان في أمور عديدة مثل العادات والتقاليد وفي نطق القاف همزة، لكن همزة الفاسيين غارية تنطق من الداخل أمّا همزة التلمسانيين فليّنة قريبة جدًّا من همزة تطوان، والتشابه في النّطق موجود بين همزتي تلمسان وتطوان.[5]

[1] أبو الطيب اللغوي، الإبدال ،ص: 262.

[2] ينظر: عبد الحميد بوسماحة، تلمسان تاريخ وثقافة، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، 2011، ص: 10.

[3] ينظر: marcel cohen, le parler arabe juifs d alger, p 26-29

[4] صلاح حسنين، المدخل في علم الأصوات المقارن، مكتبة الاداب ،ط2، مصر ص: 206.

[5] التيجني بن عيسى، الأصوات اللغويّة في لهجة تلمسان، ص: 106.

يذكر إبراهيم أنيس أنّ أهل المدن المتحضرة يمليون عمومًا إلى الرخاوة الأصوات الشّديدة، حيث أنّ فيها من التؤدة واللّيونة ما ينطبق مع بيئتهم وطبيعتهم، وفي الصحراء الخالية من كلّ مظاهرة المدنيّة، قد يضيع الصّوت في الأجواء الواسعة، حيث يتحدّث الأفراد فلا يوجد جدران تعوق موجات الأصوات، بل تنساب الأصوات في محيط الفضاء، أمّا الأصوات المجهورة فأوضح في السمع، تتلقاها الأذن في مسافات قد تختفي فيها الأصوات المهموسة.

«لهذا كان من المعقول بل ومن المشاهد أن البيئات المتمدّنة التي تتحدّث بين جدران المنازل، والّتي لا ترى داعيًّا لوضوح الصّوت بنسبة أكبر ممّا يتطلّبه السامع القريب، تميل عادةً على همس الأصوات، وقد دعت الحضارة منذ القدم، كما دعت آداب الإسلام إلى خفض الصّوت، وهذا ما أدّى إلى شيوع الأصوات المهموسة في البيئة العربيّة المتحضّرة»[1].

من المعلوم أنّه لا يمكن لأي لغة أن تبقى حبيسة ضمن سياج وهمي، لأنّها في ديمومة مستمرّة وذات اتّصال باللّغات المجاورة، وهذا ما حدث في منطوق تلمسان الحضري.

يقصد عادة بكلمة (الحضر) سكّان تلمسان القاطنين داخل السور الذي يحيط بالمدينة العتيقة، ويوصف هؤلاء بأنهم أهل حضارة وتمدّن. في حين تُطلق لفظة (الحوز) على سكان ضواحي تلمسان، ممن يقطنون خارج السور، وأغلب هؤلاء بدو وفدوا على المدينة واختاروا الاستقرار على تخومها.

فالحديث هنا عن أثر اللغات في هذا المنطوق نتيجة الموقع الجغرافي للمنطقة الّذي كان بدوره سببًا رئيسيًّا في دخول أجناس مختلفة إلى تلمسان كالبربر والإسبان والأتراك والفرنسيين، فاحتكت لهجة أهاليها بجميع هذه اللّغات وهذا أمر طبيعي من المتعذّر أن تظلّ لغة بمنأ من الاحتكاك بلغة أخرى.

وهذه بعض صور نطق القاف همزة عند سكان الحضر في تلمسان:

[1] إبراهيم أنيس، في اللهجات العربيّة، ص: 106-107.

- يقول أهالي تلمسان مثلًا "بألاوة" وهي حلوة لذيذة ذات أصل تركي، كلمة "قطايف" تنطق "أطايف".
- كلمة "أزار" عند التلمسانيين تعني إناء حديدي كبير يستعمل للطهي في الولائم والأعراس، والكلمة مأخوذة من التركية (Kazan) الّتي تعني عند الأتراك إناء حديديًّا، أمّا كلمة "بؤراج" فهي آنية حديديّة تستعمل لتسخين الماء، وهي مأخوذة أيضًا من التركية (Bakrace) والّتي تحمل نفس المعنى[1]، وكلمة "أزار" و"بؤراج" تنطق "قزار" و"بقراج" في اللهجات الأخرى، المجاورة لمدينة تلمسان.
- وفي المثل العامي "القط يعلم لبّاه النّط" ينطق بقلب القاف همزة "الأطّ"، ويطلق هذا المثل على كلّ إنسان لم يكتسب خبرة ويريد أن يقنع أو يفسّر شيئًا ما للإنسان ذي الخبرة الواسعة، وفي قولهم أيضًا "عاتق" فأبدلوا القاف همزة فأصبحت "عاتأْ"، وكذلك في قولهم "عأْدة" بهمزة بدل القاف "عقدة" وبفتح العين ويطلقونها على مسحوق اللّوز المعجون بالعسل والمخلوط بالقرفة ويستعمل حشوًا للحلويات المختلفة[2]، وفي المثل الشعبي :الجوع يعلم سأطة والعرى يعلم الخياطة"
- السأطة تعني السقاطة أي الطبع السيء.

وهذه بعض الكلمات التي يبدل فيها القاف همزة:

قهوة	**أهوة**
قرفة	**أرفة**

[1] المرجع السّابق، ص: 63.

[2] هشام خالدي، القاف والكاف في عامية تلمسان، ص: 13.

قط	**أط**
قال	**آل**
قرد	**أرد**
الطريق	**الطريء**
القراية	**أراية**

إن تطور القاف يرجع إلى قانون الأصوات الحنكية حيث تترع الأصوات الطبقية إلى تقديم مخارجها إلى الأمام.[1]

ونلحظ من خلال هذا الإبدال أن مخرج القاف تأخر إلى الحنجرة وهذا يسير عكس التطور الصوتي الذي يميل إلى تقديم المخرج وليس تأخره، و إن نطق الهمزة أصعب من نطق القاف، غير أن لإبراهيم أنيس رأي آخر حيث يقول: «إن القاف قد تطورت من أجل ثقلها، وصعوبة النطق بها تطورات كثيرة في اللهجات الحديثة، فأحيانا ينطق بها همزة، وأحيانا جيما خالية من التعطيش»[2]، لكن هنا يجب أن نوضح إذا كان الناطق يلجأ إلى السهولة، فالقاف هي الأسهل و الأخف نطقا من نطق الهمزة.

ومن اللافت للنظر أن هذا النطق لا نجده إلا في البيئة المدنية التي تميل إلى التحضر والمدنية وهذه البيئة من عاداتها النطقية التخلص من كل ثقيل وهذا النطق يخالف القياس النطقي الذي يلجأ في الناطق إلى قانون السهولة و التخفيف من المجهود العضلي في آليه نطقه.

[1] ينظر: رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، ص: 12

[2] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص 89.

وعليه فإن اللّهجة التّلمسانيّة وخاصة المدنية تمتاز بهذه الظاهرة، وسرعان ما يعرف مستعملوها في كل القطر الجزائري بأنّهم من سكّان مدينة تلمسان، فهذه الصّفة هي بمثابة الخاصيّة أو العلامة الخصوصيّة إن صحّ التعبير، لكن هذه الهمزة غالبًا ما يتجنّبها مستعملوها خصوصًا الشّباب ويفضلون استعمال الصوت [ق] و[ڤ].

4/ إبدال القاف كافا خالصة:

ينتشر إبدال القاف كافا خالصة في الجزائر في العديد من مناطق الشرق كجيجل و تلمسان في مناطقها الغربية إبدال القاف الفصيح الكاف خالصة كما في مناطق ولاية تيارت خاصة إذا كان ساكنا تلاه صوت التاء.

وبالحديث عن سكان الغرب فإن أول منطقة مشهورة بهذا الإبدال هي ولاية تلمسان، فالتلمسانيون حافظوا منذ العصور الأول إلى يومنا هذا على طابع لساني خاص بهم جعلهم مميزين منفردين بمنطوق معين ،وهو أنهم يقلبون القاف كاف خالصة الأقصى الحنكية ويمثّل النطق الثاني للقاف وساد في المناطق الساحلية الشمالية الشرقية والشمالية الغربية كالغزوات ودار يغمراسن والسواحلية وتيانت وتونان ومسيردة التحاتة.

وقد اعتاد هؤلاء على إخراج هذا الصوت كافا مهموسة شديدة منفتحة مستفلة مرققة من أقصى اللسان وما يقابله من أقصى الحنك.

فقد مال الناطق إلى التخلص من صوت القاف المفخم، واستبدل به صوتا مرققا، لأن الصوت المرقق أسهل نطقا من الصوت المفخم، علاوة على أن مخرج الكاف أكثر أمامية من مخرج القاف فالملاحظ في تغير مخارج الأصوات تتجه إلى الأمام لأنه أكثر سهولة.

ومن أوجه التغيرات التي طرأت على هذا الصوت في منطوق الغزوات نورد:

- إبداله كافا مطلقا: وذلك على اختلاف مواقعه في الكلمة، مثال ذلك قولهم: لَكْصَرْ في القصر، وكال في قال، وأيضا عْكَل في عَقْل، وغيرها من المواضع التي لا يمكن حصرها. وهذا الإبدال بين القاف والكاف له ما يسوّغه من الناحية الصوتية، فالقاف والكاف متجاورتان في المخرج؛ إلا أن اللسان مع الكاف ينخفض نحو قاع الفم، وهذا ما يكسبه صفة الاستفال، في حين أن أقصى اللسان مع القاف يرتفع ناحية اللهاة، فقد انتقل المخرج إلى الأمام قليلا من منطقة اللهاة إلى ما يليه من الحنك الأعلى(الطبق). وهما يشتركان في الهمس والشدة، أي إنهما صوتان متحدان في الصفة إضافة إلى تقاربهما في المخرج.
- ومن الإبدال الوارد بين هذين الصوتين في اللهجات القديمة، قول ابن جني: «إناء قربان وكربان؛ إذا دنا أن يمتلئ؛ فينبغي أن يكونا أصلين؛ لأنك تجد لكل واحد منهما متصرّفا»[1]. فهذا الإختلاف في الوحدات الصوتية مردّه إلى الاختلاف في اللهجات، مع أن ابن جني لم ينسبها في هذا الموضع إلى قبيلتها، إلا أنه في موضع آخر نسب القاف إلى تميم وقيس، والكاف لقريش، قال: «أخبرني أبو علي عن أبي بكر عن بعض أصحاب يعقوب عنه، قال: قال الفراء: كشطت، وقيس وتميم تقول: قشطت بالقاف، وليست القاف في هذا بدلا من الكاف؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين»[2]، وفضّلت تميم القاف، وهذا راجع لطبيعة البيئة الصحراوية؛ حيث تميل القبائل البدوية إلى الأصوات الشديدة، وهو أمر يتلاءم مع ما عرف عن البدوي من غلظة وجفاء في الطبع[3] إن تطور صوت القاف إلى كاف وشيوعه على نطاق واسع لدى كثير من الفلسطينيين وعند سكان جيجل كما ذكرنا سابقا وسكان السواحيلية في تلمسان، فالسواحليون يقولون مثلا:

[1] ابن جني، الخصائص، ص: 363.

[2] ابن جني، سر صناعة الإعراب ج: 1، ص: 287

[3] عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطور، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 105.

-كَرْدَحْ مَرْدَحْ كْلِيلْ انِيَّه مَا يَرْبَحْ، بإبدال القاف كاف في: "قَرّدَح" و"قْلِيلْ".[1]

وينتشر في منطقة مسيردة لفواقة في قرى مرسى بن مهيدي وبني منقوش والعنابرة وسرمرام وشايب راسو) بنطقين للقاف، فهناك من يخرجها كافا مهموسة شديدة منفتحة مستفلة مرققة من أقصى اللسان وما يقابله من أقصى الحنك، نحو قولهم: (كَلب) في قلب، في حين استساغ آخرون في المنطقة نفسها إخراجها كَافا سامية كقولهم: (كَال) في قال.

وفي تفسير هذا التطور ناشئ عن تقدم مخرج القاف إلى الأمام قليلا مع ترقيقها واحتفاظها بصفة الشدة في نطقها، فالقاف والكاف متقاربتان في المخرج متماثلتان في صفتي الشدّة والهمس، فالقاف صوت لهوي شديد مهموس، والكاف من أصوات أقصى الحنك شديد مهموس فلا فرق بين القاف والكاف إلّا أنّ القاف أعمق قليلا في مخرجها[2]، قال ابن خالوية (ت 370 هـ): «والعرب تبدل القاف كافا، والكاف قافا لقرب مخرجيهما».[3]

وقد عقد أبو الطيب اللغوي بابا في كتاب الإبدال ذكر فيه عددا كبيرا من الكلمات التي أبدلت فيها القاف كافا نحو: الأَقْهب والأَكْهب، والقسْط والكسْط، وقَشطَت وكَشطَت، وقَهَرته وكَهَرْته.[4]

كما ذكر الزبيدي (ت 379 هـ) أنّ العامة في عهده كانت تقول: اسْتَكْتَلَ في الأمر بدلا من اسْتَقْتَلَ[5]، وذكر ابن مكي الصقلي (ت 501 هـ) أن العامة كانت تقول للقميص الذي لا كمي له

[1] ينظر: جيلالي بن يشو، الخطابات اللهجية في منطقة ترارة دراسة صوتية ومورفولوجية، رسالة ماجستير، تخصّص: علم اللهجات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 1999م-2000م، ص: 50.

[2] رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة، ص: 55.

[3] ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د ط، د ت، ص: 122.

[4] ينظر: أبو الطيب، الإبدال، ج: 2، ص: 353 وما بعدها.

[5] ينظر: عبد العزيز مطر، لحن العامة، القاهرة، ط 2، 1981م، ص: 200.

بَكِيرة بدلا من بَقِير، ويقولون لبعض الأوعية: حَكّة بدلا من حَقة، ويقولون تَرَكُوه بدلا من تَرَقُّوه[1]، وهذه بعض الأمثلة:

الكلمة الأصلية	منطوقها في اللهجة
القهوة	الكهوة
هذا الوقت	دروق تبدل دروك
فوق	فاوك
القرية	الكرية
انتظر	قارع تبدل كارع
القمر	لكمر
الطاقة	الطاكة
العقل	لعكل

وسمعت القاف گِ أوڤ على لسان بعض الناطقين من بلدية مرسى بن مهيدي، ولعل هذا النطق وافد على الجهة من النازحين إليها من المناطق الأخرى، وسمع هذا الصوت أيضا على لسان أهالي قريتي الكرايمة والنجاجرة بدائرة بني خلاد، ومن الثابت أن المناطق الواقعة على الحدود المغربية تأثرت بنطق المغاربة، ومناطق من تلمسان الداخلية الغربية كمغنية وحمام بوغرارة و بني سنوس و المناطق الشرقية كرمشي و الفحول وعين تالوت والمناطق الداخلية المحيطة ب تلمسان المدينة كسبدو و زناتة و الحناية وعين فزة.

[1] ينظر: عبد العزيز مطر، تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، القاهرة، 1425هـ-2004م، ص: 94.

حين حافظ أهل جبالة على النطق الفصيح للقاف، وهم يتفقون ههنا وأهل ندرومة وهنين في هذا الاستعمال.

الشكل يوضح تطور صوت القاف في منطوق تلمسان[1]:

5/ القاف الخائية:

ومن الأصوات اللهجية التي سمعت عند بعض الناطقين في المنطقة الساحلية بواجهتيها الشمالية الشرقية والشمالية الغربية إخراجهم القاف خاء في سياق صوتي خاص، قولهم: (دروخْ ودوخْ وبواخة) في دروق ودوق وبواقة).

هذه مجموعة من صور نطق القاف في ولاية تلمسان و فيما يلي خريطة توضح توزيع نطق القاف في هذه الولاية:

[1] أحمد قريش، دراسة لهجية لمنطوق السواحلية، رسالة ماجيستير في اللغة، جامعة أبي بكر بلقايد ، معهد اللغة العربية و آدابيها، تلمسان ،2008، ص 57.

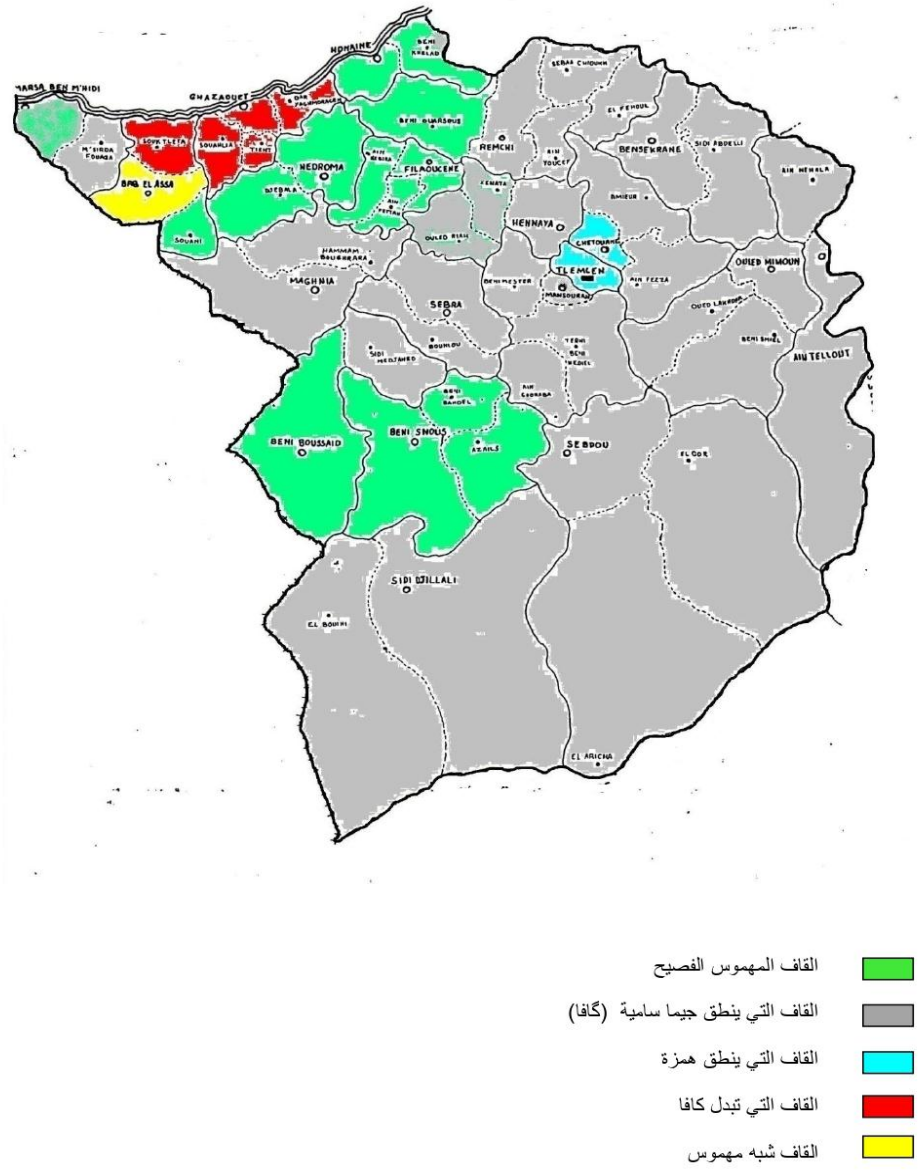

خريطة تحدد التبدلات الصوتية لصوت القاف في تلمسان

التوزيع الجغرافي للتنوعات النطقية في منطوق عاميات ولاية تلمسان، عمارية عابد،رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد ، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ،2015 ،ص75.

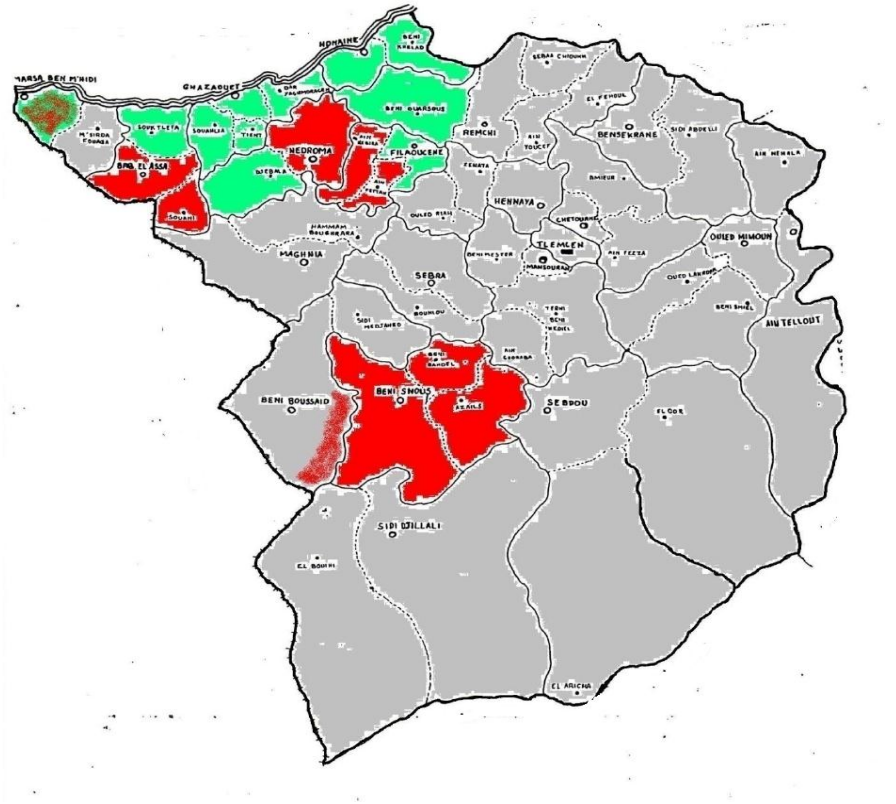

خريطة تحدد المناطق التي تقلب فيها القاف في تلمسان

التوزيع الجغرافي للتنوعات النطقية في منطوق عاميات ولاية تلمسان، عمارية عابد،رسالة دكتوراه، جامعة أبي بكر بلقايد ، كلية العلوم الانسانية و العلوم الاجتماعية، قسم التاريخ،2015 ،ص75

6/ إبدال القاف إلى كاف سامية:

ينتشر إبدال القاف كافا سامية في منطوق الغرب الجزائري، وهذا الإبدال شائع في الكثير من اللهجات العربية، يقول ابن خلدون: «القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في الكتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، وهم ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف وإن كان أسفل من موضع القاف ومما يليه من الحنك الأعلى كما هي، بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب أو شرق حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال».[1]

فالقاف التي أشار إليها ابن خلدون هي التي بين الكاف والقاف وتعرف بالجيم القاهرية أو الكاف السامية ويرمز لها بالرمز G وأنسب اللغويون هذا الإبدال إلى لهجة تميم، يقول ابن فارس «سمعت ابن دريد يقول: حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة فإذا اضطروا إليها حوّلوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها... مثل الحرف الذي بين القاف و الكاف والجيم وهي لغة سائرة في اليمن فهم يقولون في "جمل": كمل"، فأما بنو تميم فإنهم يلحقون القاف باللهاة حتى تغلظ جدا فيقولون القوم فيكون بين الكاف والقاف الگوم».[2]

يقول الشاعر:

ولاگول لگدر الگوم نضجت ... ولا أگول لباب الدار مگفول

وفي وصف هذا الصوت: هو صوت طبقي مجهور شديد انفجاري منفتح يتم نطقه برفع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبق وإلصاقه به إلصاق الطبق بالحائط الخلفي للحلق ليسد المجرى الأنفي مع ذبذبة الوترين الصوتيين واهتزازهما.[3]

[1] ابن خلدون، المقدمة، بيروت، 1978، ص: 557.

[2] ابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، ص: 57

[3] ينظر: رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، ص: 53.

وينتشر هذا الصوت على الألسن الدارجة العربية عامة وفي لهجة غرب الجزائر خاصة، فهو منتشر في جل الولايات الغربية، سيدي بلعباس، تموشنت، معسكر وهران، غليزان، سعيدة وتيارت وبشار والنعامة، هذه الولايات جل مناطقها معروفة بهذا المنطوق لصوت القاف، أما عين الدفلى ما عدا، أما مستغانم فيشير جان كانتينو أن سكان هذه المنطقة لا ينطقونه مجهورا بل مهموسا وهو يقصد القاف الفصيح[1]، و يضيف في تفسير انتشار صوت القاف في غرب الجزائر: «إن اللهجات التي صارت القاف القديم فيها حرفا مجهورا... القاف.. هي لهجات بدوية ولم يشذ عن هذا المبدأ شيء شذوذا حقيقيا فلئن وجدنا عند بدو شمال إفريقيا بعض الكلمات التي جاء فيها قافا مهموسا نحو: قرأ و قلم، فإن هذه الكلمات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقترضوها إما من اللغة الفصحى أو من لغة المدن وإن وجدت بعض الكلمات تنطق بقاف G مجهورة نحو قولهم: بقرة، قربة، فإن ذلك راجع إلى أن تلك المفردات هي فيما يظهر دخيلة عندهم اقترضوها من اللهجات الريفية»[2].

يتضح من كلام كانتينو أن صوت القاف بيئته بدوية لأنه صوت مجهور شديد يناسب سكان البدو الذين يتميزون بالخشونة والشدة فهم يميلون إلى الأصوات الخشنة الشديدة وهذا ما أشار إليه ابن خلدون في مقدمته، وانتشاره في مناطق الغرب الجزائري ليس بالأمر الغريب لأن سكان هذه المنطقة طبعهم خشن يميلون إلى الشدة و لا فرق بينهم في نطقهم إلا في بعض التفخيم الذي نسمعه عندهم فهم يقولون في:

[1] ينظر: جان كانتينو، دروس في علم الأصوات ص: 109.

[2] المرجع نفسه، ص: 108.

الكلمة بصوت القاف	ما يقابلها بصوت الڤاف
السوق	السوڤ
الطريق	الطريڤ
قريب	ڤريب
يسهرو	يڤصرو
الساقية	الساڤية
البقرة	بڤرة

انتقل صوت القاف في لهجة بعض ولايات الغرب الجزائري إلى الأمام فوجد أقرب المخارج له هو مخرج الجيم القاهرية أو الكاف الفارسية والتي يرمز لها بهذا الرمز: ڤ أو گ وما يقابلها في اللغة اللاتينية: g أو G وقد رجح تطور القاف في لغة البدو: «أنه في الأصل صوت مجهور فحيت تتكور تنتقل إلى صوت مجهور أيضا يشبهها صفة، ولهذا اختارت القاف في تطورها الأمامي الجيم القاهرية»[1]، وما لاحظناه عن نطق القاف جيما قاهرية أو كافا فارسية لدى سكان الغرب الجزائري هو أن جنوحهم لهذا الصوت الشديد المجهور هو تسهيل عملية النطق بالإضافة إلى قانون التأثير والتأثر بين الأصوات المتجاورة على مستوى الكلمة الواحدة وإذا تتبعنا الأحرف التي يتأثر فيها صوت القاف ويتحول إلى ڤاف نجد: الباء، كقولنا: بڤرة، الراء: ڤربة، اللام كقولنا: ڤال، القمر الميم.

ينتشر هذا الصوت ڤاف في عاميات ولاية تلمسان لكن نطقه جيما سامية قد غطّى معظم مناطق الولاية الداخلية المتاخمة للحدود المغربية، كمغنية المدينة وحمام بوغرارة وسيدي مجاهد وكذا جميع

[1] إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص: 74.

المناطق المجاورة لمغنية في حدودها مع منطقة بني بوسعيد، وحينها تسمع من أهاليها صوت القاف المجهور لكنّه أكثر شّدة في إخراجه على خلاف أهل مدينة مغنية، إذ تسمع بعض التراخي في نطقه بتأثير من النطق المغربي، وبمجّرد عبور حدود بني بوسعيد، ويمتد نطق القاف جيما سامية إلى مناطق بني سنوس التي لا تستخدم القاف المهموس، كقرى زهرة وبني عشير وأولاد موسى وبوحمامة (ويشمل جميع المناطق الشرقية للولاية التي تضم الدوائر التالية (الرمشي، وسبعة شيوخ، والفحول، وعين يوسف، وبن سكران، والعمير، وسيدي العبدلي، وعين نحالة، وأولاد ميمون، والشولي، وبني صميل، وعين تالوت، وكذا جميع المناطق الداخلية المحيطة بتلمسان المدينة، سواء من ناحية الشمال أو الجنوب أو من ناحية الشرق أو الغرب، كمناطق سبدو و تيرني وعين غرابة وصبرة و بوحلو وأولاد رياح وزناتة والحناية وعين فزة. جل مناطق تيارت كدائرة مهدية الدحموني، فرندة نجده أكثر شدة مشابها للهجة سكان وهران، سوقر والبلديات رشايقة، السبعين، سيدي حسنى، السبت، مدرسية، تخمارت، نفس الصوت نجده في الولايات الحدودية مع ولاية تيارت كسعيدة، معسكر، غليزان، الولايات الأخرى كوهران وعين تموشنت و بلعباس و النعامة و البيض و بشار و تيسمسيلت كمنطقة الملعب و برج بونعامة ، العيون و ولاد بسام و بعض مناطق شلف كمنطقة تنس، بوقادير، الظهرة، و عين الدفلى كمنطقة الحسنية وبوراشد، جليدة وبعض مناطق مستغانم كمنطقة عين نويصي ماسرى، هذه الولاية– أي مستغانم– التي أشار إليها جان كانتينو أن صوت القاف ليس بالمنتشر فيها كبقية ولايات الغرب الجزائري «و أما في مقاطعة وهران فلا يكاد يوجد القاف إلا في بمدينة مستغانم».[1]

ففي ولاية مستغانم ينتشر صوت القاف الفصيح خاصة في منطقة المنطقة الحدودية مع ولاية شلف في منطقة عشعاشة، أما المناطق المتبقية فينتشر فيها القاف والكاف الفرسية أو الجيم القاهرية، أما غليزان فهي الأخرى ينتشر فيها النطق الفصيح لصوت القاف وكذلك الكاف الفارسية، يقول الشاعر جيلالي مختار غليزاني في قصيدته الشعبية:

[1] جان كانتينو، دروس في علم الأصوات، ص: 109.

قرا أبائنا شحال قصاو غبان عذاب وضرب وقصوة وجلادي

هنا في كلمة "قصوة" حدث إبدال من السين إلى الصاد فالأصل في صيغة هي "قسوة" حيث تم إبدال السين بالصاد، وذلك لاقتران السين بالقاف، فتنطق القاف قافا فصيحة والصاد يشترك مع صوت القاف في الاستعلاء، ونطق صوت مستفل مجاور لصوت مستعلي فيه استثقال، فكان التخفيف بإبدال السين بالصاد ونطق القاف قاف فصيحة.

وإننا نجد أيضا في منطوق غليزان إبدال القاف جيما قاهرية نذكر منها نطق: "صاڤو" بدل "ساقو" مع تفخيم القاف ونطقها كما في الإنجليزية في لفظة "go"وتفخيم "القاف" أدى إلى تفخيم "السين" فنطقت "صادا" بدل "السين."

وعلى هذا الأساس فإن هذه «الصورة من نطق صوت القاف فهو وقفة انفجارية مجهور من أقصى الحن، وهي بهذا تختلف عن الصور السابقة الجارية على ألسنة المتخصصين، ورجال القراءة الآن في شيئين: مخرج النطق فالأولى لهوية وهذه قصية، وفي الجهر والهمس، فالأولى مهموسة وهذه مجهورة»[1]، وإذا قلنا أن صوت القاف ينطق جيما سامية «فهذا من الناحية النطقية لا غير، أما من حيث الوظيفة فإنّا تختلف عنها تماما في بنية الكلمة العربية وطرائق توزيعها في النظام الصوتي. ورمزها الصوتي المقرر هو G في حين أّن رمز الجيم السامية هو g بالتفريق بين الرمزين بمجّرد التكبير والتصغير في الحجم»[2]، لم يأتي هذا النطق المجهور للقاف من عدم بل شاع في الأندلس سابقا «منذ القرن السادس الهجري، وعرف به أهل البادية في مصر أيّام المماليك حّتّى كان هؤلاء يطاردون في المعارك ويميّزونّم بهذه الگاف، فكان إذا ادعى أحد منهم أنّه حضرّي قيل له: قل دقيق، فإن قال دقيق بالگاف لغات العرب قتل، وإن نطقها بالقاف المعهودة أطلق، أي إذا نطقها مجهورة قتل، وإن نطقها مهموسة أُخلي سبيله»[3]،

[1] كمال بشر، الأصوات اللغوية، ص: 386.

[2] المرجع نفسه، ص: 387.

[3] عبد المجيد عابدين، من أصول اللهجات العربية في السودان، ص: 46.

وأشار فوزي الشايب إلى هذا الصوت المحول عن القاف وقال بأنه لم يأتي من فراغ وإنما هو تطور موصول الأسباب بلهجات عربية قديمة، ومن ثم فليس جديدا أو مبدعا وإنما هو في حقيقة الأمر امتداد للهجات عربية قديمة.[1]

ويبدو أن سبب شيوع إبدال القاف ڤافا هو جنوح إلى الصوت المجهور لأنه أكثر ملاءمة مع لهجة الغرب، يقول الدكتور أحمد علم الدين الجندي: «إن أكثر القبائل العربية تنطق القاف مجهورة أي بين القاف والكاف»[2]، ونطق القاف گافا ليس من باب الإبدال بل هو نطق خاص ارتبط بالبيئة البدوية أكثر منها الحضرية وينتشر في جل مناطق الغرب الجزائري إلا في تلمسان فإنه ينتشر في بعض مناطق هذه الولاية كمنطقة ابن واسين على سبيل الذكر لا الحصر، فسكان غرب الجزائري بصفة عامة يفخمون هذا الصوت وذلك يرجع لطباعهم البدوية فهم يقولون في:

اللهجة	الأصل في اللغة
ڤالوا	قالوا
ڤطعلي	اقطعي لي
الڤلب	القلب
الڤصعة	القصعة
الڤدر	القدر

وورد في بعض الأمثال المتداولة في ولاية شلف بالضبط المنطقة الساحلية تنس:

المتزوج ما هوش ڤليل

[1] ينظر: فوزي الشايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث ، الأردن ط1، 2004ص: 55.

[2] أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا و تونس، 1978، ج: 2، ص: 465.

- إذا حلفو فيك الرجال بات راقد
- السمونية للبقر و الطولية للشعر
- قلب المؤمن مايكون حقودي.

هذا الإبدال يؤكده عبد الملك مرتاض: «... تنطق القاف أحيانا كافا أو بين الكاف والقاف في أقصى الشمال الغربي الجزائري ».[1]

وعد سيبويه الكاف التي بين الجيم والقاف (الجيم القاهرية) من الحروف غير المستحسنة في القران الكريم والشعر العربي[2]، وما أورده ابن السكيت: «يقال: دقمه ودگمه أي دفعه في صدره»[3].

ويرجح إبراهيم أنيس أن يكون نطق القاف كالجيم القاهرية قديما، وربما كان شائعا بين القبائل الحجازية أيام النبي صلى الله عليه وسلم، ورسمت بهذا الرسم الذي يطابق الكاف، ربما لعدم وجود رمز خاص بمثلها في الحروف العربية أو لتشابه الحرفين وتقاربهما معا[4]، وقرأ عبد الله بن مسعود (ت ٢٣ هـ) «فأما اليتيم فلا تگهر .»

وقد عمد ابن خلدون إلى توصيف آلية نطق هذا الصوت لدى القبائل البدوية التي عاشت في المغرب في أيامه، والتي هاجرت في القرن الخمس الهجري، وهي الهجرة الكبرى من شبه الجزيرة العربية والصعيد من الهلاليين وبني سليم، والتي ترتب عنها تباين في نطق القاف إلى درجة فيها مع الكاف يقول ابن خلدون: «ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي في هذا العهد حيث كانوا من الأقطار شأنهم بالنطق نطق القاف، فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في الكتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوق الحنك الأعلى، وما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف وإن كان

[1] عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1989، ص: 12.
[2] سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 433.
[3] ابن السكيت، القلب و الإبدال، ص: 113.
[4] إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص: 39.

أسفل من موضع القاف وما يليه من الحنك كما هي، كما يجيئون بها متوسطة بين القاف والكاف ... هذه اللغة لم يبتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم متعاقبة ويظهر عن ذلك أنها لغة مضر الأولين».[1]

و ينطقونها في ولاية بشار و تندوف جيما قاهرية تكون ممالة إمالة بسيطة فهم يقولون:

الكلمة	منطوقها في ولاية بشار
قلت لك	ڤِتلك
القمر	الڤِمرة
ثقيل	ثِڤيل
قريب	ڤِريب
قصير	ڤِصير

والتعليل الصوتي لهذه الظاهرة، هو سهل يسير فالرغبة في الوضوح السمعي و تبليغ الرسالة اللغوية في ظروف خطابية سريعة أدى إلى ضياع صوت القاف المهموس، واستبداله بنظير يوافقه في المخرج فكان هذا الصوت (ڤ) الأنسب له صوت مجهور يوافقه في النطق فاندفع صوت القاف إلى الأمام باحثا عن صوت يشابهه من حيث البنية التشكيلية ويناظره في الصفة.

ونسب سيبويه هذه الظاهرة إلى تميم يقول: وفي فَعيل لغتان فعيل بالفتح و فِعيل إذا كان الثاني من الحروف الستة الحلقية[2]، أما ابن فارس فينسب هذه الظاهرة إلى قيس و زيد و عزا الخليل هذه

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص: 1077.

[2] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 107.

الإمالة في فاء فعيل إلى اليمن يقول: «وناس من أهل اليمن مما يلي الشحر و عمان يكسرون فاء فعيل كله فيقولون للكثير كِثير»[1].

7/ نطق القاف نطقا فصيحا:

إن إبدال القاف إلى لعدة أصوات لا يعني أن نطقها الفصيح معدوم في منطقة الغرب فقد حافظ سكان الغرب الجزائري على النطق الفصيح لصوت القاف خاصة في ولايات التالية مستغانم و عين الدفلى و شلف و تيسمسيلت وذلك لقربها للمناطق الوسطى و الاحتكاك بين السكان جعلهم يحافظون على القاف المهموسة نذكر ثنية الحد في تيسمسلت، منطقة عريب والعامرة وبن علال جندل وادي الجمعة في ولاية عين الدفلى وفي ولاية مستغانم بوقيرات وعشعاشة وشلف هذه الأخيرة تنتشر فيها اللهجة الشلحية القريبة من اللغة الأمازيغية خاصة المناطق الحدودية مع ولاية تيبازة، وقد كان لنا احتكاك بسكان منطقة واد قوسين التابعة لدائرة بني حواء ولاية شلف فسكان هذه المنطقة ينطقون صوت القاف قاف فصيحة حين حديثهم بالعربية فهم يقولون:

أصل الكلمة	الكلمة في لهجة الغرب
القهوة	**القهوة**
القرفة	**القرفة**
القابسة (العلبة)	**القابسة**
القرية	**القرية**
القمجة (القميص)	**القمجة**

[1] الخليل، العين، ج: 7، ص: 175.

القرد	القرد
قال	قال
صندوق	صندوق

8/ القاف الناتجة عن إبدال الغين:

ينتشر إقلاب الغين إلى القاف في المناطق الجنوبية للجزائر، و بعض المناطق في الجهة الغربية نذكرها على التوالي: ولاية تيارت خاصة قصر الشلالة و سوقر وعين الذهب و ما جاورها، ولاية سعيدة في الجزء الجنوبي لها و ولاية بلعباس في جزئها الجنوبي نواحي تلاغ، ولاية البيض بكل دوائرها والنعامة في أغلب مناطقها ومنطقة الملعب تيسمسلت، قال ابن خلدون عن أهل هذه اللغة أنهم عرب أقحاح ومعنى قحّ في العربية هو الأصيل أو الخالص في بدويته أو ذو العرق الأصيل الذي لم يختلط لسانهم بالأجانب، غير أن القاف الفصيحة عندهم تنطق جيما قاهرية، مثل قولهم في المثل الشعبي: "إذا شبعت الكرش تقول للراس قني أي "إذا شبعت الكرش تقول للراس غني" وهنا نلاحظ إبدال القاف الفصيحة جيما قاهرية و الغين أبدلت قافا وذلك راجع لاقتراب مخرج القاف لمخرج الغين والقاف بديل للغين لدى سكان هذه المنطقة أما تحول القاف الفصيحة إلى جيم قاهرية فهذا راجع لطباعهم البدوية المتأصلة فيهم.

وفي تفسير هذا التحول إن سكان هذه المنطقة يميلون إلى تسهيل عملية النطق وأن هذه الظاهرة متأصلة فيهم متوارثة من قبائل عربية قديمة، وفي الدراسة الصوتية بين هذين الصوتين نجد أن الاختلاف بينهما من حيث المخرج فالغين حرف يخرج من أدنى الحلق هكذا حدده سيبويه فهو صوت رخو مخرجه أدنى الحلق إلى الفم فهي صوت طبقي مجهور رخو احتكاكي، في المقابل صوت القاف صوت شديد مهموس ولهوي[1].

[1] ينظر: سيبويه، الكتاب، ج: 4، ص: 433.

وهذه بعض الكلمات التي تبدل فيها الغين إلى القاف:

الكلمة في الأصل	الكلمة في اللهجة
غابة	قابة
غريب	قريب
صغير	صقير
غراف(وهو الوعاء الذي يغرف به الماء)	قراف
غنم	قنم
الأغواط	الأقواط
غرداية	قرداية

هذا القاف الناتج عن إقلاب الغين منتشر بكثر في مناطق النعامة وبشار والبيض وتندوف وهذا راجع لتواجد قبائل منتشرة اتخذت هذه المناطق مقرا لهم وقد تحدث عنهم ابن خلدون في مقدمته ووصفهم بالعرب الأقحاح.

9/ القاف المنقلبة إلى غين:

ينتشر هذا الإبدال في القبائل العربية القاطنة في السودان وموريتانيا وبعض مناطق المغرب، أما في الجزائر فنجده في بعض المناطق لولاية الأغواط وبوسعادة وبسكرة و واد سوف والبيض وبشار، فالبيض وبشار ولايتان تقعان في الجنوب الغربي ينتشر في بعض مناطقهما نطق القاف غينا وسبب هذا الإبدال

تقارب الصوتين (القاف والغين) في المخرج وفي الصفة، فالغين صوت حلقي مجهور رخو عند القدامى و صوت طبقي مجهور رخو عند المحدثين[1].

وهذه بعض الألفاظ التي حدث فيها إبدال الغين قافا:

الكلمة	اللهجة
عبد القادر	عبد لغادر
القربة	الغربة
القهوة	الغهوة
نقرا	نغرا
قويدر	غويدر

إذن فالقاف في منطوق غرب الجزائر لا يأخذ صورة واحدة بل يتغير إلى عدة أصوات «فهي إما قافا أو همزة أو غينا أو جيما أو گاف الفارسية أو كافا خالصة»[2]، زد إلى ذلك نطقه خاءً لكن هذا نادرا إلا في بعض الكلمات.

والشكل الموالي يوضح القاف و تغيراتها.

[1] ينظر: جان كانتينو، دروس في علم أصوت العربية، ص: 144.

[2] Philippe Marcais le parle arabe de Djidjelli ,libraire d Amérique et d orient, Maisonneuve, parie, 6éme, (sd) ,publication de l institut d études Orientales d Alger, p 22.

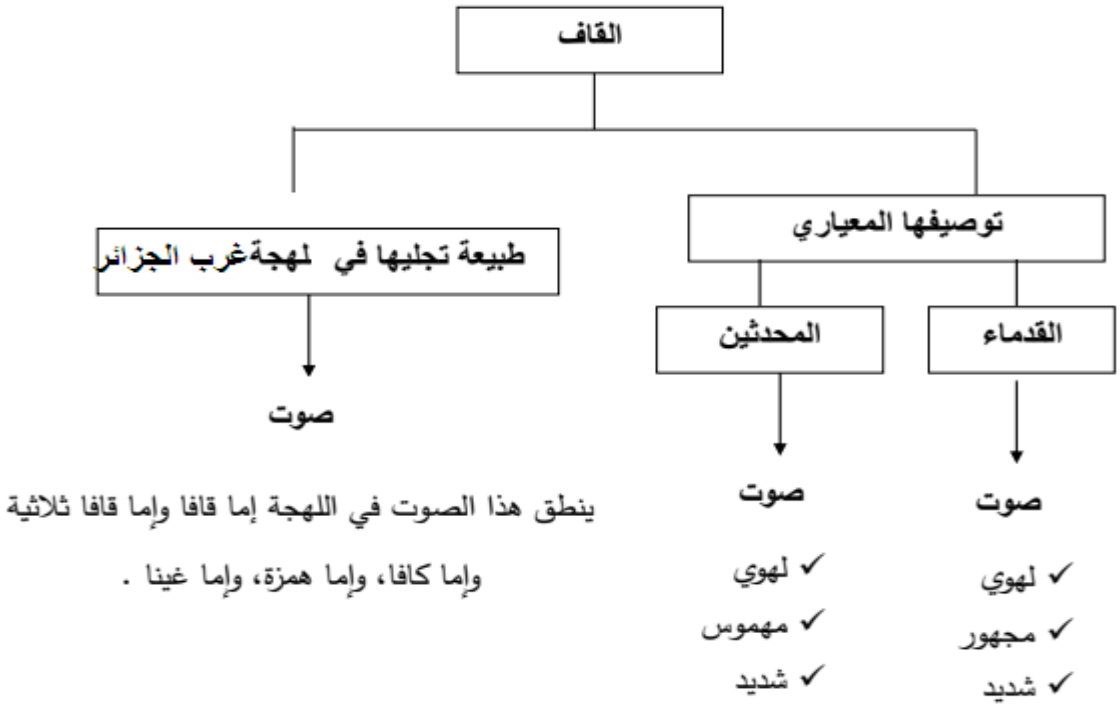

أطلس الصوت الصامت القاف في غرب الجزائر

خاتمـــــــة

إن اللغة شأنها شأن كل ظاهرة طبيعية، تنشأ و تنمو و تتغير حسب ظروف قد تكون اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية أو حتى شخصية. و مما خرجنا به كنتيجة للبحث هو أن اللهجة بصفة خاصة تسير من الصعب إلى السهل و من الخشن إلى الناعم، و من المعقد إلى الميسر، و من المزخرف إلى البسيط تتبعا لطبيعة الإنسان الذي يبحث دائما على بذل أقل جهد، عضلي كان أم فكري، للتعبير عما بداخله و لضمان اتصاله الدائم بباقي أفراد مجتمعه.

لقد تطرق بحثنا هذا إلى دراسة صوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري وقبل التعمق في هذه الدراسة، كان من المنطقي أن نبحث أولا في اللهجة كونها تدرس لذاتها ومن أجل ذاتها، وبعدها أتلتفت إلى علم اللهجات للتعرف على أصوله ومناهجه وعلاقته بعلوم أخرى نضنها أساسية ومكملة كعلم الأصوات. وتبين لنا من خلال ذلك أنه لا بد من معرفة عامة أو شاملة لكثير من العلوم للوصول إلى فهم و تفسير بعض الظواهر اللهجية التي تصور لنا طبيعة الفرد كوحدة ثم كجزء لا يتجزأ من مجتمع كبير تتخلله ظروف ومظاهر، هذه الأخيرة تجبره على التلاؤم والتأقلم كي يبقى دائما وسط هذه الدائرة التي لا يستطيع العيش خارجها. فبعد تعرفنا أولا على المنطقة وأخذنا ولاية تيارت وتلمسان كونهم أكثر الولايات استعمالا لهذا الصوت ،ومررنا إلى الدراسة الصوتية التي بينت لنا بعد بحث طويل أن لهجة سكان الغرب الجزائري تميل إلى الجهر والتفخيم و الترقيق، كون معظم سكانه من أصل بدوي يمتاز بالخشونة حيث يؤثرون الأصوات المجهورة الشديدة، كما تشيع عندهم ظاهرة التأثر بالأصوات المتجاورة، خلاف البيئة الحضرية التي تعمل على تحقيق الأصوات في بعض الأحيان، وتحول عادة دون تأثرها بعضها ببعض في أثناء النطق، كما تميل إلى الأصوات المرققة و المهموسة، حيث لا ترى داعيا لوضوح الصوت بنسبة أكبر مما يتطلبه السامع القريب، فهي بيئات متمدنة تتحدث بين جدران المنازل، عكس البيئات البدوية التي اعتادت على المساحات الشاسعة.

أما ما تعلق بتغيرات بعض الأصوات في لهجة الغرب وجدت في ذلك أن السبب الرئيسي هو التسهيل والتيسير في عملية النطق، فهب لم تأتي خبط عشواء وإنما جاءت وفقا لعوامل ساعدت على

حصولها، وذلك كما قلنا سابقا جراء ميل الناس إلى السهل وطلب التخفيف و الاقتصاد في الجهد العضلي ، كذلك لقساوة الظروف ظف الى ذلك ما يورثه الاباء للأبناء.

أما صوت القاف وهو محطة دراستنا فوجدناه عند القدماء صوتا مجهورا أما المحدثين فهو صوت مهموس وهنا كانت نقطة الخلاف بين العلماء.

أما تبدلاته الصوتية فإننا وجدناه يتبدل إلى عدة أصوات ترجع الى ظواهر صوتية لهجية قديمة ظهرت في لهجات اليمن و في مناطق الدول العربية كدول الخليج وهذا يؤكد لنا العلاقة الوثيقة بين اللهجات الشرقية العربية و لهجات شمال إفريقيا.

ملحق ولايات غرب الجزائر

أولا :الموقع الجغرافي للغرب الجزائري:

تعتبر الجزائر من أهم الدول المطلة على البحر الأبيض المتوسط، فهي بذلك تتمتع بموقع استراتيجي هام، إذ كان البحر المتوسط وما يزال إلى يومنا هذا يتمتع بموقع استراتيجي هام جدا من حيث انفتاحه على المحيط الأطلسي في جهته الغربية، كما يكتسي البحر المتوسط أهمية قصوى في كونه منطقة حضارية ترعرعت في ظله ثقافات راقية أهمها: الأمازيغية واليونانية والرومانية فهو بذلك كان ولازال حلقة الوصل بين أجزاء العالم المختلفة[1]، مما جعلها همزة وصل بين القارتين الإفريقية والأوروبية وأن تكون معبرا رئيسيا نحو كل الاتجاهات، في بهذا الموقع همزة وصل بين القارتين.

تتربع الجزائر على مساحة 2.381714 كلم^2، وهي أكبر دولة عربية، تنقسم من حيث خطوط الطول إلى ثلاث أقسام: وسط، شرق، و غرب ومن حيث خطوط العرض تنقسم إلى شمال و وسط وجنوب، ولكن التنظيم الإداري اعتمد خطوط الطول فيما يبدو، فحصر ولايات الغرب في ستة عشر ولاية أكبرها مساحة تندوف 159000 كلم^2، وأصغرها وهران 2121كلم^2، وهذه الأخيرة هي الأكثر كثافة سكانية كونها ولاية سياحية.

تبلغ مساحة الغرب الجزائري 935952 كلم^2، هذه المساحة الشاسعة تتربع على 16 ولاية وهي: "وهران مستغانم، سيدي بلعباس، تيارت، معسكر، سعيدة، مستغانم، عين تموشنت، عين الدفلى، تيسمسيلت، البيض، بشار، النعامة، تندوف، غليزان، شلف" هذه الولايات تختلف فيما بينها في العادات والتقاليد وأساليب التعبير في جميع المستويات اللسانية، هذه المنطقة التي شهدت عدة حضارات وثقافات توافدت من كل أنحاء العالم، وذلك لما تملكه من مقومات العيش الرغيد، يقول "الحسن بن محمد الوزان الفاسي" إلى مدى خصوبة المنطقة الغربية للجزائر بقوله: "السهول القريبة من الساحل منتجة

[1] يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول ومماليك أوروبا 1500م-1830م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د س، ص: 09.

جدا، نظرا لخصوبتها، والجهة المجاورة لتلمسان كلها سهل مع بعض المغارات"[1]، وكما وصفها كذلك "أبو زكرياء يحي بن خلدون" بقوله: "إنها أعدل الأرض مزاجا وأفضلها نتاجا ما بين افريقية والسوس الأدنى على المغرب الأقصى"[2].

أما من ناحية الثروات الباطنية فتتوفر هذه المنطقة على مصادر وفيرة للمياه تتمثل في الأمطار والعيون والينابيع خاصة نهر الشلف الذي يصب بمستغانم[3]، وبالتالي فنتيجة لهذا الموقع الاستراتيجي الهام والمميز الذي عرفته المنطقة الغربية للجزائر فإن أهم مدنها عرفت نشاطا اقتصاديا ملحوظا خلال القرن الخامس عشر للميلاد فمثلا بالنسبة لوهران فإنها ظلت تحتفظ بمركزها الاقتصادي وحتى الثقافي وازدهرت فيها الحركة التجارية، وكانت تفد إليها من الجنوب قوافل الصحراء حاملة معها بضائع المنطقة، في حين كانت ترسوا في مينائها السفن التجارية القادمة من أوروبا مثل البندقية ومرسيليا وبرشلونة وغيرها.[4]

وقد لخص لنا "الحسن الوازان" الذي زار مدينة وهران بقوله: "وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط وبها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة، من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق، وكان معظم سكانها من الصناع والحاكة أهلها ظرفاء كرماء يحبون الغرباء، كانت وهران مهبط التجار القطالونيين والجنوبيين".[5] ووصفها "محمد بن يوسف الزياني" بقوله: "هي مدينة من مدن المغرب الأوسط ساحل البحر الرومي،

[1] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1983م، ج: 2، ص: 30.

[2] أبو زكرياء يحي بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بير فونطانا الشرقية، الجزائر، 1903م، ج: 1، ص: 84.

[3] مصطفى علوي، صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة والجغرافيين العرب ما بين الفرنسيين 7 و 9 للهجرة، رسالة ماجيستير، جامعة سيدي بلعباس، 2005-2006، ص: 78.

[4] يحي بوعزيز، وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985م، ص: 58.

[5] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص: 30.

عظيمة ذات مساحة وفخامة جسيمة، وبساتين وأشجار ومياه عذبة فأطيار، وحبوب عديدة وفواكه جديدة، وبروج مشيدة وقصور معدودة".[1]

وأما بالنسبة لمدينة "تنس" الساحلية فإنها كانت تتمتع بنشاط اقتصادي وسياسي ملحوظ فقد وصفها "مارمول كابربخال" بقوله[2]: "هي عاصمة هذه المنطقة منذ القديم تحضنها أسوار وقلعة كان بها قصر الأمير، سكان هذه المنطقة لهم تجارة واسعة مع الأجانب اللذين يجلبون من هذه الناحية القمح والشعير وغيرها من السلع الأخرى فيحملونها إلى الجزائر وإلى غيرها من الآفاق، ذلك لأن هذه البلاد كثيرة الزرع والخصب والمرعى والعمل والشمع وتوجد قبالة المدينة جزيرة صغيرة تحتمي عندها السفن إبان هبوب العواصف إذا تعذر عليها البقاء في المرسى".

وأما بالنسبة لمدينة مستغانم فما يميزها هو مينائها الذي يعود استعماله إلى عهد الفينيقيين إذ وصفها "مارمول": "بأنه يوجد لمدينة مستغانم مرسى جيد"[3]، وكانت ذات أعين[4]، وبساتين ومياه، وكانت أرضها تصلح لزراعة القطن"[5]، لها نسيج عمراني لا يختلف عن الطابع العمراني الذي تميزت به المدن الساحلية الجزائرية الأخرى، خلال تلك الفترة فيها مسجد كبير في غاية الحسن وصناع كثيرون ينسجون الأقمشة ودورها جميلة وسقايتها عديدة يخترقها جدول ماء يحرك الطاحونات.[6]

وتجدر الإشارة إلى أهمية مدينة مستغانم فقد كانت من المدن الساحلية التابعة للدولة الزيانية وهي بذلك مدينة محصنة منيعة اشتهرت منذ وقت طويل بازدهارها خاصة في الميدان الزراعي لخصوبة أراضيها وبعد احتلال الإسبان لمدينة وهران توجهت أنظارهم إليها وأجبر شيوخ المدينة وأعيانها إلى توقيع معاهدة

[1] محمد بن يوسف الزياني، دليل الجيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تقديم وتعليق: المهدي البوعبدلي، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص: 25.

[2] مارمول كاربخال، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط، 1989م، ج: 2، ص: 296.

[3] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص: 32.

[4] مارمول كربخال، إفريقيا، ص: 354.

[5] مولاي بلحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 1981م، ص: 46.

[6] الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، ص: 30.

استسلام مع حاكم وهران الإسباني وذلك في 26 ماي 1511م ألزم فيها سكان مدينة مستغانم ومزغران بعدة شروط منها: أن يدفعوا الضرائب والرسوم التي كانوا يدفعونها لتلمسان في أول جوان من كل عام لأمين مخزن مدينة وهران، وأن يزودوا وهران والمرسى الكبير بالمواد الغذائية والسلع الأخرى بأسعارها العادية، وفي حالة الالتزام بالشروط ففي المقابل يلتزم أصحاب السمو بدورهم على حمياتهم ضد أعدائهم سواء القادمين من جهة البر أو من جهة البحر.[1]

وأما لمدينة تلمسان فإنها كانت تعتبر المدينة الرئيسية لمنطقة الغرب الجزائري، وكانت التجارة بها رائدة جدا نتيجة لموقعها الجغرافي والاستراتيجي[2]، بحيث تقع تلمسان في الشمال الغربي من المغرب الأوسط، تحيط بها الجبال والهضاب الصخرية من الجهة الجنوبية[3]، وقد عرفها "العبدري" بقوله: "تلمسان مدينة كبيرة سهلية جبلية المنظر مقسومة باثنين بينهما سور، ولها جامع مليح متسع وبها أسواق قائمة وأهلها ذو ليانة ولابأس بأخلاقهم، وبظاهرها في سند الجبل موضع يعرف بالعباد وهو مدفن الصالحين وأهل الخير به مزارات كثيرة، ومن أعظمها وأشهرها قبر الشيخ الصالح القدوة أبي مدين رحمه الله، وعليه رباط مليح مخدوم مقصود، والدائر بالبلد كله مغروس بالكرم وأنواع الثمار، وسوره ومخبر وأقطار متسعة ومبانيها مرتفعة.[4]

أما ولاية تيارت فكانت تسمى بمدينة تيهرت[5]، هي من أهم المدن التاريخية التي حظيت بوصف الرحالة و الجغرافيين، فهي من المناطق الداخلية للجزائر، عرفت مرور العديد من الحضارات و الشعوب المختلفة التي ساهمت في تشكيل التاريخ الحضاري لها، كما تعد من بين أغنى الولايات الجزائرية من حيث

[1] Elie de la primandaie, documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnols en afrique (1506-1575) R.A, T19, 1875,p 73.

[2] عبد القادر فكاير، الغزو الإسباني للسواحل الجزائرية وأثاره، (910-106هـ) (1505-179م)، دار هومة، الجزائر، 2012، ص: 33.

[3] مريم هاشمي، العلاقات الثقافية بين تلمسان وبجاية، رسالة ماجستير، تخصّص: تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2010، ص: 11.

[4] العبدري أبو عبد الله محمد بن محمد، الرحلة المغربية، تحقيق وتعليق: محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968م، ص: 14.

[5] تيهرت: اسم ذو أصل بربري يعني أنثى الأسد، نقلا عن البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1992، ج: 2، ص: 192.

الشواهد التاريخية، فقد وجدت فيها الكثير من الشواهد بصفة متواصلة دون انقطاع منذ العصور القديمة إلى غاية الفترة الحديثة والمعاصرة.

تعتبر مدينة تيارت أو تيهرت أول عاصمة عربية للمغرب الأوسط حيث ازدهر في فترتها الفكر وأخصبت الحضارة وتطور العمران، فقد عرفت المنطق ميلاد أول دولة إسلامية بالمغرب الاسلامي المنفصل عن الخلاف العباسية أيام الرستميين الذين أسسوا مدينة تاقدمت[1]، وأقاموا دولتهم ذات المذهب الإباضي[2].

قد استقر بها بعض القبائل إلى جانب القبائل البربرية وظلت منطقة تجاذب بين مختلف الممالك والدول التي برزت بشكل كبير كالفاطميين والمرابطين والموحدين والأتراك[3].

تمتاز هذه الولاية بوجود سلسة جبلية تعرف باسم مرتفعات تيارت، وبموقعها الاستراتيجي تتوسط التل والصحراء، تحدث عنها الكثيرون ووصفوها في كتبهم وأبحاثهم يقول اليعقوبي "... المدينة العظيمة تاهرت جليلة المقدار عظيمة الأمر، تسمى عراق المغرب، لخا أخلاط من الناس تغلب عليهم قوم من الفرس، يقال لهم بنو محمد بن أفلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم الفارسي..."[4]، أما المقدسي فيقول عنها: "... تاهرت اسم القصبة و هي بلح المغرب، قد أحدق بها الأنهر و التفت بها الأشجار وغابت في البساتين، ونبعت حولها الأعين وجل بها الإقليم، و انتعش فيها الغريب..."[5].

أما ولاية بلعباس تمتد هذه مدينة داخل السهول الغربية للجزائر ما بين وهران و عين تيموشنت شمالا و تلمسان غربا و النعامة و سعيدة جنوبا و معسكر شرقا، يعتمد اقتصاد المنطقة على الزراعة

[1] حسيني عائية، تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر، ، مجلة خلدونية، ع خ، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر 2009، ص: 243.

[2] بن عميرة محمد ، دور زناتة في الحركة المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي، ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 15.

[3] بليل محمد ،التوسع الاستعماري الفرنسي في المناطق الداخلية والهضاب العليا الغربية وانعكاساته على الجزائريين ما بين 1840-1900 منطقة تيارت أنموذجا، ، المجلة الخلدونية، ع خ ، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر، 2009، ص: 248.

[4] ، عبد العزيز سالم ،المغرب الكبير العصر الإسلامي دراسة تاريخية وعمرانية و أثرية ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ج: 2، ص: 543.

[5] إسماعيل العربي ،المدن المغربية، ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص: 134.

وتربية الحيوانات أما الصناعة فلم يكن لها حظ يذكر حتى بداية السبعينات استفادت الولاية من مؤسسات و مركبات صناعية غيرت من نمط سلوك وحياة السكان.

وبالعودة إلى تاريخها وعند تصفح أخبار الرحالة و الجغرافيين، نجد أن هذه المنطقة قديمة فقد مر بالمنطقة حسن الوزان "بليون الإفريقي" فأشار إلى السهل الموقع الجانب الاقتصادي بقوله: "تسالة مدينة عريقة في القدم بناها الأفارقة في سهل كبير يمتد على مسافة عشرين ميلا وينبت قمحا جيدا جميل اللون غليظ الحب يمكنه وحده أن يزود تلمسان بما تحتاجه من حبوب و يعيش أهل تسالة تحت الخيم لأن المدينة خربت لكن مازال السهل يحمل اسمها يؤدون هم أيضا خراجا مرتفعا إلى الملك"[1].

عمرت المنطقة قبائل بني عامر من أحلاف الهلاليين القادمين معهم في منتصف القرن الخامس 5هـ بعد أن حركتهم الدولة الفاطمية. بعد انتقالها إلى بلاد المغرب و قد أثرت في الحياة الاقتصادية للمنطقة تأثيرا ملحوظا. ومن جهة أخرى يشير "ابن خلدون" إلى بعض علمائهم من الصوفية الذين أسسوا الزوايا و شيدوا المساجد و نشروا الكتاتيب".[2]

لقد قاومت قبائل بني عامر الحملات الصليبية الإسبانية بعدها انضمت إلى جيش الأمير عبد القادر. و أمام صمود قبائل بني عامر اضطر الجيش الاستعماري إنشاء مركز عسكري أمامي على مقربة من قبة ضريح "الولي الصالح سيدي بلعباس البوزيدي"[3].

أما غليزان هذه الولاية التي لا تقل أهميتها عن باقي الولايات يعود تاريخها إلى عهود غابرة، وتدل على ذلك الآثار والمعالم الموجودة عبر ترابها. فقد عثر الباحثون الأثريون على بقايا من الطجري الأوسي (ما بين 04 ألف إلى 02 ألف سنة قبل الميلاد) بمغارة الرتايمية بوادي ارهيو، وجبل بو منجل بقرية بني راشد، وتلاقي وادي تامدة بوادي وارزان على الضفة اليسرى لمازونة، امتد الزحف

[1] الوزان حسن ،وصف إفريقيا، ، تحقيق: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983، ص: 65.

[2] ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد ،مقدمة العبر وديوان المبتدأ والخبر، ص: 278.

[3] مكحلي محمد، سيدي بلعباس البوزيدي ولي و ولاية، دراسة تاريخية أنثروبولوجية، ص: 22.

الروماني إلى منطقة غليزان سنة 04 قبل الميلاد وتمركز الجيش الروماني في "وادي ارهيو أو جديوية"، ومينا "غليزان"، و"يلل" مكث الرومان في المنطقة قرابة خمسة قرون تركوا فيها العديد من الآثار نذكر منها قصر كاوى في بلدية عمي موسى، وعرفت المنطقة الإسلام بعد امتداد الفتوحات الإسلامية إليها عن طريق قبيلة مغراوة الأمازيغية التي تعاونت مع الفاتحين على نشر وترسيخ تعاليم الإسلام بالمنطقة.

أمّا خلال العهد العثماني، فقد عرفت مدينة "مازونة" ببيلك الغرب أي عاصمة المغرب العربي، فكانت منارة العلم والعلماء[1].

أما تندوف وبشار فقد انتشرت فيها اللهجة الحسانية و هي اللهجة المنتشرة في جنوب الجزائر، نتجت هذه اللغة جراء امتزاج لغات العرب القادمين من الشرق مع لغات البربر من صنهاجة الملثمين من جهة، والعناصر الافريقية الزنجية من جهة أخرى، وتعد من بين أقدم اللهجات[2].

وفيما يلي خريطة تحدد الولايات الغربية للجزائر.

[1] مجلة ألوان، غليزان، وزارة الثقافة، مديرية الثقافة جويلية 2009، ص: 6.

[2] بريك الله حبيب ،اللهجة الحسانية بالجنوب الجزائري بين التنوع و الثراء، قراءة في مخطوط ديوان حسان ولد لعرب الجكني بتندوف، ، قضايا لغوية، المجلد 1، المركز الجامعي تندوف، ديسمبر 2020، ص: 23.

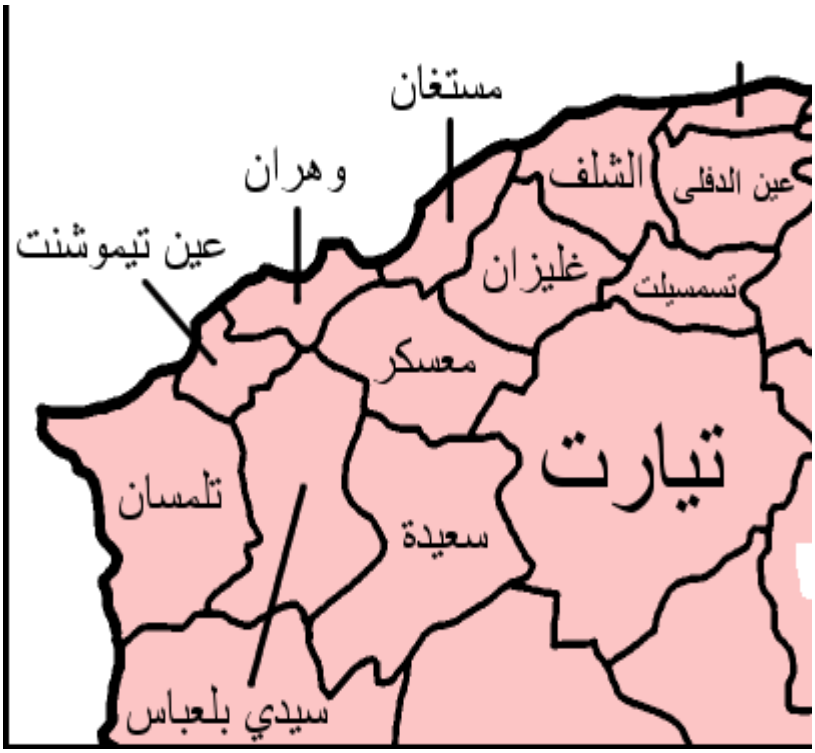

ولايات غرب الجزائر

ولايات الجنوب الغربي للجزائر

ثانيا: الأوضاع العامة للغرب الجزائري قبل الاحتلال الإسباني:

لقد عرف سقوط دولة الموحدين تقسيم بلاد المغرب إلى ثلاث دويلات يمكننا حصرها على النحو الآتي:

دولة بني حفص[1]، ودولة بني زيان[2] في المغرب الأوسط، ودولة بني مرين[3] بالمغرب الأقصى، وقد ساد هذه الدويلات الثلاث التكالب والشقاء[4]، إذ كانت تونس الحفصية تعاني من خطر الإسبان خاصة من ناحية صقلية ونابولي، وأما في المغرب الأقصى فكان بني وطاس في صراع مع السعديين على مدينة فاس، وهكذا فقدت المدينة مجدها وانشغلت بالفوضى والنزاعات الداخلية[5]، وبالتالي فقد كان جزء كبير من شرق الجزائر وجنوبها الشرقي تحت حكم أمراء حفصيين، وقد كانت حدود الدولة الزيانية تمتد من بجاية وورقلة شرقا إلى نهر ملوية غربا.[6]

وتجدر الإشارة إلى أن الجزائر أثناء تعرضها للاحتلال الإسباني أي حوالي بداية القرن السادس عشر كانت مجزأة إلى حوالي خمسة عشر كيانا[7]، إذا كانت قبيلتا سويد بني عامر تسيطران على معظم سهول وهران، كما كان آل المقراني يهيمون على منطقة القبائل الصغرى، إذ كانت قاعدة إمارتهم قلعة بني عباس، وأما مدينة الجزائر وسهول متيجة فكانت منذ القرن الرابع عشر ميلادي تحت سلطة الثعالبة

[1] دولة بني حفص: تأسست عام (66هـ-98هـ) (19م-1574م) نسبة إلى أبي حفص عمر بن يحي وقد اتسع حكمها بتونس والجزائر الشرقية حيث دخلت قسنطينة وعنابة وحتى بجاية في حكمها، ينظر: محمد بن أبي القاسم الرغيني القيراواني المعروف بابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، دار المسيرة، بيروت، ط 3، 1993م، ص: 01.

[2] دولة بني زيان أول دولة بني عبد الواد تأسست عام (633هـ-135م) نسبة إلى زيان بن ثابت، عاصمتهم تلمسان ينظر: محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان شرق بني زيان، تحقيق محمود بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص: 111.

[3] دولة بني مرين، قوم من البدو ودخل بهم كبيرهم عبد الحق بن محبوب المغرب الأقصى سنة 610هـ- 1213م على حين ضعف الدولة وأعلن الحرب عليها سنة 613هـ-1216م وقتل سنة 614هـ-1217م فخلفه ابنه عثمان وبذلك يعتبر يعقوب ابن عبد الحق مؤسس الدولة فهو الذي فتح مراكش سنة 668هـ-169م ولقب بأمير المؤمنين ينظر: علي ابن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص: 30.

[4] أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1732، دار البصائر، الجزائر، ط 1، 2007، ص: 64.

[5] يلماز أوشانا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود، مراجعة: محمد الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1988، ج: 1، ص: 230.

[6] عبد القادر فكاير، الصراع الجزائري الإسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2001-2002، ص: 18.

[7] جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987م، ص: 16.

تتعرض لنفوذ الزيانيين تارة وللملوك بني حفص تارة أخرى إلى أن انتقلت بأمرها في النصف الثاني من القرن الخامس عشر وقد كان الشيخ عبد الرحمن الثعالبي أحد رجال حكمها.[1]

وأكبر التنظيمات السياسية التي كانت قائمة أنداك ألا وهي الدولة الزيانية إذ تقع في المغرب الأوسط الذي يتوسط المغرب الأدنى شرقا والمغرب الأقصى غربا[2]، وأما عن حدودها السياسية فلم تكن ثابتة، بل كانت تتقلص وتتمدد حسب ظروف استعداد ملوكها وقوتهم العسكرية والاقتصادية، واستقرار أمنهم[3]، وكما أن المتتبع لتاريخ الدولة الزيانية في القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر يجد أنها كانت تتميز بالتناحر بين أفراد الأسرة الحاكمة ووقوعها تحت تأثيرات الدولة المرينية أو الحفصية نظرا لموقعها الجغرافي بين المملكتين السابقتين، إذ وجد ملوك تونس وبني مرين بتلمسان الظروف المناسبة لزرع الفتن واكتفوا في بعض الأحيان بتأييد الطامعين من أفراد العائلة الحاكمة في العرش فيدفعونهم إلى الثورة ضد من هو في العرش.[4]

وقد استقر الملك في بني زيان ثلاثمائة سنة، وقد كانت الغارات على تلمسان قبل بداية القرن السادس عشر من الغرب أو من الشرق وقد احتلها "بنو مرين" و "بنو حفص" مرات عديدة تحقيقا لأحلامهم التوسعية، حيث احتلت من قبل ملوك فاس أي بني مرين نحو عشر مرات وكان مصير الملوك حينئذ إما القتل أو الأسر أو الفرار، إلا أنهم كانوا يسترجعون ملكهم كل مرة، وفي سنة 1462م قام "محمد بن أبي ثابت" الملقب بالمتوكل بإعلان الثورة أطاح فيها بحكم أبيه الملك أبو العباس أحمد، حيث يضيف لنا التبتي تلك الثورة قائلا: "ولما كانت ستة وستون أي سنة 866 هـ الموافق لسنة 1462 م نهض مولانا المتوكل من مليانة متوجها إلى الغرب والنصر أمامه إذ استولى على وطن بني راشد ثم على

[1] ولد سنة 786هـ- 1384م لم يكن دوره في الزهد والتصوف فقط بل كان له دوره السياسي في التحريض على الجهاد والوقوف في زجه النصارى، توفي سنة 876هـ-1471م.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، الجزائر، المغرب الأقصى، موريتانيا السودان، دار المعارف، القاهرة، ط 1، د س، ص: 19.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2002، ج: 1، ص 43.

[4] البوعبدلي المهدي، أضواء على تاريخ الجزائر في العهد التركي من خلال مخطوط الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، وزارة التعليم العالي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد 8، جوان 1972، ص: 276.

هوارة، ثم افتتح مستغانم ومزغران ثم عمد إلى وهران فافتتحها ثم توجه إلى تلمسان فأقام عليها يومين ودخلها في ثالث أول يوم من جمادى الأولى من السنة المذكورة ففر الأمير أحمد إلى العُبَّادْ[1-2]، وعاد إلى تلمسان لكنه لم يتمكن من فتحها وقتل بعد تعرضه للقتل في معركة وقعت بينه وبين جيش المتوكل في أوت 1463م، وقد عرفت الدولة الزيانية فترة من الحروب والفتن الداخلية إذ بعد المتوكل خلفه ابنه أبو تاشفين ثم خلفه أخاه أبو عبد الله محمد الثابتي والذي شهد حكمه فترة من الاضطرابات كما استقلت بعض المدن من بينها تنس والجزائر.[3]

كما قد أدى الوجود الإسباني في وهران والمرسى الكبير والوجود العثماني في الغرب الجزائري إلى انقسام القبائل إلى قسمين منها ما انضمت إلى الإسبان ومنها ما انضمت إلى الأتراك[4]، وتعود جذور علاقة قبائل الغرب الجزائري بالإثبات عقب احتلال الإسبان للمرسى الكبير سنة 1505م، إذ قام الإسبان بفتح سوقا تجاريا بغية تزويد السكان بما يحتاجونه لكن المسلمين اعتبروا ذلك بمثابة الخيانة، وبعد احتلال الإسبان لمدينة وهران زاد اهتمامهم بالعرب من أجل كسب مودتهم مستعينين في ذلك بجميع الأساليب والطرق وهذا العامل هو ما أدى إلى ولاء بعض القبائل العربية للإسبان.

وللتوضيح أكثر فإن أول من انظم إلى الإسبان "عبد الرحمن بن رضوان" شيخ بني عامر وقد تمكن الإسبان من توسيع منطقة نفوذهم في المنطقة الغربية للجزائر إلى الشرق والغرب والجنوب، وقد كان شريط "بني غدو" هو الحد الشرقي للسيادة الإسبانية، وأن إقليم جماعة فلاحي بني يعقوب هو الحد الجنوبي، وإقليم جماعة أولاد ميمون هو الحد الغربي إذ كان الإسبان سيسيطرون قبل الانسحاب الأول سنة 1708م على منطقة تمتد غربا إلى وادي تلمسان، على بعد 14 فرسخا من وهران، وتمتد شرقا إلى 20 فرسخا أي إلى ما قبل الوصول إلى الشلف بفرسخين وتمتد إلى الجنوب إلى أبعد من وادي السيق

[1] قرية تبعد عن تلمسان شرقا بحوالي 2 كيلومتر.

[2] محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان، ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدر و العقبان في بيان شرق بني زيان، ص: 254.

[3] عبد الحميد حاجي وآخرون، الجزائر في تاريخ "العهد الإسلامي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ج: 3، ص: 455.

[4] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم العثماني التركي، 1514م-1830م، دار هومة، الجزائر، 2007، ص: 303.

إلى المكان المعروف باسم "مقرة" على بعد 20 فرسخا من وهران يتسنى من ذلك مدينتا مزغران ومستغانم.

ثالثا: أهم القبائل التي سكنت الغرب الجزائري:

1/ قبيلة شافع:

وهم من بني عامر بالمغرب، إذ أن بني عامر بن زغبة بن ربيعة بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوزان بن منصورين عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضر بن نزار بن معدين عدنان ثلاثة لا غير ووهما:

-الفرع الأول:

هم شافع بن عامر بن زغبة الهلالي وهم أربعة: الشقارة نسبة لشفرة بن شافع بن عامر بن زغبة، وأولاد مطرف نسبة لمطرف بن شافع بن عامر بن زغبة، وأولاد صالح ويطلق عليهم الصوالحية نسبة لصالح بن شافع بن عامر بن زغبة، وأخيرا أولاد بالغ نسبة لبالغ بن شافع بن عامر بن زغبة الهلالي.

-الفرع الثاني:

هم بنو يعقوب وتنسب إليهم أرض اليعقوبية وهم على خمسة عشر فرعا.

-الفرع الثالث والأخير:

هم "بنو حمية"، وفروعهم ستة وستون وهم بذلك قبيلة من قبائل العرب، هاجروا إلى الشام ومصر، وزحفوا إلى المغرب الإسلامي سنة 442-1050م في نطاق هجرة بني هلال، كانوا يقيمون بالعين البيضاء بملانة وكذا في جبال سيدي السعيد التلمساني.[1]

[1] فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني، ص: 346.

2/ قبيلة حميان:

هم قبيلة عظيمة نسبة لجدهم حميان بن عقبة بن يزيد ابن عيسى بن زغبة الهلالي سكنوا أول الأمر بأرض الحفرة، ثم قاطعهم الأتراك العثمانيين أرضا بالغرب من تامزوقة نحو ساقية سيق إلى أن جاءت الحملة الإسبانية التي تفرغت بعثاتها بالهجوم على العبيد الشراقة حذو "المقطع" فكان أكثرهم غنيمة للمسلمين ورجع قليلهم لوهران[1]، وهكذا ثم الاستقرار لهم جنوب كانستال وشرق مدينة وهران.

ويذكر "المشرفي" أن هذه القبيلة اشتهرت بالترحال من مكان لآخر واتبعت في ذلك الحياة البدوية المتنقلة.

3/ قبيلة كريشتل:

نسبة لجدهم كرشتل بن محمد بن راشد بن محمد بن ثابت بن منديل بن عبد الرحمن المغراوي[2]، وأصل مسكنهم قرب مصب نهر الشلف ثم انتقلوا إلى مزغران في هجرة ثانية ومنها إلى أرض متوعرة كانت مرتفعا ومسرحا لقبيلة بني زيان[3]، ثم إلى سيرات الواقعة في شرق مستنقعات المقطع شمال المحمدية، اشتغلوا بالزراعة والتجارة[4]، يبلغ عددهم حوالي الستين دوارا[5]، وهي بطن من بطون زناته في أواخر عزها ومجدها إذ تلاشت قوتهم وضعفت شوكتهم وساءت أحوالهم فاغتصبوها منهم واستقروا بها منذ بداية القرن الثامن الهجري ولما طاب لهم المقام بها شرعوا في تشييد قرية صغيرة تحمل اسمهم[6].

---

[1] الأغا بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق: يحي بوعزيز، الجزء الأول، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 1، 1990م، ج: 1، ص: 233.

[2] عبد القادر المشرفي الجزائري، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين بوهران من الأعراب كبني عامر، تقديم: محمد بن عبد الكريم، دار النشر، د ت، ص: 13.

[3] حنيفي هلايلي، عملاء وجواسيس الإسبان في بايلك الغرب على ضوء كتاب بهجة الناظر، مجلة الحوار الفكري، العدد السابع، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، ديسمبر 2007، ص: 147.

[4] فكاير عبد القادر، الغزو الإسباني، ص: 345.

[5] حنيفي هلايلي، عملاء وجواسيس، ص: 144.

[6] تقع على بعد 15 كلم من وهران بحرا.

4/ قبيلة سْويدْ:

وهم سويد بن عامر بن مالك بن زغبة بن ربيعة بن هلال بن عامر بن صعصعة بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن يزيد بن حفص بن قيس بن غيلان بن مضربن نزار بن معدين عدنان[1]، ومن بين بطونها فليتة وأولاد ميمون ومجاهر وصبيح[2]، ومع أواخر القرن الحادي عشر هجري السابع عشر ميلادي، أصبح جزء من قبيلة سويد يعرف بأولاد قصير، وبالناحية الغربية من الجزائر فقد عرفت باسم "المحال"، وقد كانت نسيطر مع بني عامر على معظم سهول ولاية وهران.

5/ جماعة فرسان أولاد ميمون:

كانوا يزرعون الإقليم الذي يقع فيه وادي القصب على بعد 15 فرسخا من وهران ويحده والأراضي في هذا الإقليم كانت مروية[3].

[1] الطيب بوجمعة نعيمة، كتاب نسب زغبة ومنتهى أصلهم لأبي الحسين علي بن محمد بن الخطيب القرشي التلمساني، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير، تخصّص: التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2005-2006، ص: 33.

[2] أبي زكرياء يحي ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المجلد 11، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص: 94.

[3] صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي، 1514-1830، دار هومة، 2007، ص: 309.

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

1. ابن عبد ربه أبو عمرو أحمد بن محمد، العقد الفريد، دار الفكر، القاهرة.

2. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن، همع الهوامع، دار المعرفة، بيروت، ط 1.

3. إبراهيم السمرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 2، 1983م.

4. إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ط 2، 1952.

5. إبراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط 8.

6. ابن الجزري الحافظ أبي الخير بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، مرا: علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

7. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة.

8. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت.

9. ابن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب، القاهرة.

10. ابن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، القاهرة، د ط، 2000م.

11. ابن جني، سر صناعة الإعراب، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدي شحاتة عامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2.

12. ابن خالويه، إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار الهدى، عين ميلة، الجزائر، د ط، د ت.

13. ابن فارس أبو الحسن بن أحمد، مجمل اللغة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2.

14. ابن مريم الريف المليانى المديونى التلمسانى، البستان في ذكر الأولياء وعلماء تلمسان، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، 1980م.

15. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط 3، 1992.

16. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة.

17. ابن يعيش موفق الدين أبو البقاء بن يعيش الحلبي شرح الملوكي، تح: فخر الدين قباوة، المكتبة العربية، حلب، ط 1.

18. أبو الإصبع السماتي الإشبيلي المعروف بابن الطحان، مخارج الحروف و صفاتها، تح: محمد يعقوب تركستاني، ط 1، 1984.

19. أبو الحسن الحرالي، تفهيم معاني الحروف، ضمن رسالتان في سر الحروف و معانيها، المسماة مواد الكلم في ألسنة جميع الأمم، تح: عبد الحميد صالح الحمدان، مكتبة الأزهرية للتراث، د ط.

20. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطف البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1969.

21. أبو الحسين بن فارس بن زكرياء، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، د ط، د ت.

22. أبو الطيب اللغوي، كتاب الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، دمشق، د ط، 1961.

23. أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1961.

24. أبو الفتح بن جني، الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية مصر، د ط، د ت.

25. أبو حيان الأندلسي، ارتشاف الضرب من لسان العرب، تح: رجب عثمان محمد، مرا: رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، القاهرة، ط 1، 1998.

26. أبو عبد الله محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، متن الأجرومية، دار الصميعي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1998.

27. أبو عبد الله محمد جمال الدين بن عبد الله بن مالك الأندلسي، ألفية، تحقيق: سليمان بن عبد العزيز العيوني، مكتبة دار المنهاج، الرياض.

28. أبو عمرو بن العلاء، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1408هـ-1987م.

29. أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية لتجويد القراءة و تحقيق لفظ التلاوة، مكتبة قرطبة.

30. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، الصاحبي في فقه اللغة العربية و سنن العرب في كلامها، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط 1 ، 1993.

31. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، الصاحبي، تح: عمر فاروق الطبّاع، المعارف بيروت، لبنان، ط 4، 1993

32. أبي الحسين أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف بيروت، ط 1، 1414هـ-1993م.

33. أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمية، القاهرة، ط 3، 1992.

34. أبي الفتح عثمان بن جني، سر الصناعة، دار القلم، دمشق، ط 2، 1993.

35. أبي الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهنداوي.

36. أبي الفضل جمال محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ط 1.

37. أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط 3، 1983.

38. أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، أسباب حدوث الحروف، تح: محمد حسان الطيّان، يحيى مير علم، مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط 1.

39. أبي عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب، الإيضاح في شرح المفصل، تحقيق: موسى بناي العليلي، وزارة الأوقاف، العراق، 1982.

40. أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، الرعاية، لتجويد القرآن و تحقيق لفظ التلاوة، مكتبة قرطبة، د ط، د ت.

41. أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الرحالة المقديسي، 2003.

42. أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997م.

43. أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، علّق عليه ووضع حواشيه: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م.

44. أحمد رضا، معجم متن اللغة، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1958.

45. أحمد عبد الرحمان، الخصائص الصوتية في لهجة الامارات العربية، دار المعرفة الجامعية، أبو ضبي، 1985.

46. أحمد علم الدين، اللهجات العربية في التراث في النظامين الصوتي و الصرفي، القسم الأول، دار المعرفة للكتاب، تونس، 1968.

47. أحمد علم الدين الجندي، اللهجات العربية في التراث، الدار العربية للكتاب، ليبيا و تونس، 1978.

48. أحمد محمد قدور، مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 1، 1996.

49. أحمد مختار عمر عالم الكتب، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، ط 1، 1997.

50. أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، 2004.

51. أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط 5، 1998م.

52. أحمد نحا، اللهجات العربية، مكتبة وهبة للطباعة والنشر، 1972م.

53. إسماعيل العربي، المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

54. أنيس فريحة، اللهجات و أسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1989م.

55. البدراوي زهران، في علم الأصوات اللغوية و عيوب النطق، دار المعارف، القاهرة، ط 1.

56. براجتراسر، التطور النحوي للغة، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1993.

57. برتيل مالمبرج، الصوتيات، ترجمة: محمد هليل، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، 1994م.

58. برجشتراسر، التطور النحوي للغة العربية، ترجمة: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، 1402هـ-1982م.

59. البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

60. بن عميرة محمد، دور زناتة في الحركة المذهبية ببلاد المغرب الإسلامي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

61. بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة، عبد الله اللحياني، دار الفكر للدراسات و النشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 1990م.

62. ت م جونستون، دراسات في لهجات شمال وجنوب الجزيرة العربية، ترجمة: أحمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط 1، 1983.

63. تثقيف اللسان وتلقيح الجنان، تحقيق: عبد العزيز مطر، القاهرة، 1425هـ-2004م.

64. التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1، 1405.

65. تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998م.

66. تمام حسان، مناهج البحث اللغوي في اللغة، دار الثقافة، القاهرة، ط 1، 1974.

67. تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، القاهرة، ط 1، 1974.

68. توفيق محمد شاهين، عوامل تنمية اللغة العربية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1400هـ-1980م.

69. التيجني بن عيسى، الأصوات اللغويّة في لهجة تلمسان، مؤسسة بختي للإعلام الآلي تلمسان، ط 1، 1994م.

70. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر.

71. الجاحظ، تح عبد السلام هارون، البيان والتبيين، مؤسسة الخانجي، القاهرة.

72. جان كانتينو، دروس في علم الأصوات العربية، تر: صالح القرمادي، الجامعة التونسية، 1966.

73. حسام البهنساوي، علم الأصوات، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1، 1425هـ-2004م.

74. الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي، شرح كتاب سيبويه، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، دار الكتب العلمية، ط 1.

75. خليل إبراهيم، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ، بغداد، ط 1.

76. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم و الفهارس.

77. الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس.

78. دار اروس، معجم اللسانيات و علوم اللغة، فرنسا، 1996.

79. رابين تشيم، اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، ترجمة: عبد الكريم مجاهد، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط 1، 2002.

80. رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2001م.

81. رضي الدين الأسترأباذي، شرح شافية ابن الحاجب، تح: محمد الحسن و آخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1975.

82. رمضان عبد التواب، المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1998.

83. رمضان عبد التواب، التطور اللغوي للغة العربية، مطبعة المجد، د ط، 1982.

84. رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي الرياض، 1982م.

85. رياض قاسم، اتّجاهات البحث اللغوي في العالم العربي، مؤسسة نوفل، لبنان، بيروت، ط 1، 1982م.

86. السعران محمود، علم اللغة، مقدمة القارئ العربي، دار الفكر، القاهرة.

87. سلمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 1، 1995.

88. سليمان بن سالم بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مكتبة الغرباء الأثرية، السعودية ط 1، 1995.

89. سليمان فياض، استخدامات الحروف العربية، دار المريخ، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، 1998.

90. سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، طبعة عالم الكتب، بيروت، لبنان.

91. سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1411هـ-1991م.

92. صلاح الدين حسنين، المدخل إلى علم الأصوات –دراسة مقارنة–، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط 1، 1981م.

93. صلاح حسنين، المدخل في علم الاصوات المقارن، مكتبة الآداب، مصر، ط 2.

94. عاطف مدكور، علم اللغة بين التراث والمعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 1987م.

95. عبد الجليل مرتاض، اللغة والتواصل (اقترابات لسانية للتواصلين الشفهي والكتابي)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د ت.

96. عبد الجليل مرتاض، اللسانيات الجغرافية في التراث اللغوي العربي، دار هومة، الجزائر، 2013.

97. عبد الجليل مرتاض، تراكيب لهجية عربية جزائرية في ظل الفصحى، دار الغرب، وهران، 2004.

98. عبد الجليل مرتاض، دراسة لسانية في الساميات واللهجات العربية القديمة، دار هومة، الجزائر، 2003م.

99. عبد الحميد بوسماحة، تلمسان تاريخ وثقافة، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة.

100. عبد الحميد عابدين، من أصول اللهجات العربية في السودان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د ط، 1989،

101. عبد الرحمان بن خلدون، المقدّمة، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1946م.

102. عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، القاهرة، مؤسسة الرسالة، 1980.

103. عبد الصبور شاهين، المنهج الصوتي للبنية العربية، مؤسسة الرسالة، 1950.

104. عبد العزيز سالم، المغرب الكبير العصر الاسلامي دراسة تاريخية وعمرانية و أثرية، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

105. عبد العزيز مطر، لحن العامة، القاهرة، ط 2، 1981م.

106. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة و تطور، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 2، 1993.

107. عبد الغفار حامد هلال، علم اللغة بين القديم والحديث، ط 2، 1986.

108. عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية نشأة وتطور، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

109. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط 1، 1998م-1418هـ.

110. عبد القادر عبد الجليل، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، ط 8، 1998.

111. عبد المجيد عابدين، أصول اللهجات العربية في السودان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1989.

112. عبد المعطي نمر موسى، الأصوات العربية المتحولة و علاقتها بالمعنى، دار الكندي، الأردن، ط 1، 2014.

113. عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب تطوان و ما حولها، المؤسسة المصرية العامة، مصر، ط 1، 1968.

114. عبد الواحد وافي، علم اللغة، مطبعة نهضة مصر، 1382هـ-1962م.

115. عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار النشر نهضة مصر، القاهرة، ط 1.

116. علم الدلالة، بالمر، تر: مجيد المشطة، مطبعة الجمال المركزية، بغداد، 1985.

117. علي عبد الواحد وافي، علم اللغة، نهضة مصر للطبع والنشر، ط 6، 1387هـ-1967م.

118. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات اللغوية، دار صفاء الأردن، ط 2، 2009.

119. غانم قدور الحمد، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، دار عمان، عمان، ط 2، 2008.

120. غانم قدوري الحمد، المدخل الى علم الأصوات العربية، دار عمار، عمّان، الأردن، ط 1، 2004.

121. غوتي شريف المطبعة الجهوية صاري، شجرة تلمسان، 1993م.

122. فالح حنظل، معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات، وزارة الإعلام و الثقافة، ط 3، 1988.

123. فرديناد دي سوسير دروس في الألسنة العامة، ترجمة: صالح القرمادي ومحمد شاوش ومحمد عجينة، الدار العربية للكتاب، طرابلس، لبنان، د ط، 1985م.

124. فرديناند دي سوسير، محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة: يوسف الغازي ومجيد النصر، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ط، د ت.

125. فوزي حسن شايب، أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط 1، 4171هـ-2001م.

126. كمال بشر، عالم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000م،

127. كمال ربحي، الإبدال في ضوء اللغات السامية دراسة مقارنة، جامعة بيروت العربية، 1980.

128. لفندريس، اللغة، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مطبعة لجان البيان العربي، 1950م.

129. ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط 3، 1408هـ-1987م،

130. محاضرات برجستراسر الألماني، التطور النحوي للغة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1993.

131. محمد أبو الفرج، مقدمة لدراسة فقه اللغة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط 01، 1992م.

132. محمد أحمد خاطر، في اللهجات العربية، مقدمة للدراسة، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، 1979.

133. محمد الأنطاكي، الوجيز في قفه اللغة، مكتبة دار الشرق، بيروت، ط 3، 1389هـ-1969م.

134. محمد المبارك، فقه وخصائص العربية، دار الفكر، ط 1.

135. محمد بن أبي بكر المرعشي، جهد المقل: در، تح سالم قدوري الحمد، دار عمّار، عمّان، الأردن، ط 2، 2008.

136. محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور دورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، 1985م، نقلا عن كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيّام العرب والعجم والبربر لعبد الرحمان بن خلدون.

137. محمد ديب عبد الواحد جمران، معجم من اللهجات العربية و ما وافق منها القراءات القرآنية، مكتبة العبيكان، الرياض، ط 1، 2000.

138. محمد على الخوالي، الدراسات اللغوية، دار الفلاح، عمّان، الأردن، 1998.

139. محمد فاضل السامرائي، النحو العربي أحكام و معان، دار ابن كثير، بيروت، ط 1، 2014.

140. محمد كشاش، علل اللسان و أمراض اللغة و انعكاساتها الاجتماعية، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 1998.

141. محمد مبارك، فقه اللغة وخصائص العربية –دراسة تحليلية مقارنة للكلمة العربية وعرض لمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، دار الفكر، ط 5، 1392هـ-1972م.

142. محمد مكي نصر الجريسي، نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد، تدقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، لبنان، ط 1، 2003.

143. محمد بن الحسن بن دريد، الجمهرة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار العلم، ط 1، 1987.

144. محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط.

145. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1987م.

146. محمود فهمي حجازي، علم اللغة العربية مدخل تاريخي في ضوء التراث واللغات السامية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

147. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاري و مهدي البحقيري، مكتبة الإيمان المنصورة إمام جامعة الأزهر، المجلد 1.

148. مظاهره وعلله وقوانينه، التطور اللغوي: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي الرياض، ط 1، 1404هـ-1983م.

149. المقتضب، محمد بن زيد بن عبد الأكبر الثمالي المعروف بالمبرد تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

150. ميشال زكريا، الألسنية: المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1304هـ-1983م.

151. ميشال زكرياء الألسنة (علم اللّغة الحديث) المبادئ والأعلام، للمؤسسة الجامعيّة للدراسات والنشر والتوزيع، ط 3.

152. نور الهدى لوشن، مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، المكتبة الجامعية الأزاريطة الإسكندرية، د ط، 2002.

153. هادي العلوي، المعجم العربي الجديد، المقدمة، دار الحوار، اللاذقية، ط 1، 1983.

154. هادي نمر، الأساس في فقه اللغة و أرومتها، دار الفكر، عمان، ط 1، 2002.

155. هلال عبد الغفار حامد، اللهجات العربية نشأة وتطور، مطبعة الجيلاوي، لبنان، ط 2، 1410هـ-1990م.

156. الوجيز في اللغة العربية و علومها، مكتبة الرشاد، سيدي بلعباس، ط 1، 2010.

157. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1997.

158. يعقوب بن سحان بن السكيت، القلب و الإبدال، مكتبة مصطفى، ط 1.

159. يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين، شرح المفصل، إدارة الطباعة المنيرسة.

الرسائل الجامعية:

1. ابن أباجي أمينة، الدخيل اللغوي في المنطوق الجزائري عند فئة الشباب مدينة تلمسان نموذجا-دراسة معجمية ودلالية-، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تلمسان أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2015م-2016م.

2. أحمد قريش، دراسة لهجة السواحلية، رسالة ماجيستير، تخصّص: اللغة، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 2008.

3. آمنة عبد المالك، مصطلحات الدراسة الصوتية في التراث العربي (دراسة وتقويم)، أطروحة دكتوراه دولة، تخصّص: فقه اللغة، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1987م.

4. جيلالي بن يشو، الخطابات اللهجية في منطقة ترارة دراسة صوتية ومورفولوجية، رسالة ماجستير، تخصّص: علم اللهجات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان، 1999-2000م.

5. عبد المنعم سيد عبد العال، لهجة شمال المغرب: تطوان وما حولها، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1968م.

6. الرشيد عوض الكريم محمد نور، أسماء الموصول في سنن أبي داود –دراسة نحوية دلالية–، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، 2010.

7. عبد الجليل مرتاض، دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة، أطروحة دكتوراه، تخصّص: اللسانيات، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 1414هـ-1994م.

8. مولاي عبد الحفيظ طالبي، الإبدال في اللغة العربية مظاهره وعوامله وأثره في تنمية اللغة و تيسيرها، رسالة ماجيستير، تخصّص: أدب، جامعة الجزائر، 1990.

9. هشام خالدي، القاف والكاف في عاميّة تلمسان، رسالة ماجستير، تخصّص: علم اللهجات، 2000-2001م.

المجلات:

1. أثر اللهجات العربية في القراءات السبع دراسة وصفية، بحث مقدم من قبل مخلصين، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية و الثقافة، جامعة مالانج الإسلامية و الحكومية، 2008.

2. بلخيتر ناصر، الكلام المنطوق والعمل المعجمي، مجلة دراسات أدبية، العدد 06، الجزائر، 2010م.

3. بليل محمد، التوسع الاستعماري الفرنسي في المناطق الداخلية والهضاب العليا الغربية وانعكاساته على الجزائريين ما بين 1840-1900 منطقة تيارت أنموذجا، المجلة الخلدونية، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر 2009.

4. حسيني عائية، تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر، مجلة خلدونية، جامعة ابن خلدون، تيارت، أكتوبر 2009.

5. عبد القادر عيساوي، التوافق و الخلاف بين القاف و الكاف، مجلة الآداب و العلوم الإنسانية، العدد 14، جامعة سيدي بلعباس.

6. مجلة العربي، مجلة ثقافية تصدر عن دولة الكويت، العدد 287، مقال لأبي الرب توفيق بعنوان: أصالة لغوية في اللهجات الأردنية.

المراجع باللغة الفرنسية.

Marcel Cohen, le parler arabe juifs d'Alger.

فهرس الموضوعات

الفهرس

مقدمـــــة ..... **Erreur ! Signet non défini.**

مدخل: التعريف بمصطلحات اللسانية الرئيسية 4

أولا: علم اللهجات: 2

ثانيا: علاقة علم اللهجات بعلم الأصوات: 12

ثالثا: مصطلح المنطوق: 16

الفصل الأول: خصائص العادات النطقية في لهجة غرب الجزائر 22

المبحث الأول: اللهجة في غرب الجزائر 22

1- الأفعال في لهجة الغرب الجزائري: 26

2-الأسماء الخمسة و علامة اعرابها في لهجة غرب الجزائر: 30

3-أسماء الإشارة: 31

4-الأسماء الموصولة: 32

5-العلامات الإعرابية: 33

6-الحروف : 34

7-الترادف: 36

8-التضاد: 38

المبحث الثاني المستوى الصوتي في لهجة الغرب الجزائر: 40

1- القلب المكاني:..... 40

2- الإبدال: 42

-3ظاهرة الحذف في لهجة سكان الغرب الجزائري: 59

الفصل الثاني دراسة صوتية فونتيكية لصوت القاف 62

المبحث الأوّل: اختلاف الحروف العربية باختلاف المخارج و الصّفات 63

1- مخارج الأصوات العربية: 64

2- صفات الحروف العربية: 70

المبحث الثاني : صوت القاف دراسة صوتية 101

أولا: تعريف صوت القاف..... 101

ثانيا: القاف في الدراسات العربية القديمة والحديثة: 102

ثالثا : عند المحدثين : 106

رابعا: تغيرات صوت القاف في اللهجات العربية: 115

خامسا: صفات صوت القاف..... 124

الفصل الثالث دراسة صوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري..... 63

المبحث الأول: التغيرات الصوتية والعوامل المتحكمة فيها. 133

1-اللغة نظام متغير: 133

2-خصائص التغير الصوتي: 137

3- التأثير والتأثر بين الأصوات: 139

المبحث الثاني: ظاهرة الإبدال لصوت القاف في المنطوق اللهجي للغرب الجزائري: 142

-1مفهوم الإبدال الصوتي: 142

-2التغيرات الصّوتيّة لصوت القاف في منطوق تلمسان: 143

1- القاف جيما : 145

2- القاف حرفا مزدوجا دز: 147

3- إبدال همزة: 148

4- إبدال القاف كافا خالصة 155

5- القاف الخائية: 159

6- إبدال القاف إلى كاف سامية 162

7- نطق القاف نطقا فصيحا: 171

8- القاف الناتجة عن إبدال الغين: 172

9- القاف المنقلبة إلى غين: 174

خاتمـــــة 133

ملحق ولايات غرب الجزائر 179

-أولا :الموقع الجغرافي للغرب الجزائري: 180

-ثانيا: الأوضاع العامة للغرب الجزائري قبل الاحتلال الإسباني: 187

-ثالثا: أهم القبائل التي سكنت الغرب الجزائري: 191

قائمة المصادر و المراجع 194

ملخّص بالعربية:

اللّهجة مجموعة من الصّفات اللّغوية الّتي تنتمي إلى بيئة معيّنة وهي طريقة معيّنة في الاستعمال اللّغوي وتتمثّل في العادات الكلامية وتمسّ هذه العادات الأصوات النّطقية. وكما هو معلوم في علم اللّهجات والأصوات أنّ الأصوات المنطوقة تختلف من بيئة إلى بيئة أخرى. وقد كان صوت القاف من أكثر الأصوات التي مسّها الإبدال عبر حقبة من الزّمن. فقد اختلف فيه علماء الأصوات من ناحية مخرجه وصفاته فهو صوت مجهور عند القدماء ومهموس عند المحدثين. فاخترنا هذا البحث لبيان صوتيته واختلاف نطقة في منطقة الغرب الجزائري.

الكلمات المفتاحية: اللّهجة، صوت القاف، منطقة الغرب الجزائري.

Résumé:

Le dialecte est un ensemble de traits qui appartiennent à un environnement particul ier, et c'est une façon particulière d'utiliser le langage, et qui concernent les habitud es verbales, et qui influencent ces habitudes vocales. Comme on le connait en lingu istique et son, les sons parlants diffèrent de l'environnement à l'autre. La voix du qa ïf a été l'une des plus influentes que la substitution ait jamais faite au cours de l'hist oire. Les spécialistes du son étaient différents d'un côté de ses créateurs, d'un côté, il était très populaire chez les anciens et ennuyé chez les orateurs. Nous avons choi si cette recherche pour révéler sa voix et sa diversité dans l'ouest de l'Algérie.

Mots-clés: Accent. Voix de la Qf. Région de l'Ouest algérien.

Abstract:

Dialects are a group of linguistic traits that belong to a specific environment, and it is a specific wa y of using language. These traditions touch on spoken sounds. As is well known in the science of dialects and sounds, spoken sounds vary from one environment to another. The sound of Al-Qaf has been one of the most frequently spoken sounds of any era. Phonologists have differed in it s output and characteristics, it is a sound unknown to the ancients and ignored by the modernizers. We chose this research to demonstrate its voice and the difference of the region of West Algiers.

Keywords: dialect. rhyme sound. WEST ALGERIAN REGION